



مجلة  
الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة

العدد الأول - السنة الثامنة - جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ - مايو - يونيو ١٩٩٧ م

# الجامعة الإسلامية

مجلة تصدر أربع مرات في السنة  
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

لجنة التحرير:

محمد المجذوب

عبد القادر شيبية الحمد

محمد شريف

حمود فايد

المراسلات المتعلقة بالبحر وترسل إلى  
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة  
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

PUBLIC - RELATIONS

# «المجلة»

## في عامها العاشر

نحمد الله على آلائه ونسأله أن يصلى ويسلم ويبارك على أفضل رسله  
وخاتم انبيائه نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن سار على نهجه الى  
يوم الدين .

أما بعد :

فبهذا العدد دخلت المجلة عامها العاشر مخلفة وراءها تسعة أعوام  
من عمرها تضمنت اعدادها الستة والثلاثون مقالات جيدة وبحوثاً  
مفيدة في جوانب مختلفة في الثقافة الاسلامية وتعتبر هذه المجلة جزءاً  
مما تؤدي به الجامعة رسالتها في تبليغ الدعوة الإسلامية والحث على  
اتباع طريقة السلف الصالح في السير على نهج الكتاب العزيز والسنة  
المطهرة واعتبارهما مصدر كل خير وأساس كل صلاح واصلاح  
وانه لا سعادة في الدنيا ولا فلاح في الآخرة الا في الاستضاءة  
بنورهما وامثال أوامرهما واجتناب نواهيهما .

ونأمل أن يجد القراء في مستقبل أيام هذه المجلة تحولا من حسن إلى  
أحسن ومن جيد إلى أجود وأن يكون نفعها عظيما وفائدتها شاملة .

نائب رئيس الجامعة الإسلامية

عبد المحسن بن حمد العباد



درجات في  
القرآن وعلومه



# نظرات في كتابها الكريم

لفضيلة الشيخ محمد المصري

كانت مهمة القرآن الكريم والتشريع السماوي الحكيم إبان توالي نزول الآيات البيّنات - تركيز العقيدة السليمة في نفوس الناس ثم بناء الأحكام والتشريعات على العقيدة الحقّة .

وهذا الأسلوب الحكيم نجده واضحا في سياق سورة الحج التي اختتمها سبحانه بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير . »

السورة الكريمة هو إثبات وجود الله سبحانه وقدرته المطلقة التي لا تحدها حدود ، فهو القادر على أن يعيد الناس يوم البعث ليحاسبهم على ما قدموا في هذه الدنيا من خير أو شر ، ويسير في التدليل على ذلك بتوضيح وإطّباب يتناسب مع حال المنكرين للإلوهية والبعث .

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من

وقد تضمنت سورة الحج امرين هامين أحدهما يتعلق بالله جل جلاله وثانيهما يتعلق بالرسول عليهم الصلاة والسلام ، وهذان الأمران هما أساس العقيدة السليمة الصحيحة ، وجاءت الآيات الكريمتان اللتان اختتمت بهما هذه السورة بمثابة النتيجة الصحيحة لهذه المقدمات التي اثبتت العقائد بأسلوب حكيم يخاطب القلب والعقل .

والأمر الأول الذي ركزت عليه

نطفة . . الآيات ثم تخلص الآيات  
الكريمة من ذلك الى نتائج حتمية ،  
وعقائد لا بد أن تستقر في القلب نتيجة  
الافتناع المنطقي السليم .

« ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى  
الموتي ، وأنه على كل شئ قدير . . »  
« وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن  
الله يبعث من في القبور »

ويسوق سبحانه أدلة أخرى لتركيز  
العقيدة ثم يتبعها بالنتائج الثابتة

« ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون  
من دونه هو الباطل ، وأن الله  
هو العلي الكبير »

ثم يعدد تعالت اسماؤه آيات قدرته  
ومظاهر رحمته في ثنايا أدلة وحدانيته  
« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء  
فتصبح الأرض مخضرة . . »

« ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض  
والفلك تجري في البحر بأمره »

ثم ينكر عليهم عبادة غيره مع وضوح  
هذه الأدلة وكثرتها فيقول سبحانه

« ويعبدون من دون الله ما لم ينزل  
به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما  
للظالمين من نصير »

ثم يبين أن هذا الغير الذي يتجه إليه  
الضالون بالعبادة والتقديس ضعيف

غاية الضعف لا يقوى على خلق ذبابة  
بل وأكثر من ذلك ضعفاً أنه إذا سلبه  
الذباب شيئاً لا يستطيع استرداده فهو  
إذن أضعف من الذباب فكيف يعبد  
هذا الضعيف من دون الله القوي القادر .  
« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا  
له إن الذين تدعون من دون الله لن  
يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم  
الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف  
الطالب والمطلوب » .

أما الأمر الثاني ، وهو مترتب على  
الأول ، فهو إثبات نبوة الأنبياء ،  
ورسالة الرسل عامة لتدخل فيها  
رسالة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام  
دخولاً أولياً فيقول سبحانه

« الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن  
الناس إن الله سميع بصير »

فقد أخذ سبحانه العهد على نفسه تفضلاً  
ورحمة ، أن يبين للناس طرق الخير  
من الشر ، وأن يهديهم النجدين ، وأن  
يبعث لهم الرسل مبشرين ومنذرين  
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل  
كما أخذ العهد على نفسه ألا يعذب  
أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه بارسال  
الرسل .

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »  
فاصطفاء الرسل من الملائكة ومن



واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده .

★ ★ ★

وقد تضمنت الآية الكريمة بعد ذلك أوامر أربعة ، كل منها يعتبر أساسا ودعامة لهذا الدين المتين .

وقد أحاطت الأوامر الأربعة بأنواع التكليف

منها أمران ينظمان العلاقة بين العبد وربّه ، وهى اساس الإيمان الصادق ، والأمران الآخران يتعدى أثرهما ذلك إلى الناس ، فينظمان العلاقة بين أفراد المجتمع لتتكون أمة فاضلة ، تعمل لغاية ، وتقصد لهدف ، وهو تحقيق السعادة في هذه الحياة ، وجعلها طريقا موصلا إلى حياة أسعد ، فيها الخلود الدائم ، والنعيم المقيم .

أما الأمران اللذان ينظمان العلاقة بين العبد وربّه فأولهما قوله سبحانه «اركعوا واسجدوا » والمقصود بذلك صلوا وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنهما أشرف أركانها ، وليس هناك ركوع ولا سجود في غير الصلاة ، والصلاة مناجاة بين العبد وربّه ، ترك للترابية المادية وتخليق بالنفس الى عالم الروحانية المطلقة . ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام .

الناس داخل في حدود قدرته ، وهو تفضل ورحمة منه سبحانه حتى تسقط حجة الغاوين حين تصدمهم الحقيقة .

★ ★ ★

والآن وقد ثبت بالحجة وحدانية الله سبحانه ، وقدرته المطلقة على الإيجاد والاعدام والبعث والنشور والحساب والجزاء .

وثبت أن الناس سيقسمون في الآخرة إلى قسمين يختصمان في ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيهاحرير »

وثبت بجوار ذلك أن الله سبحانه اصطفى من الملائكة ومن الناس رسلا يبشرون وينذرون .

وجب نتيجة لهاتين العقيدتين المستقرتين في النفس المؤمنة أن تظهر آثارهما ، وأن ترتب عليهما نتائجهما بأن تكون العبادة المطلقة والخضوع المطلق لهذا الاله القوى القادر الواحد الأحد ، بالطريقة التي يرسمها عن طريق هؤلاء الرسل المصطفين فقال سبحانه .

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

ولقد تكرر الأمر بإقامة الصلاة والمحافظة عليها في غير ما آية من كتاب الله تنويها بشأنها ، وتعريفها بفضلها .  
« أقيموا الصلاة »

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »  
« والذين هم على صلواتهم يحافظون »  
حتى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فارقا بين المسلم والكافر ، حيث يقول : ( إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ) أخرجه مسلم  
وفي قوله عليه الصلاة والسلام :

( العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ) أخرجه الترمذى .  
وهذا التشديد من الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في أمر الصلاة ليس غريبا فهى عماد الدين ، وهى أساس الصلة بين العبد وربّه ، فمن تركها جاحدا لها فقد كذب الله ورسوله وخرج بذلك من نطاق المسلمين .

أما من تركها كسلا وتهاونا فيخشى عليه من سوء الخاتمة ، فقد جعل سبحانه الصلاة سببا في الاستقامة والبعد عن مواطن الزلل حيث يقول سبحانه :  
« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »  
والصلاة وإن كانت أهم مظاهر

العبادة والخضوع المطلق للمعبود إلا أن هناك أنواعا أخرى من العبادة لا يجوز أن تهمل . فهناك الصدقة والحج والدعاء الى غير ذلك من أنواع التقرب إلى الله سبحانه . ولذلك جعل هذا العموم في الأمر الثانى بقوله « وابدوا ربكم » .

وأصل العبودية الخضوع والذل ، والتعبيد التذليل ، ومنه طريق معبد أى مذلل ، والخضوع المطلق والذلة الكاملة لا تكون لغير المنعم بأصل الحياة ، ويجلبيل النعم ورقيقها فلتخضعوا له . ولتتقربوا اليه بكل ما يشرعه لكم من أوجه القرب ، وأنواع العبادة ، فهذا تعميم بعد تخصيص ، فالصلاة المذكورة أولا داخلة في عموم الأمر بالعبادة ، فكأن الامر بها جاء مرتين .

أما الأمران اللذان يتعدى أثرهما ذلك إلى الناس فأولهما قوله سبحانه :  
« وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »

وفعل الخير دعامة من دعائم الحياة الراقية السعيدة ، فالناس في هذه الحياة متفاوتون في قدراتهم ، متفاوتون في مواهبهم ، منهم القوى ومنهم الضعيف ، منهم الغنى ومنهم الفقير ، منهم ذو الجاه والسلطان ومنهم الخلو منهما ، الكل محتاج بعضهم إلى بعض ، فكل فرد في الأمة يستطيع أن يضع لبنات

هذا أبو ذر جُنْدَب بن جُنَادَة رَضِيَ  
الله عنه يقول : قلت يا رسول الله أى  
الأعمال أفضل ، قال الإيمان بالله والجهاد  
في سبيله ، قلت أى الرقاب أفضل قال  
أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا ، قلت  
فإن لم أفعل ، قال تعين صانعا أو تصنع  
لأخرق . قلت يا رسول الله أرأيت ان  
ضعفت عن بعض العمل . قال : تكف  
شرك عن الناس فإنها صدقة منك على  
نفسك . ويعد الله العاملين ، ووعد  
الحق ، أن ثوابهم لن يضيع عنده .

« إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا »  
وأن العمل مهما قلّ سيحفظ لصاحبه  
« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .  
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

وأنه سبحانه مطلع على جميع الأعمال  
ظاهرها وخفيها وسيجزى عليها  
« وما تفعلوا من خير يعلمه الله »

« وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم »  
والأمر الذى معنا يشمل كل خير  
يخطر على البال ، ثم يبين سبحانه أن  
الحكمة في هذه الأوامر هي إرادة الخير  
والفلاح لمن يحافظ عليها فيقول .

« لعلكم تفلحون »

ولعل في أصل وضعها تفيد الشك  
والرجاء والتوقع ، وهذا يليق بحال  
المخاطبين وكأنه سبحانه يقول افعلوا  
الخير وأنتم ترجون وتتوقعون الفلاح .

في صرح مجدها سواء منهم القوى  
والضعيف والغنى والفقير ، ولذلك  
يدعو الإسلام الجميع الى التسابق في  
الخيرات فيقول : « فاستبقوا الخيرات »  
ويقول

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة  
عرضها السموات والأرض أعدت  
للمتقين » ثم يبين صفة هؤلاء المتقين  
الذين يستحقون هذه الجنة بأنهم خيرون  
بطبعهم ينفقون في السراء والضراء  
ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس .

ويزيد عليه الصلاة والسلام طرق الخير  
بيانا وتوضيحا ويضرب لذلك الأمثال  
فيقول : « من نفس عن مؤمن كربة  
من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من  
كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر  
يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن  
ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ،  
والله في عون العبد ما كان العبد في  
عون أخيه .

ويقول :

اتقوا النار ولو بشق تمرة .

فيدفع الناس الى عمل الخير مهما كان  
ضئيلا ، فالقليل الى القليل كثير .

بل ويجعل عليه الصلاة والسلام واجبا  
على كل فرد في هذه الأمة المسلمة أن  
يبدل لغيره معروفا إن استطاع ليكون  
ذلك له بمثابة الجهاد .

بينهم ؟ أو هو جهاد الظلمة والفساق  
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟  
أو هو جهاد النفس والهوى وحملها على  
الخير والسداد ؟ أو هو جهاد الشيطان  
برد وسوسته ، والظلمة برد ظلمهم ،  
والكافرين برد كفرهم . إلى غير ذلك  
من أنواع المجاهدة في الله .

والجهاد بهذا المعنى العام أساس استقرار  
الحكم الصالح ، يقول سبحانه « ولولا  
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت  
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر  
فيها لسم الله كثيرا »

ولذلك ورد الحث على الجهاد وفروعه  
المختلفة في كثير من آي الكتاب العزيز  
وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام  
ومن ذلك قوله سبحانه

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »  
وهذا يفيد الجهاد العام كآلية التي معنا .  
وجاء في قتال المشركين قوله سبحانه  
« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم  
كافة » وقوله سبحانه

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل  
الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا . . . »  
وقد سئل عليه الصلاة والسلام : أي العمل  
أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله قيل  
ثم ماذا ؟ . قال : الجهاد في سبيل الله .  
قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور

أو تكون ( لعل ) للتعليل فحسب مجردة  
عن الشك والرجاء ، وهذا يليق بجانبه  
سبحانه وكأنه يقول افعلوا الخير لتنالوا  
الفلاح .

والمقصود بالفلاح الفوز والبقاء والنجاة ،  
النجاة من عذاب الله ، والفوز برضاه  
والبقاء في رحمته وجنته ، ومنه قوله  
سبحانه « قد أفلح المؤمنون »

أى فازوا ونجوا ، ومنه الدعوة في  
الأذان والإقامة حتى على الفلاح أى  
أقبلوا على ما فيه فلاحكم وفوزكم  
ونجاتكم .

الأمر الثاني قوله سبحانه « وجاهدوا  
في الله حق جهاده »

أى جاهدوا في ذات الله من أجل  
مرضاته جهادا حقا . والجهاد مأخوذ  
من الجُهد ( ضم الجيم وفتحها ) وهو  
الطاقة والوسع ، أى ابذلوا جهدكم أى  
طاقتكم ووسعكم في الله من أجل مرضاته  
بذلا حقا وصدقا .

والضمير في قوله حق جهاده راجع  
إليه سبحانه أى حق جهاد الله ، وإضافة  
الجهاد إليه سبحانه لاختصاصه به ،  
فالجهاد مختص بالله لأنه مفعول من  
أجله ولوجهه ، ولذلك صحت الإضافة  
إليه .

وقد اختلف في المقصود بالجهاد هل  
هو جهاد الكفار وقتالهم ونشر الدعوة

وجب على الأمة المحمدية أن تتقبل هذه الأوامر التكليفية بقلوب راضية مطمئنة ، فهناك أمور ثلاثة كل منها كاف وحده ليكون سببا في وجوب هذا التقبل فيه رضا للنفس واطمئنان للقلب .

أولها قوله سبحانه : « هو اجتباكم » أى اختاركم واصطفاكم وجعلكم خير أمة أخرجت للناس ، وأنت اذا اصطفت لك صديقا تفاني في حبك وتنفيذ أمرك وتحمل المشقة في سبيل مرضاتك ، فما بالك بمن اختارهم رب العزة واجتباهم وفضلهم على العالمين وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس . أفلا يجدر بهم أن يكونوا عند هذا التقدير فيقبلوا التكليف راضين ؟ ثم أنه مع ذلك لم يكلفكم شططا . ولم يحملكم ما لا تطيقون « وما جعل عليكم في الدين من حرج » والحرج الضيق والمشقة ، وقد نفاهما سبحانه ، وجعل لكل عسرا يسرا ، ولكل فريضة رخصة وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمهم ، ولم يخير عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما . فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه .

وهناك موجب آخر لقبول هذه الأوامر والتكاليف ، وهى كونها

وروى البخارى أن رجلا قال : يا رسول الله دلنى عن عمل يعدل الجهاد قال : لا أجد . ثم قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ . قال : ومن يستطيع ذلك ؟

وجهاد الظلمة من أعظم أنواع الجهاد . سئل عليه الصلاة والسلام أى الجهاد أفضل ؟ فقال كلمة عدل عند سلطان جائر .

★ ★ ★

هذه هى الأوامر الأربعة التى فصلها سبحانه هذا التفصيل بين ، ولو نظرنا فيها نظرة تمعن لوجدنا أن هذه الأوامر تدرج نحو العموم المطلق .

فالصلاة التى أمر بها أولا تدخل في الأمر الثانى وهو الأمر بالعبادة ، فالعبادة تشمل الصلاة وغيرها من أوجه العبادات ، ثم تدرج العبادة في الأمر الثالث وهو الأمر بفعل الخير ، فالعبادة بجميع مظاهرها نوع من أنواع الخير الذى أمرنا بفعله ، وحمل النفس على فعل الخير نوع من أنواع الجهاد العام ، ففعل الخير مندرج كذلك في الأمر الرابع وهو الأمر بالجهاد في الله حق جهاده .

ثم بين سبحانه السبب الذى من أجله

وشهادة الرسول علينا أنه بلغنا الرسالة  
ولم يكتننا أمرا ولا نهيا .

وشهادة الأمة على الناس تحتل معنيين :  
أولهما أن المقصود بالناس الأمم السابقة  
على أمة محمد عليه الصلاة والسلام فأنتم  
تشهدون للأنبياء على أمهم يوم القيامة  
بأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة ،  
يشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخارى رضى  
الله عنه عن أبي سعيد الخدرى أنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك  
وسعديك يارب فيقول : هل بلغت ؟  
فيقول نعم . فيقال لأمته : هل بلغكم ؟  
فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول  
من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته .  
فيشهدون أنه قد بلغ . وقد ذكر هذا  
الحديث مطولا في غير البخارى وفيه  
ردود على الاعتراضات التى تخطر بالذهن  
عند سماعه ففيه . فتقول تلك الأمم :  
كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟  
فيقول لهم الرب سبحانه : كيف تشهدون  
على من لم تدركوا ؟ فيقولون : ربنا  
بعثت إلينا رسولا . وأنزلت إلينا عهدك  
وكتابك ، وقصصت علينا أنهم قد  
بلغوا ، فشهدنا بما عهدت إلينا  
فيقول الرب : صدقوا .

والمعنى الثانى أن المقصود بالناس أفراد

في عمومها ملّة أبيكم ابراهيم الذى  
تجوبونه وتنتسبون إليه فكيف يدعى عبدة  
الأوثان أنهم على دين ابراهيم وهو الذى  
حطم الأصنام . وأقام صرح التوحيد ،  
ثم انكم بعد ذلك سميتم بالمسلمين ،  
والإسلام من السلامة فأنتم حملة مشاعل  
السلام في الأرض تنشرونه في ربوعها ،  
وتركزونه في دولها، وتدافعون المعتدين  
عليه، هو سماكم المسلمين من قبل وفي  
هذا . والذى سماكم المسلمين من قبل  
هو أبوكم ابراهيم فأنتم إجابة دعوة  
الخليل عليه السلام حينما قال :  
« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا  
أمة مسلمة لك »

والأولى أن يكون الذى سماكم المسلمين من  
قبل هو الذى اجتباكم واختاركم ، وهو  
الذى سماكم بهذا الاسم ليكون الرسول شهيدا  
عليكم ولتكونوا شهداء على الناس فأى  
تشرىف يبلغ مبلغ هذا التشرىف، وأى  
تكرىم يصل الى هذا الحد من التكرىم؟.  
هذه أمور ثلاثة كل منها يوجب -  
منفردا - الطاعة المطلقة للأوامر وهى  
أنه سبحانه اجتباكم واختاركم ،  
وأن هذه الشريعة امتداد ملّة أبيكم  
ابراهيم الذى تنسبون إليه ، وأنه سبحانه  
سماكم المسلمين في الكتب السابقة وفي  
القرآن الكرىم ليكون الرسول شهيدا  
عليكم وتكونوا شهداء على الناس .

الأمّة المحمدية ، أى أن بعضهم يشهد على بعض بعد الموت .

يؤيد هذا المعنى ما أخرجه مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه مرت جنازة فأثني عليها خير . فقال عليه الصلاة والسلام وجبت وجبت وجبت . ثم مرّ عليه بأخرى فأثني عليها شر . فقال : وجبت وجبت وجبت . فسأله عمر رضى الله عنه في ذلك . فقال : أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض

ثم يؤكد سبحانه وتعالى تلك الأوامر التي شملت أنواع التكاليف فيقول :

« فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » فقولته سبحانه وأقيموا الصلاة تأكيد لقوله في صدر الآية اركعوا واسجدوا » وقوله : وآتوا الزكاة تأكيد لقوله وافعلوا الخير لأن الزكاة أظهر معاني الخير والعصمة معناها المنعة .

فقولته سبحانه « واعتصموا بالله » أى أمتنعوا بالله وبجبله وهو قرآنه : امتنعوا من أن تقعوا فيما يغضبه .

أو اعتصموا بدلائله العقلية والسمعية التي ساقها لكم في تلك السورة حتى لا يجد الزبغ والشك والضلال الى قلوبكم سيلا .

يقول القفال : اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون .

ويقول ابن عباس : سلوا الله العصمة من كل المحرمات .

وإنما تلجأون إليه ليعصمكم لأنه مولاكم وسيدكم والمتصرف فيكم والذي يتولاه ربه وينصره فلن يزل ولن يشقى

وفي الدعاء المأثور : انه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين .



## تصويب

وقع في هامش مقال ( الباقلافي ومفهومه للاعجاز القرآني ) الذي نشر في مجلة الجامعة العدد الثالث - السنة التاسعة ذى الحجة ١٣٩٦ هـ خطأ غير مقصود أريد الآن استدراكه : وهو في عبارة : ( ومعروف أن للاشعري مذهبين ، انتهج في الأول مذهب التأويل ، ورجع في الثاني إلى التفويض ) فكلمة التفويض خطأ . . .

وتصحيح الأمر - أن لأبي الحسن الأشعري ثلاثة مذاهب :

- ١- كان معتزليا ينكر جميع الصفات .
- ٢- ثم صار كلاييا من أتباع محمد بن سعيد بن كلاب يؤمن بسبع صفات فقط .

٣- ثم رجع إلى العقيدة السلفية على يدي شيخه الحافظ زكريا الساجي تلميذ الإمام احمد بن حنبل ، يؤمن بجميع صفات الله الذاتية والفعلية والخبرية على الأسس الثلاثة التالية :

أ - تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات في ذاته وفي صفاته وفي اسمائه كما في قوله تعالى ( ليس كمثله شئ ) .

ب - اثبات كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق بكماله وجلاله كما في قوله عز من قائل ( وهو السميع البصير ) .

ج - اليأس وعدم الطمع من إدراك كيفية صفات الله واسمائه كما في قوله سبحانه ( ولا يحيطون به علما ) هكذا في كتابيه اللذين أجمع العلماء والمؤرخون على أنهما آخر ما كتب : ( الإبانة عن أصول الديانة ) و ( المقالات الاسلامية ) . . لذلك لزم التنويه .

د. احمد جمال العمري



# أهل الكتاب في القرآن الكريم

تفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

أهل الكتاب حيث كانوا في القرآن الكريم ، هم أتباع موسى وعيسى عليهما السلام ، في عصورهم ، ومنذ تحدث إليهم نبينا محمد صلوات الله عليه بآيات الله الصادقة بالحق ، الهادية الى توحيد الله بعد أن اتخذ القوم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم واشركوا مع الله غيره من خلقه ومخلوقاته في العبادة والقصد، وجعلوا له صاحبة وولدا - حاشاه -

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (الاحلاص)

» و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ( الجن ٣ )

» فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص ( الزمر ٢-٣ )

ولو أن القوم في عصر الرسالة الخاتمة أنصفوا ماتابع عليه موسى الانبياء من قبلهم من الدعوة الى توحيد الله ، وما قفسى على آثارهم فيه نبينا محمد صلوات الله عليه كما يظهر في قوله تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا آله الا الله انا فاعبدون الانبياء ٢٥ . أجل لو أنصف القوم انبياءهم لآمن اليهود بعيسى ومحمد ولآمن النصارى من بعد بخاتم المرسلين وبالدين والكتاب الذي تعظم منة الله به

والقرآن الكريم يولى أهل الكتاب عنايته ، بخصائمه بخطابهم ، ودعوتهم الى الأذعان للحق ، الذي جاء به البشرية كلها عربها وعجمها وايضا وأحمرها الرسول الخاتم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، انطلاقا من أنهم من أمة الدعوة أولاً ثم أنهم أوتوا شيئا من العلم ثانيا وهم يزعمون -ثالثا- اتباعهم لانبيائهم صلوات الله عليهم ، ويستمسكون بما أدوه في أزمته من توجيه إلهي مرحلي لم تدع عصورهم لاكثر منه .

على هؤلاء ، فهو ينصفهم ويذكر  
اوائلهم من آمن منهم ومن كفر ،  
ومن بر ومن غدر ، ليكون لهم فيهم  
أسوة حسنة . .

ولأخذ هؤلاء وأولئك أنفسهم بدعوة  
التوحيد ، وهى اداء الفطرة بين أعطاف  
الناس ، وُلِدُوا عليها وشبوا ودرجوا  
كما قال النبى صلى الله عليه وسلم .

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه  
يهودانه أو مجسانه أو ينصرانه . »  
ولاستجابوا الى توجيه الله تعالى في  
كتابه الخالد لمصطفاه :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة  
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا  
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا  
أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا  
اشهدوا بأننا مسلمون » آل عمران ٦٤ .  
« إن أولى الناس - لا ريب - بالايمن  
بالله ، ومؤازرة مصطفاه ، هم الذين  
اتبعوا رسله وانتسبوا إلى أنبيائه ، وكان  
لهم ذكر " سائر في كتاب الله يوم كانوا  
يقارعون كفر أصحاب الأخدود ،  
وضلال الشرك بصوره وألوانه المتمثلة  
في عبادة الكواكب وغيرها من المعبودات  
الباطلة .

إن حجة القرآن الكريم قائمة على كل  
ذى مسكة من عقل منذ جاء البشرية به

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قوى  
الحجة ، جامعا لكل ما تفرق في  
التوراة والإنجيل وما تقدمها قبل أن  
تناها الأهواء ، وتصرفات الأحياء .

والنظرة في الآيات التى لا نخصيها هنا  
تقننا على نماذج من أهل الكتاب نوه  
بهم القرآن الكريم وباهى بايمانهم وأمانتهم  
وصدق تقديرهم للقرآن الكريم ،  
وجميل انصاتهم لتلاوته على الوجه  
الذى يقول فيه رب العالمين .

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات  
الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون  
بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ويسارعون في  
زخيرات واولئك من الصالحين ،  
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله  
عليم بالمتقين » آل عمران ١١٣ ١١٥  
ويقول « « واذا سمعوا ما أنزل إلى  
الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع  
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا  
فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن  
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن  
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين المائدة  
٨٤ - ٨٥ .

« ان الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى  
عليهم يجزون للأذقان سجدا ويقولون  
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولان  
ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم

خشوعاً « الاسراء ١٠٧ ١٠٩ »  
ان حفاوة القرآن بأهل الكتاب على هذا  
النحو الذى جلونا بعضه ونجلوه - ان  
شاء الله - شهادة بصدق نسبة القرآن  
إلى الله تعالى ، وبأن الإسلام هو دين  
الله المهيمن وكلمته التى لا يُعبد الله بحقّ  
وغيرها ، ولا يستمسك احدٌ بعده بغير  
قبض الريح وهو بحث نحصر على  
استكمالها بما يُعين الله من جهد وتوفيق ،  
فقد ينفع تتبع ما يحدث به القرآن عن  
أهل الكتاب في أن يجتمع على الداء محمد  
صلوات الله عليه عن ربه تباركت  
آلاؤه « قل يا أهل الكتاب تعالوا  
الى كلمة سواء بيننا وبينكم . . »  
فذلك هو السبيل القاصد، لا تلك الخديعة  
التى يتولى كبرها الدعاة إلى فكرة  
التقريب بين الأديان» ولا إحدى الكبر  
التى أطلت برأسها من أيام متمثلة في دار  
كبرى من ديار الاسلام يدعو بعض  
طوائفها الى تأليف كتب دينية  
مشتركة تكون بأيدي الطلاب المسلمين  
وهم أهل التوحيد، والطلاب الآخرين  
الذين ليس لعقيدتهم بالتوحيد أدنى

صلة ولا أدرى كيف يلتقى الحق والباطل  
ويتناجى الخطأ والصواب؟ ويأترف  
النور والظلام؟ ألا أن يذهب خيرها  
بشرها فيدمغها ويصفو الجو للنور  
والحق والصواب والاسلام دين الله  
الخاتم هو جماع ذلك كله . .

إن دعوة التقريب بين الأديان ،  
ودعوة التقريب بين السنّة وغيرها ،  
ودعوة الكتب الدينية الواحدة للاسلام  
وغيره من أديان القوم . من  
أساليب المكر الموروث ، والكيد  
الذى لم يفتر للإسلام ، الذى هو الدين  
لا ريب فيه ، وهل يتعدد الحق ،  
ويكون ما عندنا وما عند غيرنا سواء  
في حتمية الأخذ به والتزامه ؟ ! .

إن الحق أحق أن يُتبع « فماذا بعد  
الحقّ إلا الضلال فأني تصرقون »  
يونس ٣٢

« البحث موصول »

معرض عوض ابراهيم  
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين -  
الجامعة الاسلامية



# مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني

الإستاذ المساعد بكلية الدعوة

لفضيلة الدكتور أحمد جمال العمري

يُعد عبد القاهر الجرجاني (١) ( المتوفي سنة ٤٧١ هـ ) أحد العلماء القلائل الذين فهموا الإعجاز القرآني فهما خاصا ، وتناولوا إبراز وجوه تناولوا دقيقا . إستناداً إلى بلاغته ، ودقّة نظمه ، وتأليف كلامه . . لذلك فإنّ بحثه حول هذا الإعجاز ، تمتاز بالطابع الأدبي ، القائم على المقارنات والموازنات الأدبية ، وإثارة القضايا المنطقية ، ومناقشتها مناقشة تحليلية استدلالية لتبيين تفاوت النتاج الأدبي للعرب ، بين الغث والسمين ، بخلاف ما عليه القرآن الكريم ، الذي يخلو من كل ما يعيبه .

ألف الجرجاني في إعجاز القرآن مؤلفين . . كتاباً ورسالة . . أما الكتاب فهو « دلائل الإعجاز (٢) » وأما الرسالة فقد سماها « الرسالة الشافية » ختم بها بحثه الأصيل . . العميق .  
ومن الطبيعي أن يكون تأليف هذه الرسالة في مرحلة تالية . يدفنا إلى القول بهذا الرأي عدة أمور :

(١) هو ابوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني ، أحد علماء السنة الموهوبين ، كان عالماً واسع الثقافة ، كما كان متكلماً على مذهب الأشعرى ، وفقهياً على مذهب الشافعي ، أخذ النحو عن أبي الحسن محمد بن الحسن ابن أخت أبي علي الفارسي المشهور كما أخذ الأدب والنقد عن القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني

من مؤلفاته : العوامل المائة في النحو ، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، والرسالة الشافية  
انظر في ترجمته : دمية القصر للبلاخرزى ١٠٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٢/٣ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠٨/٥ ، بغية الوعاة للسيوطي ٣١٠ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣٤٠/٣ ، وبيروكلمان ٢٨٦/١

(٢) طبع كتاب دلائل الإعجاز في القاهرة عدة طبعات وبحقيقات متعددة .

أولها : التسلسل الفكرى والموضوعى للبحث في إعجاز القرآن كما وضع من المؤلفين .

وثانيها : أنه في مصنفه دلائل الإعجاز أبرز وجوه الاعجاز القرآني فقط .  
ثم كان عليه أن يؤكد وقوع الأعجاز ذاته ، وإثباته بالبراهين والأدلة ، فألف هذه الرسالة العلمية ، لتكون شافية كافية بتوضيح ما قصد إليه ، لذلك اشتق اسمها من مضمونها ومقصودها ، وجاءت الرسالة مكملة لما بدأه في كتابه . (١)

وثالثها : ما تمتاز به هذه الرسالة من التركيز والتكثيف لبعض الموضوعات التي طرقتها وتحدث عنها مسبقا في كتابه ، فهي عمل علمى متمم « لدلائل الاعجاز » حتى ليتمكن القول : ان الرسالة الشافية وحدها لا تعكس مفهومه للإعجاز القرآني مباشرة إلا بعد الاطلاع على كتابه . . وان الكتاب لا يمكن الاستغناء به — في فهم الاعجاز القرآني — عن الرسالة ، فكلاهما عمل علمى يكمل بعضه بعضا .

اقدم وضح اننا من تتبع الجرجاني بين ثنايا مؤلفيته — أنه أحد العلماء النابيين الذين فهموا الإعجاز القرآني فهما خاصا ، وكرسوا حياتهم لدراسته ، حيث صور هذا الاعجاز تصويرا دقيقا ، يتمّ عن ملكة حساسة ، وعقلية نفاذة ، فأوضح معالمه ، وأبرز دقائقه ، بأسلوب تحليل أدبي ، يتسم بالعمق والدقة والموضوعية معا . ومن هنا اعترف الباحثون المحدثون بأن بجهته حول الاعجاز القرآني تعدّ انتقالاً كبيراً في التفكير والبحث ، وكشفاً دقيقاً لاسرار هذا الاعجاز .

لقد ركز الجرجاني في بجهته على موضوع « النظم » وجعله المحور الأساسى الذى يدور حوله كل موضوع ، وينتهى إليه كل طريق ، لذلك كان النظم — من وجهة نظره — هو الوجه الوحيد المشرق للإعجاز القرآني . . أما بقية الأوجه التى توصل إليها الباحثون والعلماء السابقون ، وسجلوها في مصنفاتهم ورسائلهم فلم يعرّها التفاتاً ، ولم يعطها إهتماماً .

مهد الجرجاني لإثبات وجهة نظره هذه بمقدمة هامة ، جعلها فاتحة كتابه « دلائل الاعجاز » بيّن فيها أولاً ماهية النظم وحقيقته ، ثم كيف يحصل ، وما هى أسبابه وروابطه . . فيقول :

(١) طبعت هذه الرسالة ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن بتحقيق الاستاذين محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام — في دارالمعارف بمصر .

« معلوم أن ليس النظم إلا تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب بعض » ثم يفصح عن مضمون معنى الكلم بقوله : « والكلم ما هو إلا إسم وفعل وحرف . وللارتباط بين هذه الاقسام الثلاثة طرق معلومة لا تعدو ثلاثة أحوال . . . تعلق اسم بإسم ، واسم بفعل ، وتعلق حرف بهما (١) » .

ثم ينتقل الجرجاني بعد ذلك إلى توضيح هذه الأحوال الثلاثة ، فيقدم لنا مجموعة من الشواهد لكل منها ، ويستعرض بعض الآثار الأدبية التي توضح مقصوده ، وتبين مفهومه لمعنى الكلم . . وهو يرمى من وراء هذا كله إلى توضيح الفكرة التي توصل إليها وهي « أن تأليف الكلام ونظمه لا يتعدى هذه الأحوال الثلاثة ، سواء كان هذا الكلام وحيا أو كلام بشر .

إن الجرجاني يهدف من هذا التقرير - أن يثير انتباه القارئ . . إنه يضع أمام الأذهان قضية ، يحيط بها مجموعة من التساؤلات ، ليشرح بعد ذلك في الإجابة عليها . . لذلك نسمعه يقول :

« واذا كان ذلك كذلك ، فما جوابنا لحصم يقول : إذا كانت هذه الأمور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة ، وكما ينبغي في منشور كلام العرب ومنظومه ، ورأيانهم قد استعملوها وتصرفوا فيها ، وكملوا بمعرفتها ، وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال ، إذ لا يكون للاسم بكونه خبرا لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالا لذى حال ، أو فاعلا أو مفعولا لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . .

فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية ، وباهر الفضل ، والعجيب من الوصف حتى أعجز الخلق قاطبة ، وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوي والقدرة ، وقيد الخواطر ، والفكر حتى خرسست الشقاشق (١) ، وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يبين بيان ، ولم يساعد إمكان ، ولم يتقدح لأحد منهم زند ، ولم يمض له حد ، وحتى أسال الوادى عليهم عجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً

(٢) دلائل الاعجاز - المقدمة الصفحة ٧

(١) الشقاشق : جمع شقشقة بكسر الشين : لهاة البعير وما يخرج من فمه إذا هاج

أيلزنا أن نجيب هذا الحضم من سؤاله ، نرده عن ضلالة ، وأن نطلب لدائه ،  
ونزيل الفساد عن رائه (١) .

وهنا يتصدى الجرجاني للرد على هذه التساؤلات جميعها ، مستخدماً الأسلوب  
المنطقي التحليلي ، مستعرضاً الكثير من الموضوعات اللغوية والبلاغية والمقارنات  
الأدبية ، ليصل من وراء ذلك جميعه الى غايته . . فنراه يتحدث عن المقصود من  
النظم ، وأنه ليس تأليف الألفاظ ، أو تنظيم مخارج الحروف . . وإنما النظم -  
في مفهومه - يخضع لقواعد وأصول يجب أن يراعيها الناظم في نظمه ، ليصل إلى  
قمة الجمال والروعة .

وبعد أن يؤكد الجرجاني على هذا الجانب في أكثر من موضع من (دلائل الاعجاز)  
يصل بقرائه إلى هدفه الأساسي وهو : إثبات حقيقة عجز العرب عن معارضة  
القرآن الكريم ، وانقطاعهم دونه بعد أن تحداهم على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور  
من مثله ، أو بسورة واحدة من سوره . . فعجزوا عن ذلك كله . . يقول :

« إنا إذا سئنا دليل الاعجاز فقلنا : لولا أنهم حين سمعوا القرآن ، وحين تحدوا  
إلى معارضته ، سمعوا كلاماً لم يسمعوا قط مثله ، وأنهم قد رازوا (٢) أنفسهم ،  
فأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه ، أو يداينه ، أو يقع قريباً منه ، لكان مجالا  
أن يدعوا معارضته ، وقد تحدوا إليه وقرعوا فيه ، وطولبوا به ، وأن يتعرضوا  
لشبا الأسنه ، ويقتحموا موارد الموت ، فقل لنا : قد سمعنا ما قلتم ، فخبرونا  
عنهم عماذا عجزوا ؟ . . أعن معاني من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ . .  
أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ فإذا قلتم عن الألفاظ . . فماذا أعجزهم من اللفظ ؟  
أم ما بهرهم منه ؟

فقلنا : أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق  
لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ، ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها . .  
وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظة ، وتنبية واعلام  
وتذكير ، وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة ، وبرهان ، وصفة وتبيان ، وبهرهم

(١) دلائل الاعجاز - المصحف - والراء : الراى .

(٢) رازوا انفسهم : اى اختبروا قوتهم .

أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشرا عشرا ، وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة يَتَّبِعُ بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح مكانا أو أشبه ، أو أحرى وأخلق . . بل وجدوا إتساقا بهر العقول ، وأعجز الجمهور نظاما وإلتئاما وإتقاناً وإحكاماً ، لم يدع في نفس بليغ منهم ، ولو حلتك بيافوخة السماء موضع طمع ، حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتقول ، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول (١) .

وهنا يتضح لنا مفهوم الجرجاني لفكرة الإعجاز ، وأن مردّها جميعا هو « النظم » لذلك فهو يطلب من الباحث عن حقيقة وكنه هذا الاعجاز أن يعمل عقله ، وأن يكد فكره ، ليصل عن طريق ذلك إلى المزايا والخصائص التي إمتاز بها نظم القرآن ليقف عليها بنفسه ، ونتيجة لآحساسه وذوقه ، لا أن يقلد غيره ، ويسير مع السائرين. وفي هذا المعنى يقول :

« فإذا كان هذا هو الذى يذكر في جواب السائل ، فبنا أن ننظر : أى أشبه باللقى في عقله ودينه ، وأزبد له في علمه وبقينه . . . أن يقلد في ذلك ، ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هي ؟ . . . ومن أين كثرت الكثرة العظيمة ، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر ؟ . وكيف يكون أن تظهر في ألفاظ محصورة ، وكلم معدودة معلومة ؟ بأن يؤتي ببعضها ، في أثر بعض لطائف لا يحصرها العدد ، ولا ينتهى بها الأمد ، أم أن يبحث عن ذلك كله ، ويستقصى النظر في جميعه ، ويتبعه شيئا فشيئا ، ويستقصيه بابا فبابا ، حتى يعرف كلا منها بشاهده ودليله ، ويعلمه بتفسيره وتأويله ويوفق بتصويره وتمثيله ، لا كمن قيل فيه :

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا (٢)

بعد كل هذا التمهيد والاسترسال ، والتنقل من موضوع إلى موضوع لإبراز الوجه الحقيقي للإعجاز وهو النظم - يعقد الجرجاني فصلا خاصا للحديث عن ماهية النظم ، يتحدث فيه عن الفرق بين نظم الحروف الذى يأتي بحسب تواليها في النطق ،

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٩

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٩ والبيت منسوب لأنس بن أنيس انظر الكامل للمبرد ١/٣١٦ طبع مصر



وبين النظم الذى يأتي اقتضاء لمعنى وفي ذلك يقرر : أن نظم الألفاظ يجب أن يقترن بترتيب المعاني ، لأن المعاني هي الأساس الذى يجب أن يراعى عند نظم الكلام ، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني ، لأنك « إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها ترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ، ولاصقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها من النطق ، وأعلم أنك إذا نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك إلا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبين بعضها على بعض ، ولا تجعل هذه بسبب تلك (١) .

ويؤكد الجرجاني هذا المضمون في موضع آخر فيقول : « وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت ، فلا تخل بشئ منها . . . إلخ (٢) .

هذا هو محور بحث الجرجاني في إبراز وجه الإعجاز القرآني ، كما وضع في كتابه دلائل الإعجاز . وهو نفس المحور الذى دار حوله لتأكيد وقوع هذا الإعجاز وإثباته في رسالته الشافية . فلننظر كيف أثبت وقوع الإعجاز القرآني . . وكيف توصل إلى ذلك في رسالته . .

افتتح الجرجاني رسالته - كعادته في بحوثه - بمقدمة استعرض فيها علاقة الألفاظ بالمعاني - أو كما يقول البلاغيون : الشكل بالمضمون ، وعلى طريقة المدرسين قال : « اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخص وأولى ، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى . ومأخذنا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب ، وبالقبول أخلق ، وكان السمع له أوعى ، والنفس إليه أميل ، وإذا كان الشئ متعلقاً بغيره ، ومقيساً على ما سواه ، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام وتقريره في النفوس أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ، ويؤنس به ويكون زمماً عليه يسكه على المتفهم له ، والطالب علمه (٣) .

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٨

(٢) الرسالة الشافية ص ١٠٧

(٣) دلائل الإعجاز ص ٥٥ انظر أيضاً ص ٢٨٤ من المصدر نفسه

إن المتأمل لهذه المقدمة . يستطيع أن يضع يده بسهولة على ما يرمى إليه الجرجاني خاصة بعد أن درسنا مفهومه . .

إنه يودّ أن يقول : إن القرآن الكريم بنظمه وتأليفه ، قد حاز هذه الفضيلة ، وإن هذا النظم كان مدعاة لأن يعترف العرب الذين تحلوا إلى معارضته ، أن الذى سمعوه تقصر دون محاكاته قوى البشر ، ويضيق به ذرع المخلوقين لأنه كلام رب العالمين . وتأكيذا لهذا الأمر — يقدم لنا جُملاً من القول «في بيان عجز العرب حين تحَدُّوا إلى معارضة القرآن ، وإذعانهم وعلمهم أن الذى سمعوه فائت للقوى البشرية ، ومتجاوز للذى يتسع له ذرع المخلوقين ، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم ، ويعلم الأدب جملة .

ثم يتحدث الجرجاني عن بلاغة العرب ، وتملكهم لزمام القول . . ولما كان القرآن معجزة الرسول الأُمى ، لذا كانت بلاغته فوق بلاغة العرب أنفسهم ، الذين دانت لهم الأساليب ، وتملكوا كل شئ فيها شعراً ونثراً وخطباً . .

من هنا سمعنا صوت الجرجاني وهو يتحدث طويلاً عن البلاغة العربية ، وعن التفاوت والتفاضل بين أساليب العرب من كلام الشعراء والأدباء ، وأن لهذا التفاضل غايات ينأى بعضها عن بعض ، ومنازل يعلو بعضها فوق بعض ، ليصل إلى حقيقة يعرفها وهى : أن العرب ( زمن الرسول الكريم ) كانوا القدوة في ذلك . ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيه عنهم . . يقول :

« معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل ، وإن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض ، ومنازل يعاوب بعضها بعضاً ، وأن علم ذلك علم يخص أهله ، وأن الأصل والقدوة فيه العرب ، ومن عداهم تبع لهم ، وقاصر فيه عنهم وأنه لا يجوز أن يدعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبى صلى الله عليه وسلم — الذى نزل فيه الوحي ، وكان فيه التحدى ، أنهم زادوا على أولئك الأولين ، أو كملوا في علم البلاغة أو تعاطبها لما لم يكملوا فيه (١) .

ويقدم الجرجاني شواهد على ذلك من واقع المجتمع العربي يومئذ . .

فهذا خالد بن صفوان يعترف بسبقهم ، وأنه وأمثاله لا يستطيعون مجاراتهم . .  
ويقول : « كيف نجاريهم وإنما نحكيهم ، أم كيف نسابقهم ، وإنما نجري على  
ما سبق إلينا من أعراقهم ؟ (١) » .

أما الجاحظ فإنه ينسب إلى العرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة  
وينظر في ذلك الشعوبية ، ويجهلهم ويسفّه أحلامهم في إنكارهم ذلك ، ثم يقول :  
« ونحن أبقاك الله إذا أدعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة ،  
من القصيدة والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج . .  
فمعنا على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرواق العجيب ،  
والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ، ولا أرفعهم في البيان أن يقول  
مثل ذلك إلا في اليسير والشئ القليل (٢) » . .

إن الجرجاني يريد أن يقول . . إنه إذا كان العرب الذي نزل فيه القرآن قد  
تحدوا به فعجزوا عن الاتيان به - مع ما كان في جعبتهم من أدوات الفصاحة  
وألوان البيان . . فمن الطبيعي أن يكون ما بعدهم من الأجيال أعجز منهم ، وما سوى  
العرب في ذلك منهم تبع لهم . . وفي الحقيقة فإن هذا الرأي قد سبق إليه الباقلاني  
ولكن الجرجاني لم يشر إليه . .

بعد هذا التمهيد ينتقل الجرجاني إلى توكيد عجز العرب عن معارضة القرآن  
ولقد اتخذ إلى ذلك سبيلا ملموساً من واقع أحوالهم . ودلائل أقوالهم . فيقول  
« وإذا ثبت أنهم الأصل والقدوة فإن علمهم العالم ، فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم  
وأقوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحذوا إليه ، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن أتوا  
بمثله ، ومن التقرير بالعجز عنه ، وبتّ الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدر  
عليه . . وإذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والاتيان  
بمثله ، ولم تحدّثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه » . .

ثم يتناول بالتحليل دلائل الأحوال فيقول :

« أما الأحوال فدلّت من حيث كان المتعارف من عادات الناس التي لا تختلف  
وطبائعهم التي لا تتبدل أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة ، وهم يجدون سبيلا إلى  
دفعها ، ولا ينتحلون العجز وهم يستطيعون قهرهم والظهور عليهم .

كيف؟ وأن الشاعر أو الخطيب يبلغه أن بأقصى الاقليم الذي هو فيه من يبأى (١) بنفسه ويدل بشعر يقوله أو خطبة يقوم بها أو رسالة يعملها ، فيدخله من الأنفة والحمية ما يدعوه إلى معارضته ، وإلى أن يظهر ما عنده من الفضل ، ويبدل ما لديه من المنة ، حتى إنه ليتوصل إلى أن يكتب إليه ، وأن يعرض كلامه عليه ببعض العلل وبنوع من التمثل ، هذا ولم ير ذلك الانسان قط ، ولم يكن منه إليه ما يهز ويحرك ويهيج على تلك المعارضة ، ويدعو إلى ذلك التعرض ، وإن كان المدعى ذلك بمراى منه ومسمع ، كان ذلك أدعى له إلى مباراته ، وإلى إظهار ما عنده ، وإلى أن يعرف الناس أنه لا يقصر عنه ، أو أنه منه أفضل ، فإن تضاف إلى ذلك أن يدعوه الرجل إلى مُمَاتِنْتِهِ ، ويحركه لقاولته ، فذلك الذي يسهر ليلة ويسلبه القرار ، حتى يستفرغ مجهوده في جوابه ، ويبلغ أقصى الحد في مناقضته .

ويضرب الجرجاني لذلك مثلا - بما حدث في العهد الأموي بين الشعراء عامة ، وما حدث بين جرير والفرزدق خاصة ، وقد اجتمعا في عصر واحد فيقول :

« كيف جَدَّ كل واحد منهما في مغالبة الآخر ، وكيف جعل ذلك همه وكده وقصر عليه دهره ، وليس به ولا يخشى إلا أن يُقضى لصاحبه بأنه أشعر منه ، وأن خاطره أهدأ ، وقوافيه أشرد ، لا ينازعه ملكاً ، ولا يفتات عليه بغلبته له حقاً ، ولا يلزمه به أتاوة ، ولا يضرب عليه ضريبة . . »

وبعد أن يكشف الجرجاني عن هذه الغريزة المتأصلة في النفس البشرية ، وكيف أن الناس فطروا على منافسة بعضهم البعض ، وتحدى بعضهم بعضاً . . يطبق هذه الفكرة على ما حدث في الأمة العربية منذ فجر تاريخهم الأدبي ، وكيف استبدت بهم هذه الغريزة يوم سمعوا القرآن ، ليصل من وراء ذلك إلى مرامه وهو :

إظهار موقف العرب من القرآن الكريم الذي جاء يتحدى هذه الغريزة في موطنها وعُقر دارها فيقول :

« وإذا كان هذا واجبا بين نفسين لا يروم أحدهما من مباهاة صاحبه إلا ما يجرى على الألسن من ذكره بالفضل فقط . . فكيف يجوز أن يظهر في صميم العرب ،

(١) يبأى : أى يفخر

وفي مثل قريش ذوى الأنفس الأبية ، والهمم العلية ، والأنفة والحمية ، من يدعى النبوة ، ويخبر أنه مبعوث من الله تعالى إلى الخلق كافة ، وأنه بشير بالجنة ونذير بالنار ، وأنه قد نسخ به كل شريعة تقدمته ، ودين دان به الناس شرقا وغربا ، وأنه خاتم النبيين . وأنه لا نبي بعده . . إلى آخر ما صدع به صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول :

وحجتي أن الله قد أنزل علىّ كتاباً عربياً مبيناً ، تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه ، إلا أنكم لا تقدرّون على أن تأتوا بمثله ، ولا بعشر سورة منه ، ولا بسورة واحدة . ولو جهدتم جهدكم ، واجتمع معكم الجن والأنس ، ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه ويبينوا سرّفه في دعواه ، مع إمكان ذلك ، ومع أنهم لم يسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قريب منه . »

« هذا وقد بلغ بهم الغيظ من مقالته ، ومن الذى ادّعاه حدّاً تركوا معه أحلامهم الراجحة ، وخرجوا له عن طاعة عقولهم الفاضلة ، حتى واجهوه بكل قبيح ، ولقوه بكل أذى ومكروه ، ووقفوا له بكل طريق ، وكادوه وكل من تبعه بضروب المكايده ، وأرادوهم بأنواع الشر . . »

« وهل سمع قط بنى عقل ومسكة استطاع أن يخرس خصماً له فقد اشتط في دعواه بكلمة يجيبه بها ، فترك ذلك إلى أمور يسفّه فيها ، وينسب معها إلى ضيق الذرع والعجز ، وإلى أنه مغلوب قد أعوزته الحيلة ، وعز عليه المخلّص ؟ . »

« أم هل عرف في مجرى العادات ، وفي دواعى النفوس ومبنى الطبائع أن يدع الرجل ذو اللب حجته على خصمه ، فلا يذكرها ، ولا يفصح عنها ، ولا يجلى عن وجهها ، ولا يريه الغلط فيما قال ، والكذب فيما ادعى ، ولا يدعى أن ذلك عنده وأنه مستطيع له ، بل يجعل أول جوابه له ومعارضته إياه التسرع إليه ، والسفه عليه والإقدام على قطع رحمه ، وعلى الإفراط في أذاه ؟ . »

« أم هل يجوز أن يخرج خارج من الناس على قوم لهم رياسة ، وهم دين ونحلة فيؤلب عليهم الناس ، ويدبر في إخراجهم من ديارهم وأموالهم ، وفي قتل صناديدهم وكبارهم ، وسي ذراريهم وأولادهم ، وعمدته التى يحد بها السبيل إلى تألف من بتألفه ، ودعاء من يدعوه ، دعوى له إذا هى أبطلت بطل أمره كله ، وانتفض

عنه تدبيره ، ثم لا يعرض له في تلك الدعوى ، ولا يشتغل بإبطالها ، مع إمكان ذلك ، ومع أنه ليس بمعتذر ولا ممتنع ؟ (١) . .

هذا عن دلائل أحوال العرب عند بدء الدعوة - أما أقوالهم التي استشهد بها الجرجاني فكثيرة - منها ما حَدَّثَ به الوليد بن المغيرة ، حين وقف متحيراً أمام روعة القرآن . لا يدري ماذا يقول فيه ، وقد وفدت جموع العرب - في الموسم - من كل مكان ، فذهب إلى قومه يشاورهم في الأمر ، فلم يجدوا ما يقولونه في هذا القرآن . قاسوه على الشعر وهم أفذاذ ، فلم يجدوا فيه ما يشبه شعرهم ، وقرنوه بالسجع فلم يتفق معه ، فلما أعيتهم الحيلة ، قالوا : إنه سحر . . سحر يفرق فيه بين المرء وزوجه ، وبين الأخ وأخيه ، إلخ ما قالوه (٢) .

ومن هذه الأقوال أيضاً - حديث عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليماً - حين أرسله قومه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - ليثنيه عن هدفه ، ويعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها منها ، فيعدل عن رأيه « فاستمع الرسول إلى قوله ، حتى إذا فرغ من كلامه ، تلا عليه الرسول ، « حم . . تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٣) » فلما سمعها عتبة أنصت له ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها ، يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها فسجد ثم قال له : قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه لينصحهم أن يكفوا عن محاربة محمد صلى الله عليه وسلم (٤) . . ومنها حديث أبي ذر في سبب إسلامه (٥) .

ولكى يوضح الجرجاني مراده ، يوسّع دائرة بحثه ، فيستطرد بالحديث عن ماذاع على السنة الناس من وقوع المعجزات عند بعض الناس ، دون بعضهم الآخر ، وهو ما يقع في الحياة بين الحين والحين من ظهور العباقرة والتوايغ في فن القول من أمثال إمري القيس وزهير والنابغة والأعشى وغيرهم ، ممن أجمع عليهم القول بأنهم

(١) الرسالة الشافية ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) انظر الحديث كاملا في الرسالة الشافية ص ١١١

(٣) سورة فصلت الايتان ١ ، ٢

(٤) انظر نص الحديث كاملا في الرسالة الشافية ص ١١٣ وما بعدها

(٥) انظر نص الحديث كاملا في الرسالة الشافية ص ١١٤ وما بعدها

شعر العرب . « فهؤلاء الأعلام يكونون عند ظهورهم قمما شامخة بين أبناء عصرهم بل ربما كانوا كذلك بين أبناء العصور السابقة أو اللاحقة ، فيأتون من الأعمال أو الأقوال ما يعجز عنهم أبناء جيلهم ، أو أبناء أجيال كثيرة قبلهم أو بعدهم ، ومع هذا فلم يكونوا من الأنبياء ، ولم يدعوهُمُ - أو يدعى لهم أحد أنهم من الأنبياء أصحاب المعجزات (١) .

فما تأويل هذا عند من يؤمنون بالأنبياء ، ويؤمنون بما حملوا من معجزات ؟ وما الفرق بين ظهور النبي في عصره . واحتلاله بالمعجزة التي بين يديه قمة الحياة . . وبين العبقري أو النابعة حين يظهر فيحتل بعلمه أو عمله قمة أشبه بهذه القمة ؟

هذا هو محور المناقشة في الفصل الذي خصصه الجرجاني لتولى الرد على هذه التساؤلات وتفنيدها . يقول في مطلعها (٢) :

«وأعلم أن ها هنا باباً من التليس أنت تجده يدور، في أنفس قوم من الاشقياء وتراهم يومئون إليه، ويهمسون به، ويستهوون الغر العجبى بذكره، وهو قولهم: قد جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهله حتى يسلموا له ، وحتى لا يطمع أحد في مداناته ، وحتى ليقع الاجماع فيه أنه الفرد الذى لا ينازع ، ثم يذكرون إمرأ القيس والشعراء الذين قدموا على من كان معهم في أعصارهم ، وربما ذكر الجاحظ . وكل مذکور بأنه كان أفضل من كان في عصره . . ولهم في هذا الباب خيط وتخليط لا إلى غاية ، وهى نفثة نفثها الشيطان فيهم ، وإنما أتوا من سوء تدبيرهم لما يسمعون وتسرعهم إلى الاعتراض قبل تمام العلم بالدليل . . .

« وذلك أن الشرط في المزية الناقضة للعادة ، أن يبلغ الأمر فيها إلى حيث يبهز ويقهر ، حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة ، وتخرس الألسن عن دعوى المداناة ، وحتى لا تحدث نفس صاحبها بأن يتصدى ، ولا يجول في خلد أن الاتيان بمثله يمكن ، وحتى يكون بأسهم منه ، وإحساسهم بالعجز عنه في بعضه مثل ذلك في كله (٣) . . . »

(١) عبدالكريم الخطيب ، اعجاز القرآن ص ٦٧ ،

(٢) الرسالة الشافية ص ١١٧

(٣) الرسالة الشافية ١١٧

هذا الذى يقرره الجرجاني . . هو مقطع القول في هذا الأمر . : إذ ليس الذى يأتي به العبرى ، أو النابغة من قول أو عمل ، الشئ الذى يقطع على الناس سبيل النظر فيه ، أو المساماة له ، أو الغلبة عليه ، فلم تشهد الحياة أبداً لإنسان أنه انقطع بعمله أو قوله عن منازعة الناس له ، والدخول معه فيما قال أو عمل ، فيقصرون عنه في جانب ، ويعملون عليه من جانب آخر ، فيما خيّل إلى الناس أنه انفرد به . . .

ويقيم الجرجاني مقارنة أدبية نقدية يجعل محورها إمرؤ القيس ، الذى عرف بأنه أشعر أهل زمانه ، ليصل عن طريق ذلك إلى تضحيد أقوال الظانين وردّها فيقول :

« وليت شعرى من هذا الذى سلم لهم أنه كان في وقت من الأوقات من بلغ أمره في المزية وفي العلو على أهل زمانه هذا المبلغ ، وانتهى إلى هذا الحد - إن قيل امرؤ القيس فقد كان في وقته من يباريه ، ويُمَاتِنِه ، بل لا يتحاشى من أن يدعى الفضل عليه ، فقد عرفنا حديث علقمة الفحل ، وأنه لما قال امرؤ القيس وقد تناشدا أيُّنا أشعر ؟ قال : أنا : غير مكترث أو مبالٍ حتى قال امرؤ القيس : فقلّ وأنعت فرسك وناقتك ، وأقول وأنعت فرسى وناقى ، فقال علقمة ، إني فاعل ، والحكمُ بينى وبينك المرأة من ورائك ، يعنى أم جندب ، امرأة إمرؤ القيس ، فقال امرؤ القيس :

خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى أُمَّ جُنْدَبٍ      نُقِضَ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ

وقال علقمة :

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ      وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

وتحاكما إلى المرأة ففضلت علقمة (١)

ويعمضى الجرجاني ، فيروى ما جرى بين امرؤ القيس وغيره من شعراء عصره من المساجلات والمباريات ، التى احتفلت بها كتب النقد والأدب ، ليصل في النهاية إلى ما يريد فيقول لقارئه :

« فاعلم أنهم إذا ذكروا في تعلقهم بالتواضع ومحاولتهم أن يمنعوا من الاستدلال مع تسليم عجز العرب عن معارضة القرآن ، من تراخى زمانه عن زمان النبى صلى



الله عليه وسلم ، كالجاحظ وأشباهه كانوا في ذلك أجهل ، وكان النقض عليهم أسهل ، وذلك أن الشرط في نقض العادة أن يعم الأزمان كلها ، وأن يظهر على مدعى النبوة ما لم يستطعه مملوك قط . . . »

« وأما تقدم واحد من أهل العصر سائرهم ، ففي معنى تقدم واحد من أهل مصر من الأمصار غيره ممن يضمه وإياه ذلك المصر ، لآ فضل في ذلك بين الأمصار والأعصار ، إذا حققت النظر ، إذ ليس بأكثر من أن واحداً زاد على جماعة معدودين في نوع من الأنواع ، فكان أعلمهم أو أكتبهم أو أشعرهم أو أحذقهم في صنعه ، وأبرهم في عمل من الأعمال ، وليس ذلك من الاعجاز في شئ . . . »

إنما المعجز ما علم أنه فوق قوى البشر وقدرهم ، إن كان من جنس ما يقع التفاضل فيه من جهة القدر ، أو في علومهم إن كان من قبيل ما يتفاضل الناس فيه بالعلم والفهم .

ويدعم الجرجاني هذا الرأي بتقديم مثال ملموس من واقع الحياة الأدبية ، وهو ما بلغه الجاحظ وأمثاله من مكانة علمية وأدبية ، نتيجة لما استقوه من كلام بلغاء العرب الذي تقدموا في الأزمنة . . . فيقول :

« وإذا كنا نعلم أن استمداد الجاحظ وأشباهه الجاحظ من كلام العرب والبلغاء الذين تقدموا في الأزمنة ، وأنهم فجزوا لهم ينابيع القول فاستقوا ، ومثلوا لهم مثلاً في البلاغة ، فاحتدوا ، إذن لم يبلغوا شأواً ما بلغوا ، ولم يدرك لهم من ضروع القول ما در ، ولو أن طباعاً لم تشرب من مأثم ، ولم تُغذَّ بجناهم ، ولم يكن حالهم في الاكتساب منهم ، والاستمداد من ثمار قرائحهم ، وتشتمم الذي فاح من روائحهم . حال النحل التي تغتذى بأريج الأنوار ، وطيب الأزهار ، وتملاً أجوافها من تلك اللطائف ، ثم تمجها أرياً وتقذفها مدياً (١) — إذن لكان الجاحظ وغير الجاحظ في عداد عامة زمانهم الذين لم يرووا ، ولم يحفظوا ، ولم يتبعوا كلام الأولين من لدن ظهر الشعر ، وكانت الخطابة إلى وقتهم الذي هم فيه ، ولم يعرفوا إلا ما يتكلم به آباؤهم وإخوانهم ومساكنوهم في الدار والمحلة ، أو كانوا لا يزيدون عليهم إن زادوا إلا بمقدار معلوم . »

(١) الأذى والمذى من اسماء عسل النحل

« فمن أعظم الجهل واشد الغباوة أن يجعل تقدم أحدهم لأهل زمانه من باب  
نقض العادة وأن يُعدّ معدّ المعجز . »

وهنا تتضح الفكرة التي تبناها الجرجاني وقدم لها ، وسعى إليها من كل هذا  
العرض والسرّ والتحليل ، لقد فرق بين النبي ومعجزته ، وبين العبقري وما تجود به  
قريحته من آثار أدبية يتميز بها عن عصره ، ويفوق بها أئداده ومعاصريه ، فيبدو  
وكأنه في القمة . . هذه القمة التي حبّبت بها القدرة الإلهية الأنبياء والرسل وأيدتهم  
بها دون سائر الخلق .

وعلى الرغم مما توصل إليه الجرجاني حتى الآن من نتائج . . وما وضح من أفكار  
إلا أنه يبدو غير مقتنع . . فنراه يفرد فصلاً جديداً يلحقه بما فات ، يذكر فيه ما دار  
على ألسنة الناس ، وكأنه يعبر هذا الموضوع اهتماماً كبيراً ، ويجعل منه منطلقاً  
لتفنيد مزاعمهم ، وردّ إدعاءاتهم . . فيقول :

« إنا قد علمنا من عادات الناس وطبائعهم أن الواحد منهم تواتيه العبارة ، ويطيعه  
اللفظ في صنف من المعاني ، يمتنع عليه مثل تلك العبارة وذا اللفظ في صنف آخر  
فقد يكون الرجل - كما لا يخفى - في المديح أشعر منه في المرثي . . وأنفذ منه في  
الحكم والآداب ، ونراه يستطيع في الأوصاف والتشبيهات ما لا يستطيع مثله في  
سائر المعاني . . وإذا كان كذلك ، فلعل العجز الذي ظهر فيهم عن معارضته القرآن  
لم يظهر لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم ، ولكن لأنهم لا يستطيعونه في مثل معاني  
القرآن . »

ويورد الجرجاني شواهد كثيرة من الشعر والنثر تؤيد وجهة نظره ، وتوضح  
هدفه . بعد ذلك - يردرداً حاسماً يبطل كل إدعاء ، ويضحد كل زعم ، فيقول :  
« وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع أن يكون سبيل لفظ القرآن ، ونظامه هذا السبيل .  
وأن يكون عجزهم عن أن يأتوا بمثله عن طريق العجز . »

« وأعلم أنهم في هذا كترامٍ قد أضل الهدف ، وبأن قد زال عن القاعدة ، وذلك  
أنه سؤال لا يتجه حتى يقدر أن التحدى كان إلى أن يعبروا عن معاني القرآن أنفسهم ،  
وبأعيانها بلفظ يشبه لفظه ، ونظام يوازي نظامه ، وهذا تقرير باطل .

فإن التحدى كان إلى أن يجيئوا في أى معنى شاءوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف أو يقرب منه ، يدل على ذلك قوله تعالى :

« قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مُفتريات (١) » أى مثله في النظم . وإذا كان كذلك كان بيّنا أنه بناء على غير أساس ، ورمى من غير مرمى ، لأنه قياس ما امتنعت فيه المعارضة من جهة ، وفي شئٍ مخصوص على ما امتنعت معارضته من الجهات كلها ، وفي الاشياء جميعها (٢) .

وهكذا وضحت فكرة الجرجاني . . العالم الأديب ، وهكذا أيضا وضح مفهومه للإعجاز . . لقد جعل الجرجاني نظم القرآن وجها يعلو على كل الوجوه ، وبني عليه كل آرائه ، بل لقد جعله محور تأليفه وتصانيفه التى خصصها لدراسة البلاغة العربية عامة ، والبلاغة القرآنية خاصة .

ومن الحق أن نقول ان الجرجاني وقد توفي في القرن الخامس ( ٤٧١ هـ ) قد أفاد إفادة كبيرة من كل الآراء التى طرحت على مائدة البحث ، خاصة آراء الجاحظ والرماني والباقلاني ، درسها واستوعبها ، ولكنه تأثر أكثر ما تأثر بالرماني ( المتوفي سنة ٣٨٨ هـ في آرائه البلاغية ، وإرجاعه أسرار الإعجاز القرآني إلى الوجوه البلاغية .

ومن الحق أيضا أن نقول - أن الجرجاني قد إلتقى مع الرماني فهما وتحليلا . كما إلتقيا في المنهج إذ أن منهج كل منهما كان يعتمد على الذوق الفنى ، والتذوق الأدبي ، وكلاهما نظر إلى أسلوب القرآن ووقفنا على مواطن الحسن والجمال فيه ، ويتضح هذا الأمر من تساؤل الجرجاني . . ماذا أعجز العرب ؟ وعن ماذا أعجزوا ؟ أعن معانٍ من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ ثم يجيب على هذا التساؤل بقوله : « أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ، ومجاري ألفاظه ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة ، كل عظة وتنبية وإعلام وترغيب في كل حجة وبرهان وصفة وبيان (٣) » .

ولكن الجرجاني أخذ هذا المنهج الذى وضع أسسه الرماني ، فتوسع فيه ، وربط

(٢) الرسالة الشافية ص ١٢٩

(١) سورة هود الآية ٢٣

(٣) دلائل الإعجاز ص ٢٨

بين المعاني والألفاظ ، مؤكداً على وجوب تلاؤم الألفاظ مع بعضها من حيث جرسها وموسيقاها (١) .

كما أننا لا نستطيع أن ننكر جهد الباقلاني ( المتوفي سنة ٤٣١ هـ ) ومدى تأثير الجرجاني به ، فالباقلاني أول من أشار إلى النظم بوصفه أحد وجوه ثلاثة حددها الرجل للإعجاز القرآني ، بيد أن هذا الوجه عند الباقلاني لم يكن محدد المعالم ، واضح القسمات ، إنما الذي وضّحه وأبرز قسامته ومعاله ، وألقى عليها مزيداً من الضوء : الجرجاني .

فلنستمع إلى قوله وهو يوضح مفهومه — بعد أن ردّ على القائلين والزاعمين وفنّد مزاعمهم ، « وإذا إمتنع ذلك فيها فلم يبق إلا أن يكون ( يقصد الإعجاز ) في النظم والتأليف . وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخى معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم ، وأتانا ان بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها ، وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ، ويجعل بعضها بسبب من بعض ، غير توخى معاني النحو وأحكامه فيها ، طلبنا ما كل محال دونه (٢) » .

فإن قيل : قولك ( إلا النظم ) يقتضى إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز ، وذلك ما لا مساغ له . .

قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضى دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز ، وذلك لأن هذه المعاني — التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها — من مقتضيات النظم ، وعنهما يحدث وبها يكون » .

وهكذا عمّق الجرجاني مفهومه للنظم ، ولم يقف عند حد ما وقف عنده الباقلاني لذلك وضح بين أفكاره هذا الوجه الإعجازى وضوحاً جلياً ، واستحق أن ينسب إليه دون غيره .

د. أحمد جمال العمري

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣١ - ٣٢

(٢) دلائل الإعجاز ٢٩٦



أمام الحجاب



# مَلاحِجُ المَجمَعِ الإِسلامِيِّ

لفضيلة الشيخ محمد السيد الوكيل

تمهيد : لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم - والناس فوضى متفرقون ، لا تكاد تجد شخصين يلتقيان على كلمة سواء ، ولا زوجين يسيران في اتجاه واحد ، قبائل متناحرة ، وبيوت ممزقة واسر متفرقة .

مجمع مهلهل في عقيدته ، مشتت في أوضاعه ووجهته ، واصدق تعبير عن هذا التمزق قول شوقي :

اتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام في صنم  
بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذه حال العرب ، بل حال الدنيا  
كلها ، فكانت مهمته - صلى الله عليه وسلم - جمع الشتات ، ولم الشمل ،  
ولهذا جاء - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد ، توحيد العقيدة وتوحيد الوسائل  
وتوحيد الغاية .

عروبتها في جمعها ، كما عجزت آلتها  
عن لم شملها ، وبالتالي عجزت صرخات  
الحنفاء من أبناءها الذين نادوا بالتحذير  
وحاولوا تبصيرها بعاقبة أمرها .

لقد عجزت كل الوسائل ، ولم يبق  
إلا التوحيد بمعناه الشامل الواسع الذي  
ذكرته سابقا . ولقد شاء الله - سبحانه  
لهذه الأمة أن تكون خاتمة الأمم ،  
كما شاء لرسالتها أن تكون للناس كافة ،  
فهى ليست دعوة أقليمية ، ولاهى

هذا التوحيد الشامل لكل نواحي الحياة  
المختلفة ، هو الغاية العظمى التى من  
أجلها بعث رسول الله ، فقامت أمته  
على التوحيد ، حتى كان التوحيد  
اساس عقيدتها ، وواضع نظمها وثقافتها  
وروح منهاجها وطريققتها ومنطلق  
وسائلها وغايتها .

لم يكن هناك شئ يجمع هذه الأشلاء  
الممزقة الا التوحيد ، حيث عجزت  
هذه الأمة أن تلتقى على شئ فشلت

دعوة شعبية ، بل هي للأمم عامة وللناس كافة « وما ارسعناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (١) .

فكان لا بد لهذه الأمة المصطفاه ، التي كتب لها ان تبقى لتشهد مصرع الحياة ، كان لا بد لهذه الأمة من ملامح تميزها عن غيرها من الأمم التي ستعصرها في تلك الحقيقة من الزمان ، فكانت تلك الملامح مجتمعة في التوحيد : وحدة العقيدة ، وحدة الوسائل ، ووحدة الغاية .

#### ١ - وحدة العقيدة :

العقيدة أهم وسائل توحيد الأمة ، لأن الأمة إذا كانت موزعة العقيدة متفرقة الدين تتخطفها آلهة شتى ، ويتنازعها أرباب متفرقون ، كانت أمة مبعثرة الاتجاه ، ممزقة الشريعة ضالة الغاية .

فتوحيد العقيدة يتجه أولا إلى توحيد الله - عز وجل - إذ يقتضى التوحيد أن يكون إلهها واحدا ، وأن يكون هو ربها الذى تدين له بالربوبية ، وهو هو - سبحانه معبودها الذى تعنو له جباهها .

وتوحيد العقيدة يقتضى صرف العبادة بأنواعها المختلفة إلى ذلك الإله الواحد ،

فيكون توكلها عليه ، ورجاؤها فيه ، وخوفها منه ، ومحبتها له ، كما يكون نذرها وذبحها ، واستغاثتها واستعانتها ، ودعاؤها وأملها ، كل ذلك يكون لذلك الإله الواحد - جل وعلا - .

وإن أول تفرق الأمة وتمزقها ، يأتيها من تفرق عقيدتها ، فدعاء الناس مخلوقا لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا هو أول أبواب الشر الكثيرة التي تفتح عليهم وخوفهم من المخلوقين وتوقع الضر والنفع منهم هو أعظم البلاء الذى ينزل بهم ، وتوكلهم على ذوى الجاه والمناصب واعتقادهم بأنهم هم الذين يسيرون الأمور ، ويدفعون الشرور ، هو اكبر المخاطر التي تحيق بهم .

فإذا تحقق التوحيد - بهذا المعنى - في القلوب ، وسيطر على النفوس ، غير مجرى الحياة كلها ، فترى الناس يستمدون قوتهم من الله الواحد ، ويستلهمون خطتهم من الإله الواحد ، تطمئن قلوبهم إلى نصره ، وتطمع نفوسهم في تأييده ، وتمتد إليه - سبحانه أيديهم بالسؤال ، لأنه وحده الذى يملك الإجابة وتعنو جباههم له بالعبادة ، لأنه الواحد الذى يستحق العبادة ، وتطأ رؤسهم لعظمته ،



لأنه الواحد المتفرد بالعظمة ، وتنحى هاماتهم خضوعا لجلاله ، لأنه وحده ذو الجلال والإكرام ش وتقطع آمالهم إلا من كرمه لأن خزائنه سحاء الليل والنهار ، وتخضع اعناقهم لحكمه ، لأنه - جل شأنه - لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

فهو - جل جلاله - الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

إن عقيدة التوحيد تجمع القلوب المتفرقة ، وتمد الضعفاء بقوة فوق قوة البشر وتجعل الأمة المبعثرة الممزقة وحدة ترهب الأعداء ، وتحقق الآمال ، وتنشر العزة بين الصفوف فيواجهون الشدائد بعزة المؤمنين ، ويتغلبون على الصعوبات بقوة اليقين بنصر الله .

تلك هى الممحة الأولى من ملامح المجتمع الإسلامى وهى الممحة الأهم التى ركز عليها الرسول - صلى الله عليه وسلم - منذ بعثته حتى انتقل إلى جوار ربه .

## ٢ - وحدة الوسيلة :

إذا كانت وحدة العقيدة هى الممحة الأولى للمجتمع الإسلامى فإن وحدة

الوسيلة هى الممحة الثانية من تلك الملامح ووحدة الوسيلة من أهم أسباب وحدة الأمة لأن الوسائل هى الطرق المؤدية إلى الغاية .

والغاية فى الإسلام هى إرضاء الله - عز وجل - بطاعة فيما أمر ونهى وإخلاص العبادة له وحده دون سواه « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون » (١)

ولقد شرع الإسلام الوسائل التى تتضمن توجيه الناس إلى الغاية التى خلقوا لها حيث شرع العبادات ، وكلف بها الجميع على السواء ، وهى علاوة على كونها عبادة لله - عز وجل - فإنها وسائل تجمع الأمة ، وتخط لها طريقا سويا ، تسير فيه على هدى وبصيرة حتى تصل إلى غايتها .

والوسائل فى الإسلام يجب أن تكون شريفة تشرف الغاية التى تريد الوصول إليها ، والإسلام يرفض القاعدة التى اختطها بعض الناس ، ورسموا على أساسها منهج حياتهم ، وهى ( الغاية تبرر الوسيلة ) برفض الإسلام تلك القاعدة ، لأن الغاية التى يعمل لها نظيفة وشريفة ولا يمكن الوصول إليها إلا بالوسائل النظيفة الشريفة .

تدعو إلى مثل وفضائل عالية ، وهي  
تجتمع كلها في العبادات .

### كيف تحقق الوسائل أهدافها ؟

سنرى فيما يأتي كيف تحقق هذه  
الوسائل أهدافها ولنبدأ بالصلاة :

الصلاة : فالصلاة تجمع المسلمين في  
الحى كل يوم خمس مرات ، وفي كل  
أسبوع مرة على صعيد القرية أو المدينة  
في صلاة الجمعة ، ثم في كل عام مرتين  
في صلاة العيدين على صعيد المدينة .

ولا يجوز لمسلم يسمع النداء ، وهو  
غير معذور ، ثم يصلى في بيته ، وهذه  
الصلاة تكون في جماعة ليجتمع  
المسلمون فتزيد قوتهم ، وتقوى روابط  
المحبة والمودة بينهم .

الصيام : وهو فريضة جماعية من حيث  
زمانه ، فلا يجوز لمسلم أن يصوم شهرا  
شعبان بدلا من شهر رمضان ، وفترة  
الصيام محدودة من طلوع الفجر إلى  
غروب الشمس ، وذلك هو عين  
المعنى الجماعى الذى ينشده الإسلام .

الزكاة : تجمعها الدولة من كافة  
الموسرين وتوزع على المحتاجين ،  
فمجموع المسلمين الأغنياء يحسون  
بحاجة إخوانهم الفقراء ، فيبدلون من  
أموالهم ، فتتوطد علاقات المحبة ،

فهما كانت عظمة الغاية ، ومهما  
كانت حاجة الإنسان إليها ، فإن ذلك  
لا يبرر مطلقا الوصول إليها بوسائل  
غير مشروعة ، لأن الوسائل غير  
المشروعة ، لا توصل إلا إلى غايات  
غير مشروعة .

فإذا كنت تريد جمع المال الحلال ،  
فإنه لا يمكنك الوصول إليه بطريق  
الربا ، أو الاحتيال أو الرشوة أو  
القمار .

وإذا كانت غايتك أن تعف نفسك ،  
فلا يمكنك ذلك عن طريق الزنا أو  
اللواط . وإذا أردت أن تكون شجاعا ،  
فلا يتأتى ذلك بالاعتداء على الناس ،  
وظلم الضعفاء . وفرق واضح بين  
أولئك الذين يتحرون الحلال في المكسب  
والمطعم والمشرب ، وبين أولئك الذين  
يريدون جمع المال ، ولا يهمهم كيفية  
الحصول عليه ، وبين أولئك الذين  
يريدون إعفاف انفسهم ، وبين الذين  
لا هم لهم إلا اشباع رغباتهم ، وبين  
الشجاع الأبي وبين المعتدى الأثيم .

الفرق واضح بلا شك ، لأن الغاية  
الشريفة تأتي أن تنال بوسائل خسيصة  
لهذا فإننا نرفض تلك القاعدة ، ونرفض  
أن تكون مناهج حياتنا ، ولهذا أيضا  
كانت وسائلنا كلها وسائل سامية ،

والمودة بين أفراد الشعب ، فيعيشون  
كالحسد الواحد .

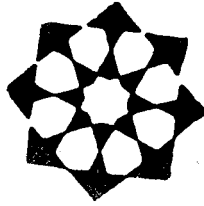
ثم الحج : وهو فريضة يظهر فيها الجانب  
الجماعي واضحا ، فالمسلمون يلتقون  
في يوم واحد ، وليس لمسلم ان يتقدمه  
أو يتأخر عنه ، ثم هم يلبسون زيا  
واحدا ، ويؤدون أعمالا جماعية ،  
 واجتماع المسلمين في يوم واحد ،  
ومكان واحد ، وقيامهم بأعمال واحدة  
كل ذلك ينمى فيهم الروح الجماعية  
التي جاء من أجلها الإسلام .

ومن هذا العرض السريع نتبين أن  
العبادات التي فرضها الله - تعالى - على

المسلمين ، كلها وسائل تجميع للأمة  
تربي فيهم حب الجماعة ، وتنمى فيهم  
الروح الجماعية .

فالإسلام إذن هو دين التوحيد الخالص ،  
دعا إليه في العقيدة ، ورسمه في الوسائل  
وفرضه على المسلمين في مشارق الأرض  
ومغاربها ، وتلك هي اللوحة الثانية  
من ملامح المجتمع الإسلامي فالمجتمع  
الإسلامي هو المجتمع الذي يعيش  
بعقيدة التوحيد ، ويتوصل إلى غايته  
بوسائل واحدة .

وهناك لمحة ثالثة موعدا معها العدد  
القادم :



# الانسان .. والعصيات .. !

لفضيلة الشيخ عبدالفتاح عشماری

لقد هممت أن أقلب العنوان فأجعله ( العصيان والإنسان ) فتصبح كلمة ( العصيان ) سابقة لكلمة ( الإنسان ) ، لولا خشيتي من أن أقلب معها ترتيب الخلق الإلهي ، حيث كان الإنسان ثم العصيان ، وسبب تفكيرى في أن أجعل المعصية أولا ، هو أن الإنسان من شدة حرصه على أن يذنب ، يكاد يجعل عمره بحثا عن الذنب أين يكون ليقترفه ، فالإنسان هو اللاحق التابع ، وذنبه هو السابق المتبوع ، ودليلي فيما ذهبت إليه من هذا التصوير ، هو كلام خالق الإنسان سبحانه ، حيث يقول : ( فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ) ( ومن أضل ممن اتبع هواه ) . .

فالآيتان الكريمتان تخبران بأن الأهواء هى المتبعة ، وأصحابها هم التابعون لها ، وقوله أيضا عز من قائل : ( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ) ، فالآية هنا لم تجعل الذنب متبوعا من الإنسان فقط كما في الآيتين السابقتين ، وإنما زادت بأنه قد اتخذ إلهها ، فالمعروف بأن الإله هو المطاع ، والعابد هو المطيع ، فهل يكون في الأمر غرابة إذا عكسنا العنوان وقلنا : ( العصيان والإنسان ) ، بعد أن سمعنا قول العليم بما نخفي وما نعلن ، وبما أكد أن الإنسان هو المنقاد لذنبه ، بغض النظر عن الدافع لأرتكاب الذنب شيطانا كان أو نفسا أمارة ، وبغض النظر أيضا عن النسبة القليلة المطيعة في المجموعة البشرية ، الذين غلب خيرهم شرهم ، ولم يسمحوا للنفس ولا للشيطان عليهم بمطلق السلطان ، لأن الشيطان نفسه بادئ أمره في السماء قد أعلن ذلك أمام هذه القلة العاقلة من الذرية الآدمية ، حين قال لربه : ( لئن أخرجتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ) ، فقد أدرك أن هؤلاء المطيعين سيكونون مستعدين للمقاومة الدائمة لكل نوازع السوء ، فيصح حديثي عنهم تحصيل حاصل ، ولأنهم قليل ما هم حيث أحبوا العمل وكرهوا القول ، وأنفوا التحدث عنهم ، فلم يعطونا من أنفسهم مادة لنكتب عنهم أو نخطب ، أما عكسهم فهم الأكثر والأشهر ، فقد قدموا المدد

العريض من شرهم ليقول عنهم من شاء بما يشاء ، إذأ لما جعلت الإنسان والعصيان شيتين لا يفترقان ، وعبرت عن الفريق الذى فسق عن أمر ربه لكثرتة كأنه الكل ، ما غلوت في ذلك ، خاصة بعدما سمعنا عن اللعين أبي الشيطان ( لأحتنكن ذريته ) أى لأستأصلن الخير من كل ذرية آدم ولم يستثن إلا القليل الذى ذكرته الآية ، واستثناؤه لهذا القليل هو الدليل على عجزه عن بلوغ قصده ، وإلا لاحتنك كل الذرية ولم يستثن أحدا ، فقد قيل إنه سئل عن أى شئ أحب إليه فقال : لو عرض على ملك الدنيا وأن أضل واحدا من ذرية آدم لاخترت الثانية ، إذأ فقد أطيع ممن أطاعوه بسهولة منهم ورضا ، وهو بنفسه سيقول هذا يومها ( وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلموني ولو موا أنفسكم ) وعليه فلا يجوز للعصاة قولهم غلبنا الشيطان ، والصحيح أن يقولوا دعانا فاستجبنا ، حيث لم نستعمل مجرد العقل لندرك به النجاة من الهلكة ، وحيث تقرر في الآخرة الحقيقة التى كان يكفى فيها تحكيم العقل قبل النقل ، عندما يقال لهم عن حصاد الشيطان معهم : ( ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ، أفلم تكونوا تعقلون ) ؟ فهو هنا سبحانه اكتفى بذكر العقل الذى هو أساس فهم الأمر ضارا كان أو نافعا ، وما الرسل مع العقل إلا مبشرين لمن عقل ، ومنذرين لمن جهل ، والعجب في الإنسان أنه ما نقم وكان لربه خصيما ، إلا وهو موقن من أنه أكثر المخلوقات استئثاراً بما في دنيا الله من نعم ، وغمره بما في سمائه وأرضه من خير ( وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ) ولأني مصر على أن الإنسان أذل نفسه للمعصية وجعلها سيدته المتحكمة في أمره ، ولم يكرم آدميته المكرمة من الله ، ولا ما أشهده على نفسه يوم أن أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، أقدم دليلا من قصة أمر رسولنا صلى الله وسلم أن يقصها علينا ، ( فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ) ، ليعلمنا بها سبحانه أن أول عمل عمله الإنسان على الأرض بعد الإشهاد والتكريم ، هو مقابلة الإحسان بإغضاب المحسن تعالى ، وبأفحش ما يستجلب به سخطه ، فكانت أول معصية وقف أمامها الإنسان أحقر ما يكون ، لما فتك بإنسان مثله ، وجعل بداية ما تستقبل الأرض هو الدم الأحمر القاني يختلط بثرها ، يتفجر من جسد المظلوم هايبيل ، بيد قاييل أخيه ابن أمه وأبيه ، من هنا ، كان الشر في الدنيا هو السائد ، والذنب للإنسان هو القائد ، واستحق أن يكون ظلوما جهولا ، لما لم يكن مع عهد الله من الأوفياء ، ولا على أمانته من الأمناء ، والقصة هى ، ( واتل

عليهم نبأ بنى آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين ) ، فالأخ القتيل ذكر أخاه القاتل بربه وخوفه منه ، لما ذكر له أنه لن يرد سوء العمل بمثله لأنه يخاف الله ( لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ) السبب ( إني أخاف الله رب العالمين ) لكن لما كان جانب الشر في الإنسان أقوى وأسبق ، وأنه عندما يسيطر عليه شره ، يصبح الأسير المطيع لخبث نفسه ، وعلى هذه الصورة قدمت إلينا الآية قابيل القاتل بأنه وقد ذكره أخوه بربه ، ورهبه من ناره التي أعدها لكل أثيم ، ، عندما قال له : ( فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ) . أقول بعد هذا كله ، لم تتحرك شعرة في قابيل نحو أخيه من حنو أو رحمة ، ولم يحاول التخلص من طاعة نفسه المتوحشة ، وإنما انقاد لها ذليلا بأسرع ما تكون الطاعة ( فطوعت له نفسه ) ، وقتل من ؟ تقول الآية ( قتل أخيه ) وبهذا قضى عليه بالحسران ( فأصبح من الخاسرين ) ، ووضع قابيل بإثمه بداية الحُسْرِ على الأرض لما أصبح أول خاسر ، فكانت الكثرة والهيمنة فيها من نوع أول ما عمل على ظهرها ، وهو الكفر بالله والاقتران بمعصيته ، وهكذا انطلق الإنسان في أحقاب الدنيا متقلبا في درك المنكر ينوعه ويفرعه ، لا يرده حياء ولا يخجله فحش ، حتى آتى نوعا من الذنب بعد القتل تكاد السماء منه تنهال وتندك له الجبال ، ما فعلها كائن من خلق الله ولا عالما من عالمينه ، لقد رأى الكثير منا أحط الحيوانات تتناكح ، كالقرد والخنزير والكلب ، ورأينا كيف ترفع هذه الحيوانات وتعفف من أن يعتلى الذكر ذكرا مثله ، ويرفض أن يقدر نفسه بمفرز الغائط ، يحدث هذا من أحط الكائنات التي يسميها العلماء حيوانات غير محترمة ، ولكنها أثبتت أنها محترمة عن الإنسان لما تعالت عن هذه الفعلة الوسخة ، وراح هو يفعلها ليكون في ذلك أحط من الكلب والقرد والخنزير ، وليكون له فضيحة البدء وعار السابق بعمل لم يكن له من قبل وجود في دنيا الله ، عندما اعتلى الإنسان الإنسان تاركا أثاه التي كمل الله بها إنسانيته وذرا بها نوعه ، وذلك بما حكى القرآن على لسان نبي كريم ( ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون ) ، فالآية هـ

لم نقل : أتأتون الكبيرة ، لأنها قد تدخل مع أنواع الكبائر على عمومها ، وإنما وصفت بأغظ وصف وضع لكبائر معينة لا يؤجل أمرها إلى لقاء الآخرة ، كذلك أثبتت الآية دليلاً إلى ما تقدم من أدلة على أن الإنسان أسلم قياده للمعصية ، حتى جعلها تسبق وهو يلحق ، لما قال لوط عليه السلام لقومه المنصوحين : ( ما سبقكم بها من أحد من العالمين ) ، والتفسير هنا واضح من أن كلمة ( أحد ) مقصود بها كل كائن حي وليست مقصورة على جنس الإنسان ، أى لم يسبقكم إليها كائن ما والدليل قوله : ( من العالمين ) ، فلو كان القصد عالم الإنسان فقط ما جمعت الكلمة على الإطلاق ، وحتى كلمة ( ما سبقكم ) ، ليس الغرض منها - والله أعلم - السبق الزمني وحده ، وإنما السبق الزمني والفعل قبل لوط وبعده ، فإنه وإن كان الإنسان لم يفعلها قبل إنسان لوط لكنه لا زال يرتكبها نوع من الإنسان حتى الآن ، أما الحيوان فلم يفعلها لا قبل لوط ولا بعده ، ومن هنا يكون معنى قوله ( ما سبقكم بها من أحد من العالمين ) لم يفعلها غيركم من كل العالمين ، ولذلك كان عقاب الله فريداً في نوعه لم يقع لقوم أى رسول ( فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ) أى محمية في النار ، لأن عملهم بلغ قمة الإسراف بوصف نبيهم لهم ( بل أنتم قوم مسرفون ) ، واليوم نسأل ، هل هذا العمل الذى سمعنا عنه الآن ما يربح ، قد قطع دابره اليوم من أمتنا الإسلامية على أساس أننا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولسنا أمة لوط عليه السلام ؟ سؤال معلوم جوابه في قصة الإنسان والعصيان .

إن المعصية في ذاتها شئ لا بد أن يكون ، فالعصمة لرسول الله وأنبياؤه صلوات الله وسلامه عليهم ، ولكن الذى لا يجوز أن يكون ، هو أن تستمر المعصية حتى تشقى صاحبها ، وأنواعها شتى لا يحيطها حصر ، لكنها جميعها تقع بين دفتي معصيتين ، إحداها كبراً وهي التى تلبس صاحبها الكفر عندما يأتي الاعتراف بموجده سبحانه ، والثانية صغراً وهي مقترفة الدم ، وهذه سنفضل أمرها بعد ان شاء الله ، حيث هى للمسلم الذى تقع منه صغائر وكبائر ، أما الكافر فلا صغائر له ولا كبائر ، فقد انضوى كل قبحة تحت ذروة ظلمه ( فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدق عنها ) ، أى لا أحد أظلم منه ، فكل ما يصدر منه كفر صغر أو كبير ، لكنه وهو في قمة أو قمامة كفره إذا فطن إلى سوء نفسه ، وزكاه بعد أن دساها ، وفهم بأنه وُجد من هو جد واحد يتحتم أن يوجد ، فمرحبا به في سعة ربه يكرمه ويفرح به

ويقبل عليه وكأنه لم يكفر به يوما ، مهما طال كفره وفحشت معصيته ، وإليكم من نوع تصحيح الإنسان لإنسانيته عندما يميل عنها ، قصتان من وقائع عصر النبوة ، أولاهما وقعت من عبد الله بن الزبير لما هرب يوم الفتح إلى نجران ، وكان شاعرا حتى قيل إنه أشعر شعراء قريش ، وسخر شعره في هجاء المسلمين ، فبلغه ما قاله عنه حسان بن ثابت رضي الله عنه في هذين البيتين : -

لا تعد من رجلا أحلك بغضه      نجران في عيش أخس لئيم  
غضب الإله على الزبير وأبنة      وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما بلغه شعر حسان رجع حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه ، فلما نظر الرسول إليه قال لهم : ( هذا ابن الزبير ومعه وجه فيه نور الإسلام ) ، فلما وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السلام عليك يا رسول الله ، شهدت أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله ، والحمد لله الذي هداني للإسلام ، لقد عاديتك وأجلبت عليك ، وركبت البعير والفرس ومشيت على قدمي في عداوتك ، ثم هربت منك إلى نجران وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبدا ، ثم أردني الله منه بخير وألقاه في قلبي وحببه إلى ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ذا عقل من حجر يعبد ويذبح له لا يدري من يعبده ومن لا يعبده فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ( الحمد لله الذي هداك للإسلام ، إن الإسلام يجب ما كان قبله ) ، ثم قال بعد ذلك هذه الأبيات : -

منع الرقاد بلا بل وهموم      والليل معتلج الرواق بهيم  
مأتاني أن أحمد لا مني      فيه فبت كأنني محموم  
إني لمعتذر إليك من الذي      أسديت إذ أنا في الضلال أهيم  
فاليوم آمن بالنبي محمد      قلبي ومخطئ هذه محروم  
فاغفر فدى لك والدي كلاهما      زللي فإنك راحم مرحوم  
وعليك من علم المليك علامة      نور أعز وخاتم مختوم  
أعطاك بعد محبة برهانه      شرفا وبرهان الإله عظيم  
ولقد شهدت بأن دينك صادق      حق وأنت في العباد جسيم  
والله يشهد أن أحمد مصطفى      مثقل في الصالحات كريم



والثانية من صحابي منسى قل الحديث عنه ، مع أنه ابن عم شقيق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشبيهه في الحلقة والخلق ، وهو أبو سفيان بن الحارث ، غير أبي سفيان بن أمية حتى لا يشتبه الأمر على بعضنا لقلّة معرفة صاحب القصة كما ذكرت إلا بكلمات في كتيبات ، يقول أهل السّيَر : كان أبو سفيان بن الحارث بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، أرضعته حليمة بنت سعد ، وكان يألف رسول الله قبل البعثة ، فلما بعث عاداه أبو سفيان عداوة لم يعاد بمثلها أحد قط ، فمكث عشرين سنة عدوا لرسول صلى الله عليه وسلم وبهجو المسلمين بشعره وبهجونه ، ولا يتخلف عن موضع تسيير فيه قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نصر الله رسوله وتهايا لفتح مكة ، قال أبو سفيان بن الحارث : فقلت : من أصحاب ومع من أكون ؟ . قد ضرب الإسلام بجرانه ، فجئت زوجتي وولدي فقلت : تهيو للخروج من مكة فقد أظلم قدوم محمد ، قالوا : قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً وأنت موضع في عداوته وكنت أولى الناس بنصرته ، فأصاب قولهم موضعاً في نفسي ، فخرجت متوجها نحوه على قدمي نحواً من ميل ، وكان قد نذر دمي ، فتنحيت خوفاً من أصحابه ، فلما طلع في موكبه تصديت له تلقاء وجهه ، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى ، فتحولت إلى ناحية وجهه فأعرض عني مراراً ، فأخذني ما قرب وما بعد ، وقلت : أنا مقتول قبل أن أصل إليه ، وأتذكر بره ورحمه فيمسك ذلك عني الخوف ، وقد كنت أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً لقرابتي برسول الله . فلما رأى المسلمون إعراضه عني أعرضوا عني جميعاً ، فلقيني أبو بكر معرضاً عني ، ونظرت إلى عمر فقال لي : يا عدو الله ، أنت الذي كنت تؤذي رسول الله وتؤذي أصحابه ، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته ، ورفع صوته واستطال عليّ ، فدخلت على عمي العباس فقلت يا عم قد كنت أرجو أن يفرح بي رسول الله بإسلامي لقرابتي وشرفي وقد كان منه ما رأيت فكلمه فيّ ليرضى عني ، قال : لا والله لا أكلمه كلمة بعد الذي رأيت إلا أن أرى وجهها ، إني أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابه ، فقلت يا عم ، إلى من تكلني ؟ قال : هو ذاك ، فلقيت علياً فكلمته فقال لي مثل ذلك ، فخرجت فجلست على باب منزل رسول الله حتى راح إلى الجحفة ، وهو لا يكلمني ولا أحد من المسلمين ، وجعلت لا ينزل منزلاً إلا وأنا على بابي ومعى ابني جعفر قائم ،

فلا يراني إلا أعرض عني ، فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة ، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح ، فدنوت من باب قبته فنظر إلى نظرا هو ألين من ذلك النظر الأول ورجوت أن يتبسم ، ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخلت معهن زوجتي فرقته عليّ ، وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال ، حتى خرج إلى هوازن في حنين فخرجت معه ، وقد جمعت هوازن جمعا لم تجمع العرب مثله قط ، فلما لقيتهم قلت : اليوم يرى أثرى إن شاء الله ، فلما لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله ( ثم وليتم مدبرين ) وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وجرده سيفه ، فاقتمحت عن فرسي وبيدي السيف صلتا قد كسرت جفنه ، والله يعلم أنني أريد الموت دونه ، وهو ينظر إلى لا يعرفني حيث لم يبدا إلا عيناى ، وأخذ العباس بلجام البغلة وأخذت بالجانب الآخر ، فقال : من هذا ؟ فقال العباس : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث ، فأرض عنه أى رسول الله ، قال : قد فعلت ، فاغفر الله له كل عداوة عادانيتها ، ثم التفت إلى فقال : (أخى لعمري) ، ثم أمر العباس فقال : ناد يا أصحاب السمرة ( أى شجرة الرضوان ) يا للمهاجرين ، يا للانصار ، فأجابوا ، لبيك داعى الله ، وكروا كرة رجل واحد ، قد حطموا الجفون وشرعوا الرماح وخفضوا عوالى الأسته وأرقلوا إرقال الفحول ، يؤمون الصوت صائحين ، يا لبيك يا لبيك ، حتى أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم رسول الله في نحور القوم ما يألوا ما تقدم ، فما قامت لهم قائمة وتفرقوا في كل وجه ، وذكر ابن عبد البر بإسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت : مر علينا أبو سفيان بن الحارث فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( هلمى يا عائشة حتى أريك ابن عمى الشاعر الذى كان يهجوني ، أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه ، لا يجاوز طرفه شرك نعله ) ، فقد روى أنه رضى الله عنه ظل لا يرفع رأسه إلى النبى صلى الله عليه وسلم حياء منه حتى مات ، ولما لحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بكى عليه كثيرا وراثه بقصيدة مؤثرة موضحة في كتب السيرة ، ولما حضرته رضى الله عنه منيته ، بكى عليه أهله فقال لهم : لا تبكوا عليّ ، فما تنظفت بخطيئة منذ أسلمت ، انتهت القصة أو أكثرها ، فابن الحارث إبان كفره لم يكن سلبى الكفر ، بمعنى أنه لم يقف عند تكذيب ابن عمه صلوات الله عليه كما فعل كفار غيره ، اكتفوا بإعطاء ظهورهم للرسول واتجهوا منكبين على أصنامهم ، أما هو فقد جَسَم كفره بلسانه وسيفه يظلمان معه على امتداد عشرين

عاما قضاها خصيما لمن هو عند الله أكرم الخليفة حتى نذر دمه ، ومع هذا كله وجد عند الله الترحاب في أوسع رحاب لما فر إليه من كفره ( قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ) ، فما عذر الكافر اذا بقى بعد ذلك على كفره ، والعاصي إذا بقى على معصيته، وثاني ما في قصة ابن الحارث أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع لإسلام ابن عمه في يوتقة امتحان الإيمان ، لإبتداء من الإعراض عنه أول ما لقيه إلى أن احمر جمر يوم حنين ، فأثبت رضى الله عنه أن الإسلام ألبسه حلة العزة لما قال يومها عن الرسول : والله يعلم أنني أريد الموت دونه ، وعندئذ فاز بأعلى وسام يوضع على صدور الأئمة على الكافرين ، ساعة أن قال له القائد صلوات الله عليه : ( أخى لعمرى ) ، فما بال أمتنا اليوم رغبنا عن التزين بهذا الوسام ، ولماذا نكس علم الجهاد وبقاعنا الغوالى في كل مكان تنادى منقذها ؟ سؤال معلوم جوابه ، في قصة الإنسان والعصيان .

ومن المؤسف أن بعض من يتصدرون المجالس والمجامع ليبلغوا عظة الله إلى عباده أن يقدموا إليهم قول الله تعالى : ( إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ) ، بصورة تفتح للشيطان بابا واسعا ليلج منه إلى نفوس من يسمعونهم ، فهذا البعض المتحدث عن هذه الآية يكتفى بتقديم بشرى لسامعيه بأن الصغائر يحوها ترك الكبائر ، فهذا التفسير من حيث السطحية صحيح ، ومن حيث فهم الكثير من مستمعيه فهو جد شنيع ، حيث يظن أنه لا عليه إذا فعل الصغيرة لأنها تغفر تلقائيا ما دام اجتنب الكبيرة ، فيندفع في معاصيه غير مميز بين الصغائر والكبائر ما دام قد استثنى السبع الموبقات وما عداها مباح لا إثم عليه في نظره ، لكنه لو فهم بأن الآية الكريمة تقرر المغفرة لما سبق من كلا الذنبيين إلى يوم التوبة ، وأن تحريم الصغيرة قائم ولو بعد التوبة من الكبيرة ، وأن عليه وزرها ما لم تقع منه خطأ أو جهلا أو نسيانا وهو حريص على تركها ، فيجبها ترك الكبائر وتغفر إن شاء الله ، هنا يعلم أن ما حرم حرام بأصله وفرعه ، أما إن فهم المعنى بغير ذلك أو علمت الصغيرة ولكن فاعليها تقاؤها غير مبالين ، وحسبها هينة ، وأمرها عند الله عظيم فما أظنهم إلا سيزاملون صاحب الكفر الصريح في الآخرة ، فيصبح الكافر وقد تأكدت له النار يرافقه المسلم إذا ارتكب الصغيرة باستهتار ، ولدينا الوفير من أدلة قرآنية ونبوية يكفى عنها بعضها تقدمها إليكم ، ونبدأ المثال بآية تثبت الحرمة في شئ يتصور الناس أنه لا عقاب مطلقا على فاعلها ، فهي عندهم في قائمة الحلال

أصغر من أن تذكر ، وتلك هى الأكلة الشهية يستلذها فيرسل منها الكثير إلى جوفه حتى يتخم ، يقول عز من قائل : ( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ) ، فما ذكرته الآية من أكل وشرب واضح أنه من مصدر حلال بدليل قوله تعالى : ( وكلوا ) ، فالله لا يأمر بالفحشاء ، ومع أنه حلال طيب فقد يتحول الآكل إلى مرتكب حرمة توقع العقاب إذا أفرط في الشبع ، بنص نهاية الآية ، ( إنه لا يحب المسرفين ) . فنفى الحب عن العبد من الله يؤدى إلى عقابه ، وشبيه بهذا التعبير قوله : ( إنه لا يحب الكافرين ) ( والله لا يحب الظالمين ) ، فأهل العلم يقولون بأن نفى الحب يثبت بغض ، ولا بغض دون أن ينال المبعوض وبال أمره ، مع التفاوت في مراتب العقاب حسب الذنب وبما يقضى به الله ، فملاء البطن وهو شر وعاء يملأ كما ذكر صلى الله عليه وسلم صغيرة ليس لها مقياس عند الكثير من الناس ، وقصة القطة التى يستوى في نظرنا أن تموت أو تعيش ، هل كان دخول المرأة النار بسببها كما أخبر صلوات الله عليه إلا باستصغار حبسها ، وهل كان عذاب صاحبي القبرين إلا باستصغار أحدهما لقطرة بول تنزل في سرواله أو لا يستتر منها ، والثاني باستصغار كلمة وشاية يحرك بها لسانه بسهولة ابتلاع ريقه ، وهل الذى أنبأ عنه المنبأ صلوات الله عليه بأنه حرم من عافية الله إلا لأنه استصغر المجاهرة والمجانة حيث لم تكونا من الكبائر عنده ، ففي الحديث المروى عن البخارى ومسلم : ( كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره به ، ويصبح يكشف ستر الله عنه ) ، والعجب أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أنهم من أمته ، ومع ذلك أخبر بأن الله أبعدهم وحرهم من عافيته ( قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين ) والآن أصبح أمر المجاهرة والمجون شيئا لا يفعل فقط على أنه صغير ليس بخطير ، وأما أصبح يباهى به ويفاخر ، لقد حدث في صدر الإسلام أن البعض ظن عدم المانع من مقارفة بعض الذنوب ما دامت دعائم الإيمان راسخة عنده ، فنزلت الآية تصحح خطأ الفهم وضرر ما ظنوه ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ) ، فالنداء الإلهى أضحى عليهم صفة الإيمان فعلا ، ولكنه حذرهم من عدم الطاعة في الصغيرة أو الكبيرة ، وإلا بطلت أعمالهم وسلبت صفة الإيمان منهم ، لقد كان مجرد رفع الصوت على صوت النبى صلى الله عليه وسلم ولو بقليل ، وهو ليس في قائمة الكبائر ( لا ترفعوا أصواتكم

فوق صوت النبي ) أى رفع ، بل والتحدث إليه بالمستوى الذى يتحدث به الناس إلى بعضهم ( ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ) ، إذا وقع الأمران أو أحدهما يقع معه إحباط العمل كله ، حيث لم تستثن الآية منه شيئا لما قال سبحانه : ( أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ) أى وأنتم لا تشعرون بأن أعمالكم الصالحة قد حبطت وبذنب ظننتموه صغيرا ، فيا للداهية ، التى تقع اليوم أمام صاحب الحجرة المهاب صلوات الله عليه من صياح وصراخ يسمع من أقاصى المدينة يقود هذا الصراخ نعيق ( المزورين ) بكلام طويل لا ندرى من أين أتوا به من كتبوه ، يردده وراءهم المئات من الجهلة الأغرار أمام قبر سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم ، وقد التصقت جسوم الرجال بلحوم النساء في غير أدب ولا حياء ، لا من الله ولا من رسوله الثاوى في حجرتة المطهرة ، إذا أقول بلا تحرج ولست أهلا للفتوى: إن هؤلاء الذين ( زوروا وزوروا ) قد حبطت أعمالهم وهم لا يشعرون أو يشعرون ، وما أظن الذين يسكتون عنهم بمنجى من سؤال الله يوما ، لهذا كله كان على مستصغر الصغيرة أن يخشى على نفسه الردى من حيث لا يدرى ، فالحريق الكبير من شرر صغير كما يقولون ، ويقابل مستصغر السيئة مستصغر الحسنة ، فكما أهلكت الأولى فاعلها أنجحت الثانية مؤديها ، فلعلقات ماء بلسان كلب رد بها ظمأه رد الله بها ساقيه أو ساقيته عن الإدراك في الهاوية ، ونصف التمرة التى تستصغر حجمها وقدرها وإذا أكلت لا تشبع ولا تنقع، هى في حساب الصدقة عند الله تتضخم حتى تسد جميع الأبواب السبعة لجهنم ، وما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذين المثالين إلا لنسج على المنوال ونتشح بنفس السريال ، فلا نستصغر شرا ولا نستقل خيرا ، فهو القائل سبحانه: ( وكل شئ عنده بمقدار ) .

كنت في بلد ما ، ووجه إلى أحد الضالين سؤالا فقال : لِمَ يعذب الله الناس بذنوبهم وهو الذى شاء لهم أن يفعلوها ، وكنت أعلم أن هذا السؤال هو الذى اختاروه ليجروا به البسطاء إلى الشك في عدل الله ، وبالتالي يسلبونهم ما لديهم من إيمان ، وكنت أعلم أيضا أنه ما سأل ليعلم ، وإنما في اعتقاده ليبارى ويفهم ، ومع ذلك رجوت أن أشده من حفرته ، ويكون هو الصيد من حيث أراد أن يصيد ، لكنه ما لبث أن سمع بداية الجواب تحمل بعض الأدلة حتى رأيتة يتلفت حوله كمن خاف شيئا ، ثم يستأذن حتى لا يسمع بقية الجواب وأسرع مختلفيا في زحام

الشارع ، واليوم رأيت من الضروري أن أكمل الجواب بعد أن تردد هذا السؤال على ألسنة البعض، ونعيد سؤال الذى هرب حتى لا يؤمن، لم يعذب الله الناس بذنوبهم وهو الذى شاء لهم ان يفعلوها ؟ ، ونقول إن هذا ومن على شاكلته ممن تاه في عماء يظن أنه أتى بجديد من نضح ضلاله ، فقد جهل بأننا علمنا من الله ما لم يعلم، وأن من نوعه من سيظل يتخرص بذلك على طول الدنيا ، فليسمع إذًا هذه الآية : ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ) ، وليسمع الثانية : ( وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ) وليسمع الثالثة ( وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصوا ) ، فالآيات في مجموعها هوت بقبضة الحجة البالغة على رؤوس هؤلاء الفسقة فأجهزت على إفكهم ، فهم في الآيات الثلاث أرادوا التنصل من عاقبة إجرامهم وظنوا أن كلمة المشيئة درع وقاية لبيغهم ، ذلك لأنهم لم يعرفوا عنها إلا أنهم يخرصون بغير علم كما سمعنا الآن من القرآن ، فحقيقة المشيئة جهلها لما لم يعلموا أنهم أيضا لهم مشيئة وضعت فيهم يسألون عنها ، يأخذون بها من الأمر ما يشاؤون ويتجهون بها نحو الطيب أو نحو الردى كما يريدون فلا قهر ولا جبر ( لا إكراه في الدين ) ( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) فهو سبحانه وضع من مشيئته العظمى في الإنسان جزءا من المشيئة تكفيه ، يفصل بها بين المحبوب الذى يفيد والمكروه الذى يؤذى ، بعد أن جعله أعرف خلقه على الأرض لما يحب ولما يكره ، وأظهر له بالحس واللمس الغي من الرشد ، ثم ذكره بهذه المشيئة التى وضعها فيه وقدمها بلفظها في القرآن ليستعملها طائعا غير مكره ، فقط له أو عليه عاقبة ما شاء ( وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) ، فإن شاء الإيمان فله نعمه ، وإن شاء الكفر فعليه خسره ، ثم أعاد ذكرها مرات ، وكررها ليقررها ، حتى لا يقول فاسق إنه سيق أو أرغم فكيف يعاقب على شيء سيق إليه ( إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ) ( إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ) ، فإن كانت مشيئته التقدم سلم ، وإن كانت التأخر ندم ، ولهذا جاء بعد ذكر المشيئة قوله سبحانه : ( كل نفس بما كسبت رهينة ) ، ما دام الذى شاؤوه كان اختيارا منهم وطواعية ، لكن لكيلا

يظن الإنسان وهو الكفور الغرور ، أن مشيئته انفصلت عن المشيِّ الأعلى سبحانه ،  
وليعلمه أنه المهيمن على ملكوته بالغيب والشهادة ، ردَّ الإنسان بمشيئته الصغيرة  
التي أعطاها له ليسأل بها عن عمله إلى مشيئته العليا العادلة المنظَّمة ، فقال تعالى :  
( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً ) ، عليماً بأعمالكم تجاهها ،  
حكيماً فيما يقضى بنتائجها ، فإذا ذهب الإنسان ولم يستعمل حرية التصرف التي  
أعطيت له وكان هو البادئ بطلب الشر راضياً ، أفلا يكون له من نوع ما طلب  
ورضى ؟ ، إن الواحد منهم يقبل عقاب حاكمه الدينوي إذا خالف أمراً ظالماً له ،  
ولا يرضى بحكم المتره عن الظلم إذا خالف أمره ، فلا مصلحة له سبحانه في أن  
يظلم ، وإنما جعل عاقبة الذي أساء السوأى بما سبق أن قدم واختار ، فهو الذي  
اختار ولاية الشيطان وهو يعلم عداوته ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم  
لكم عدو ، بئس للظالمين بدلاً ) ، وهو الذي اختار صحبة من أضله ( ليتني لم  
أتحذ فلانا خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ) ، وهو الذي اختار لنفسه  
أن تضر نفسه ( وكذلك سولت لي نفسي ) ، وهو الذي اختار لها أن تزيغ ( فلما  
زاغوا أزاع الله قلوبهم ) ، فهؤلاء إذا أبلسوا بما كسبوا ، وعوقبوا بما بدأوا به  
ورضوا فلم يضطر وا ولم يقهروا ، أفيتكونون قد ظلّموا من أحكم الحاكمين ؟ ،  
أم أن أمرهم كما قال سبحانه عنهم : ( وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ) ،  
فظلمهم الذي سبق بالمضى بالفعل ( كان ) ، والمؤكد بالضمير وقوعه ومضيه معا ،  
نفى بالقطع ظلم الله لهم لما جزاهم بسوء ما قدموا ( وما ظلمناهم ولكن كانوا هم  
الظالمين ) ، فلم يستعملوا مشيئة الخير الكامنة في أماكن التعقل الثلاثة ، القلب  
والعين والأذن ، فأبطلوا استعمالها بما قال عنهم ربهم : ( لهم قلوب لا يفقهون بها ،  
ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ) ، لقد استعملها ابن الزبعرى  
السابق الذكر فاهتدى ، ( والذين اهتدوا زادهم هدى ) ، لما قال بين يدي الرسول  
صلى الله عليه وسلم : ( وذكرت ما كنت فيه من الضلالة ، واتباع ما لا ينفع  
ذا عقل من حجر يعبد ويذبح له لا يدرى من يعبده ومن لا يعبده ، واستعمل  
حواس التعقل هذه ضال آخر فاهتدى أيضا ، نحكى من أمره بقدر المناسبة ، يقول  
الطفيل بن عمرو الدوسي ، قدمت مكة قبل أن يصدع الرسول صلى الله عليه وسلم  
بأمر ربه ، فمشى إلى رجال من قريش فقالوا لي : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل  
الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد

دخل علينا ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ، حتى حشوت في أذني كرسفاً - أى قطناً - فغدوت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة ، فأبى الله إلا أن يسمعى بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت : واثكُلْ أماه ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما ينعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان ما يقول حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت ، فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام بيته فتبعته ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف ، حتى لا أسمع قولك ، فأبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض على أمرك ، فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فلما رجعت إلى قومي أتاني أبي فقلت : إليك عنى يا أبت فلست منى ولست منك ، قال : ولم يا بني ؟ قلت : قد أسلمت وتابعت محمداً ، قال يا بني فدينى دينك ، فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت ، ثم أتتني أمراؤى فقلت لها إليك عنى فلست منك ولست منى ، قالت لم ؟ قلت فرق بينى وبينك الإسلام ، فقد تابعت محمداً عليه الصلاة والسلام ، قالت : فدينى دينك ، فقلت لها ما قلت لأبى ، ثم دعوت قوم دوس إلى الأسلام فأسلم منهم ثمانون بيتاً ) ، والقصة على روعتها لا نأخذ منها إلا قوله الطفيل : واثكل أماه ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما ينعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان ما يقول حسناً قبلت ، وإن كان قبيحاً تركت ، فهو رضى الله عنه استعمل حواس التعقل فيه فشاء لنفسه أن يزكياها ، وقد أفلح من تزكى ، فهل يبقى هذا السؤال من الزائغين : لماذا يعذب الله أصحاب الذنوب وقد شاء لهم أن يفعلوها ؟ لقد أجبت بما استطعت ، وسيبقى سؤالهم حتى يحيق بهم قول الله فيهم ( لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ) ، ذلك لأنها قصة الإنسان مع ربه ، لما قابل الإحسان بالعصيان .

قلنا فيما سبق إننا لا نفرق بين كباثر الكافر وصغائره ، فهو بكله أصبح جيفة ننته ، فلم يعد يصله بخالفه شئ حيث انقطع وانفصل ، وليس لهذا النوع من الإنسان إلا أن يناههم نصيبهم من الكتاب في هذه الدنيا ، وعند لقاء ربهم يردون إلى أشد العذاب بما ليس لهم منه فواق ، أما المسلم وقد دخل مع الله في عهد يوم أسلم ،



فقد صار ملتزماً بأوامر ونواهي محددة أخذ نفسه بها فيمسى منذ هذه اللحظة له صغائر وكبائر يعامل تلقاءها ، أما الصغائر فقد سبق حديثنا عنها ، وعن الكبائر الآن نتحدث ، فنقول إنها نوعان ، نوع يكفى فيه صحة التوبة وصدق الأوبة فتغفر برحمة من الله وفضل ، كالغيبة والكذب وعقوق الوالدين وقطع الرحم وشبه ذلك ، ونوع تتحتم فيه الحدود ولا يمحي أثره إلا بها ، والنوعان موضحان في قوله تعالى : ( والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ) فكبائر الإثم عامة ، والفواحش منها موجبات الحدود ، والثاني هو ما أريده لأنهى به حديثي إن شاء الله ، لأنه إذا لم يؤد ما في الآية من الاجتناب لكليهما فيتم في الأول حكم الله كما يريد ويقام في الثاني حدود الله كما أراد ، ويكون ذلك في كل مجتمع أئزم نفسه بالإسلام ، ورضى بالحد ليصلح به في أرض الإسلام ما اختل ، ويطهر المجتمع الفاضل من كل منحل ، فإذا ما اختل الأمن بقاتل أو سارق بانت الرأس وانفصلت اليد ، فعاد الأمن إلى رؤوس الملايين ببضعة رؤوس قطعت ، وأطمأنت نفوس برزقها الذى في حرزها ببضعة أيد فصلت ، وإذا ما خيف على العرض من فاسق لاط أو نال من إحصان ، فيباد جرتوم الفسق ليقبى الارتباط الأخوى والاطمئنان الأسرى نسبا وصهرا ، ومن تدناً بزنية أو قذفة أو خمرة فظهره والحبل اللادغ ليدوق حرقه ما فعل ، فيمتنع من كان يريد أن يفعل ، خاصة وقد شهدته الناس عند إقامة الحد فأحس بأنه فضح بما هو أشد من الجلد ، وهكذا كان لنا في الحدود وفي القصاص حياة نعيش فيها سالمين آمنين مئة من الله لأهل دينه ، فلا يقلقهم دعوى إسلام يعكر عليهم صفوهم وينقل مرضه إلى صحتهم ، وهكذا كانت العصا لمن عصا ، وكثيرا ما كانت العصا ترياقا لمرضى كثيرين ، فيصبح أمرهم كصاحب الداء يشكر بعد شقائه من سقاه الدواء المر ، فيعيش مع مجتمعه الإسلامى ناعم البال ثم له عند الله حسن المآل ، والآن تعطلت حدود الله في أمتنا الإسلامية فملاً المجرمون السجون ، ثم يخرج منها القاتل ليقتل ، ويطلق سراح السارق ليسرق ، لأن الرأس التى قتلت لم تقطع فبقيت لتقتل ، ولأن اليد التى سرقت ما زال فيها أصابعها لتستأنف السلب من الجيب ، وهكذا أمر المجرمين يتمنون أن يظلوا مساجين ، ألم يهيا لهم المأكل والمسكن والملبس فوجدوا في السجن كافة مقومات الحياة بلا مقابل ، وسط أزمة اقتصادية خنقت من هم خارج السجن ، فانتشر الإجرام وكثرت السرقات والاختلاسات حتى من أموال الحكومات التى تحكم بغير ما أنزل الله ، وعم الانحلال من النساء والرجال ، وأصبح أهل الفضيلة غرباء في حيرة

لا يدرون كيف ييقون على قيمهم ، فليهنأ المجرمون بقوانين تدليل المجرمين والتي هدفها تحقير أهل هذا الدين ، ولقد رأيت في بعض البلاد يجمع في حى واحد المسجد والكنيسة والدعارة والحمار ، وتمتلى الثلاثة الأخيرة بقصاها ويبقى المسجد ينذر من يلجه ، لو قدر لبنائه أن يتحرك لغادر مكان التحقير والإهانة ، فلو نفذ حكم الله في تارك الصلاة لعظم المسجد وعادت إليه هيئته ، ألم يجمع العلماء على أن يستتاب تارك الصلاة ثلاثا ثم يقتل حدا أو كفرا إن أصر على تركها ما دام قد دخل مع الله في عهد الإسلام ، إنه لمن الصعب بما يدمى القلب أن نرى حتى في بلدى الحرمين المعظمين أثناء الصلاة بعض الناس يغدون ويروحون ، وجموع السيارات والدراجات بأصواتها وأبواقها المزعجة تملأ الطرقات ، وكأننا في مكان عادى ليس فيه كعبة ولا رسول ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

والآن نسأل من يحكمون بغير حكم الله ، هل بلغكم قول الله فيكم بثلاث آيات متعاقبات ، ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) ( فأولئك هم الظالمون ) ( فأولئك هم الفاسقون ) ، كفر وظلم وفسق ، فماذا بقى ؟ فهل هذا الكلام نسخ أم نسى ؟ أم أنه الإنسان والعصيان .

فيا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم ، لأنه أكرمك ، أم لأنه سواك فعدلك ، حتى بعد أن أبيت ونأيت ، لا زال يمهلك ، ويدعوك عسى أن تفيق وتجيى ، فعجل ولا تؤجل قبل أن تجتاحك الأيام .

يروى البخارى عن أبي موسى الأشعري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( مثلى ومثل ما بعثنى الله به ، كمثل رجل أتى قوما فقال : رأيت الجيش بعينى ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة فأدبلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم ) ، فهل قبل فوات الأوان تجيب لنذير العريان ؟ أرجو لى ولكم ذلك ، ومعيننا هو الله وحده ، ونحتم بأبيات معدودة مرتبطة بالموضوع تحكى قصة أحد العصاة ، وهى :

همس الليل وقال أكتب ما بي	فلقد أضعت العمر بعد سراب
بدأت ذنوبي مذ بدأت شبابى	لما نسيت نهايتى وحسابى
وأقول للنصاح دعكم إننى	ما زلت لم أقطف زهور شبابى

فإذا بلغت الأربعين وعندها  
سأتوب عن ترك الصلاة وأصحابين  
وأتوب عن فحش الزنا وكذاك عن  
وعن الوشاية حيث صارت بغيبي  
وكذاك عند الأربعين أكف عن  
فإذا اشبتت من المجون فأرعى  
وأعف عن فعل الفواحش كلها  
حتى إذا ما جاء ليل عابس  
مرض عضال عم كل جوارحي  
فكماتراني هامدا في مضجعي  
كيف الركوع وأعظمي لا تنثني  
فالدهاء جاء ولم أزل في سكرتي  
أجلت يوم التوب حتى إنني  
وأمنت مكر الله لما جرنى  
ما زال سن الأربعين بعيده  
قل للذي سمع الرزية يستفد  
فرطت في جنب الإله وعزني  
فأجبت يا حزني عليك فلم يعد  
خلت الليالي أسلمتك زمامها  
منك الكثير دعته أصوات الهوى  
فهل الإله هو الظلوم أم الذي  
أفلا يكون العدل سوء جزائه  
يارب نرجو مطلبها هو غاية  
أن تحسن العقبي إذا لا قيتنا

سأتوب من ذنبي بخير متاب  
أهل الهداية من ذوى المحراب  
شرب الخمر فلن تكون شرابي  
فيها أزاول فرقة الأحياب  
ما كنت أسرق من وراء الباب  
وأكون تَوّاً من أولى الألباب  
وأفسوز بالفردوس دون حساب  
فيه بداية شقوتي وعذابي  
أعيبا الأساءة فلم يزيلوا أمابي  
والفقر أُلصق راحتي بتراب  
أو كيف رد الحق والأسلاب  
فبما يكون العذر يوم مآبي  
من جرأتي حددت نوع ثوابي  
عوج الشباب إلى افتقاد صوابي  
والقبر محفور وحن عقابي  
منها فهذى عبرة الأحقاب  
إبليس ثم غواية الأصحاب  
نصح يفيد ولا حديث عتاب  
فإذا الخيال خيال عقل مصاب  
فإذا هوى فيقول من أغرى بي  
فعل المظالم كلها متغابي  
وجزاء أهل العقل حسن مآب  
لجميعنا من شينا وشباب  
فإذا أجبت فذاك خير جواب



دراسات في

# الفقه وأصوله



# الاجماع في الشريعة الإسلامية

لفضيلة الدكتور رشدي حليان

الاستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية

الاجماع من البحوث النافعة والهامة في علم أصول الفقه ، استأثر بعناية خاصة من أعلام الأمة ومفكريها لأنه الدليل الذي يلى النصوص في القوة والاحتجاج . فاذا ما عرضت للمجتهد حادثة ، وأراد معرفة رأى الشريعة فيها عرضها أولاً على كتاب الله - تعالى - عمدة الشريعة وكتيبها ، فاذا لم يجد بغيته مال الى سنة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - باعتبارها المصدر الثاني للشريعة ، فان أعياه البحث ولم يجد ضالته فيها نظر هل اتفق السابقون على حكم لها ؟ فان وجد عمل به وافق بموجبه وهو مطمئن البال ، فالأمة لا تجتمع على الخطأ والضلالة كما أخبر بذلك الصادق الامين - عليه أفضل الصلاة والتسليم- واذا لم يسعفه الاجماع لجأ الى أدلة اخرى معروفة في أصول الفقه كالقياس والاستصحاب والمصلحة . .

وإلا جمع الناس واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به .  
وبعد فلماً كان الاجماع يتكوّن من ركنين :-

(١) مجمع عليه .  
(٢) ومجمعين وهم أهل الاجماع فقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين :-  
الاول في المجمع عليه. وفحواه تعريف الاجماع ، سنده ، حجيته ، انواعه ، مخالفة حكمه .

حدث ميمون بن مهران فقال : « كان أبو بكر الصديق اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد قضى به ، والا نظر في سنة رسول الله فان وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فان أعياه ذلك سأل الناس وجمع رؤساءهم واستشارهم ، فان اجتمع رأيهم على شئ قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك ، فان أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سأل هل كان ابو بكر قضى فيه بقضاء ؟

والثاني في المجمعين «اهل الاجماع» (\*)  
الصحابة ، الخلفاء الاربعة ، اهل البيت ،  
اهل المدينة ، اهل الكوفة والبصرة ،  
جماعة المجتهدين في أى عصر

## المبحث الاول فى المجمع عليه

١ - تعريف الاجماع فى اللغة وفى اصطلاح  
الاصوليين

أ - الاجماع فى اللغة : -

الاجماع من الالفاظ المشتركة فى وضع  
اللغة بين معينين : -

الاول : العزم . يقال : « اجمع فلان  
على كذا » اذا عزم عليه ، وجاء فى  
الحديث « لا صيام لمن لم يجمع الصيام  
من الليل (\*) أى لم يعزم الصيام من الليل  
وورد فى الكتاب الكريم « فأجمعوا  
أمركم » (١) أى اعزموا . والاجماع  
بهذا المعنى يصدر عن الواحد  
كما فى المثال الاول ، وكما جاء فى  
الحديث ، ويصدر عن الجمع كما  
فى الآيه الكريمة .

الثاني : الاتفاق ، يقال : « اجمع  
القوم على كذا » اذا اتفقوا عليه .

وهو بهذا المعنى لا يصدر الا عن  
الجمع ، ولا يتصور من الواحد .  
وقيل ان الاجماع فى وضع اللغة هو  
الاتفاق والعزم راجع اليه ، لأن من  
اتفق على شئ فقد عزم عليه (٢) .

وقيل ان الاجماع حقيقة فى معنى  
الاتفاق لتبادره الى الذهن مجاز فى معنى  
العزم لصحة سلب الاجماع عنه (٣) .

ب - الاجماع فى الاصطلاح :

عرف كثير من الاصوليين الاجماع  
بأنه : -

« اتفاق المجتهدين من هذه الأمة فى  
عصر بعد وفاة النبى - صلى الله عليه  
وسلم - على أمر دينى » .

شرح التعريف وبيان ما يفهم منه  
من أمور

١ - الاتفاق لفظ مشترك بين القول  
والفعل والاعتقاد ، فلو اتفقوا على  
قول من الاقوال يكون اجماعا ،

★ روى الحديث بهذا اللفظ تارة ولفظ لاصيام لمن لم يبيت الصوم ٠٠ الحديث انظر : باب  
الصوم من سنن النسائى والترمذى والدارمى وابى داود والبيهقى والدارقطنى وابن ماجه ومسند  
احمد ، وموطا مالك

(١) يونس/٧١

(٢) الشوكانى - ارشاد الفحول ص ٧١

(٣) الآمدى/ الاحكام ج ١ ص ١٠١ والفتوحى / شرح الكوكب المنير ص ٢٢٥

★ سينشر المبحث الثانى من هذه الدراسة فى العدد التالى ان شاء الله .



وكذلك لو اتفقوا على فعل ، كما اذا  
شرع أهل الاجتهاد جميعا في المزارعة  
أو الشركة ، وكذلك لو اتفقوا على  
عقيدة كاجماعهم على نفي تعدد الآلهة  
وبطلان عقيدة التثليث .

٢- ان اتفاق المجتهدين هو المعتبر  
في الاجماع الذى هو دليل على الاحكام  
الشرعية ، فلا عبرة - في هذا المجال -  
باتفاق غيرهم من المفكرين وعامة الناس  
ومن العلماء من يرى دخول عامة  
الناس في أهل الاجماع ، وهو رأى  
باطل لأن أمثال هؤلاء لا يملكون دقة  
النظر في الأمور الشرعية .

٣- أن يكون الاتفاق من جميع  
المجتهدين ، فلو اتفق الاكثر على حكم  
شرعى وخالف الاقل فانه لا يكون  
اجماعاً وحجة عند جمهور العلماء (٤) .  
ومن العلماء من يرى تحقق الاجماع  
باتفاق الاكثر (٥) ومنهم من يرى  
أنه يكون حجة وليس باجماع . وكلا  
الرأيين مرجوح ، لأن الحق قد يكون  
في جانب الاقل ، ولأن الاجماع لا  
يتحقق مع وجود مخالف لعدم تحقق

الاتفاق ، ولأن ذلك معارض بدلالة  
أحاديث عصمة الامة ككل (٦) .

٤- أن يكون المجتهدون من الامة  
الاسلامية ، فلا اعتداد باتفاق المجتهدين  
من الامم السابقة ، وذلك لقيام الأدلة  
على اختصاص أمة محمد بالعصمة من  
الخطأ عند اتفاقهم .

٥- أن يكون الاتفاق في عصر واحد ،  
اذ لا يتصور تحقق الاجماع أو العلم  
به في كل العصور .

٦- ان يكون الاتفاق بعد وفاة النبي  
صلى الله عليه وسلم اذ لا عبرة باتفاقهم  
في زمنه - عليه السلام - في اثبات  
الاحكام الشرعية ، اذ لو حصل الاجماع  
على أمر فلا يخلو اما أن يوافقهم النبي -  
صلى الله عليه وسلم- وحينئذ فالحكم  
ثابت بالسنة لا بالاجماع ، واما أن  
يخالفهم وحينئذ يطرح الاجماع  
لمخالفته النص .

٧- أن يكون ما اتفق عليه من الامور  
الدينية سواء أكان شرعياً (٧) اجتهادياً  
أم غير شرعى مما يدرك بالحس أو  
بالعقل لأن الاحكام الحسية قد تكون

(٤) الغزالي/المستصطفى ص ١١٧

(٥) وهم محمد بن جرير وابويكر الرازى وابو الحسين الخياط ، راجع/ابن قدامة روضة الناظر ص

٧١ والامسى - الاحكام ج ١ ص ١٢١

(٦) سياتي بيان ذلك

(٧) الحكم الشرعى هو الذى لا يدرك الا من خطاب الشارع ، وغير الشرعى مما يدرك بالحس

أو بالعقل .

ظنية فالاجماع عليها يكسبها صفة القطعية ، وكذلك بعض المدركات العقلية .

وقيد بعض العلماء الأمر المتفق عليه بكونه شرعيا ، ونفى حجية الاجماع في الامور الدينية غير الشرعية مما يدرك بالحس أو بالعقل على اعتبار ان المدركات الحسية والعقلية تفيد اليقين فلا يكون الاجماع حجة فيها .

وردّ بما ذكرت من أن من المدركات الحسية والعقلية ما تفيد الظن فقط فيصير بالاجماع قطعيا ، وأطلق بعض العلماء كابن الحاجب (٨) والجلال المحلى (٩) الامر ولم يقيدوه بالديني ، وعليه يكون الاجماع حجة في كل الامور دينية كانت أو عادية أو عقلية أو لغوية ، وقالوا ان الأدلة الدالة على حجية الاجماع لم تفرق بين الاجماع على أمر ديني أو دنيوي ، فاذا ما اتفقوا على أى أمر من أمور التجارة أو الزراعة أو الحروب و غير ذلك ، وجب أن يكون حجة .

ونوقش هذا الرأى بما حاصله : -  
١- ان تحقق الاجماع في غير الامور الدينية و عدم تحققه سواء لأنه غير ملازم للمسلم فلا يأثم بمخالفته .

٢- ان قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يكون حجة في الامور الدنيوية لقوله - عليه السلام - في قصة تلقيح النخل « انتم اعلم بأمر دنياكم\* » وكان - عليه السلام - يرى الرأى في الحروب فيراجعه فيه أصحابه - كما في غزوة بدر - فيترك رأيه ويعمل برأيهم ، فاذا كان قول الرسول في هذه الأمور ليس بحجة ، فالاجماع فيها ليس بحجة من باب أولى لأن الأجماع في مرتبة أدنى من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (١٠) وبهذا يتضح أرجحية الرأى الذى خص الاجماع بالامور الدينية سواء أ كانت شرعية أم غير شرعية ، وعليه أكثر العلماء .

قال الغزالي : « اما تفهيم لفظ الاجماع فانما نعى به اتفاق امة محمد - عليه

(٨) انظر منتهي الاصول ص ٣٧

(٩) انظر شرحه علي متن جمع الجوامع ج ٢ ص ١٧٦

(١٠) انظر محاضرات الشيخ محمد حسن فايد في كلية الشريعة والقانون « مطبوعة علي الرونيو»

\* اخرج البخارى في باب البيوع ومسلم في باب المساقاة

السلام - خاصة على أمر من الأمور الدينية (١١) .

بيع المعاطاة فان العلماء اجمعوا على جوازه بلا دليل .

٣- ان العقل لا يمنع من انعقاد الاجماع عن توفيق وذلك بأن يوفق الله - تعالى - أهل الاجماع في الأمة لا اختيار ما هو الصواب عنده .

وذهب الاكثرون من علماء الامة الى الثاني . أى ان الاجماع لا ينعقد الا عن مستند ، لأن حق انشاء الاحكام الشرعية لله ولرسوله ، وليس لأهل الاجماع وقالوا : ان عدم الدليل يستلزم الخطأ في الاحكام لأن الدليل هو الطريق الموصل الى الصواب .

قال الشيخ الحضري : « لا ينعقد الاجماع الا عن مستند لأن الفتوى بدون المستند خطأ لكونه قولاً في الدين بغير علم ، والامة معصومة عن الخطأ (١٤) .

وقال الشيخ ابوزهرة : « لا بد للاجماع من سند لأن أهل الاجماع لا ينشئون الاحكام » (١٥) . وأجابوا عن أدلة البعض القائل بعدم حاجة الاجماع إلى سند ودليل بما يأتي

١- لا نسلم عدم فائدة الاجماع مع

وقال ابن قدامة : « ومعنى الاجماع في الشرع اتفاق علماء العصر من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على أمر من أمور الدين » (١٢)

٢ - سند الاجماع

هل الاجماع مصدر مستقل بذاته في اثبات الاحكام الشرعية في مقابل المصادر الثلاثة الاخرى ، الكتاب والسنة والقياس ؟ أم أنه لا ينعقد ولا يصير حجة الا بتوسط أحد هذه المصادر ؟

ذهب بعض الاعلام الى الاول وقالوا باستقلالية الاجماع وعدم حاجته الى توسط دليل آخر يستند اليه (١٣) .  
ودليل هؤلاء :

١- ان الاجماع في نفسه حجة ودليل في اثبات الاحكام فلو توقف على سند لكان هذا السند هو الحجة ، وحينئذ لا يكون للاجماع فائدة .

٢- لو توقف الاجماع على سند لما وقع بدونه ، لكنه وقع فلا يكون السند شرطاً في انعقاده ، ومثلوا لذلك

(١١) المستصفى ج ص ١١٠

(١٢) روضة الناظر ص ٦٧

(١٣) الامدى/الاحكام ج ١ ص ١٣٣ والشوكاني/ارشاد الفحول ص ٧٩

(١٤) اصول الفقه ص ٣١٠ وامير بادشاه/تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٥٤

(١٥) اصول الفقه ص ١١٩

الدليل . اذ الفائدة موجودة معه وهى سقوط البحث عن ذلك الدليل ، والاكتفاء بالاجماع ، وحرمة المخالفة الجائزة فيه قبل الاجماع .

٢- لا نسلم ان العلماء اجمعوا على صحة بيع المعاطاة بدون دليل وكل ما في الامر انهم لم ينقلوه اكتفاء بالاجماع اذ هو اقوى دلالة . .

والذى أراه أن علماء الأمة ان اتفقوا على أمر من الأمور الدينية لا بد ان يكون حقاً وصواباً لأن العادة تمنع اتفاقهم على شيء بدون دليل . وليس من الضروري لنا أن نعرف سند الاجماع عند المجمعين بل الواجب ان نأخذ باجماعهم اعتماداً على ورعهم وعلمهم ، لا اعتقادنا بأنهم لا يجمعون الا عن دليل .

#### قطعية السند

اختلف القائلون بلزوم السند للاجماع في قطعية السند وظنيته .

فقال أهل الظاهر : ان مستند الاجماع لا بد أن يكون قطعياً كنصوص الكتاب ومتواتر السنة ، ولا يجوز أن يكون ظنياً كخبر الواحد والقياس ، لأن

الاجماع قطعى الدلالة فلا ينعقد الا عن دليل قطعى اذ غير القطعى لا يفيد القطع .

وقال الاكثرون : ان مستند الاجماع يكون قطعياً ، ويكون ظنياً كخبر الواحد والقياس . وقد وضع الشيخ الحضرى في كتابه اصول الفقه والشيخ فايد في محاضراته في الاجماع وجهة نظر الاكثرين بما حاصله (١٦) .

١- ان النصوص الدالة على حجية الاجماع نصوص عامة تفيد انعقاد الاجماع سواء أ كان سنده قطعياً أم ظنياً ، فاشراط القطعية تخصيص للنصوص من غير دليل وذلك باطل .

٢- وقع اجماع من المجتهدين مستنداً الى خبر الواحد كاجماعهم على حرمة بيع الطعام قبل قبضه لدلالة حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - « من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه » (\*) وكذلك انعقد اجماعهم مستنداً الى القياس كاجماعهم على تحريم شحم الخنزير قياساً على لحمه ، وعلى اراقة السيرج ونحوه اذا ماتت فيه فأرة قياساً على السمن (١٧) وردوا على الظاهرية

(١٦) راجع اصول الفقه ص ٣١١ وص ٢٩ من بحث الشيخ فايد والاحكام للامدى ج ١ ص ١٣٥

(١٧) الفتوحى/شرح الكوكب المنير ص ٢٣٧

\* وردت عدة احاديث من طرق مختلفة وبالفاظ متفاوتة في هذا المعنى فراجعها في باب البيوع من صحيح البخارى ومسلم ومسنده ابي داود والترمذى والنسائى والدارمى وموطأ مالك ومسنده احمد

### ٣ - حجية الاجماع

ذهب المتكلمون بأجمعهم والفقهاء بأسرهم على اختلاف مذاهبهم الى أن الاجماع حجة ، وحكى عن النظام وجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر أنهم قالوا : الاجماع ليس بحجة ، اختلف من قال انه حجة ، فمنهم من قال من جهة العقل وهم الشواذ ، وذهب الجمهور الاعظم والسواد الاكثر الى ان طريق كونه حجة السمع دون العقل (٢١) وسأعرض أهم أدلة جمهور العلماء على حجيتها ثم أذكر وجهة نظر القائلين بعدم حجيتها .

أ- أدلة جمهور العلماء على حجية الاجماع

أولاً : أدلتهم من الكتاب الكريم

استدل أئمة المذاهب وجمهور العلماء بآيات عدة من الكتاب الكريم ، منها بل أهمها قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (٢٢) وجه الاستدلال بهذه الآية :

القائلين بأن الاجماع قطعى فلا يكون الا عن قطعى بأن قطعية الاجماع لم تثبت من جهة السند ، والا لكان الاجماع لغوا لأن المثبت للحكم حينئذ هو الدليل القطعى وليس الاجماع . قال الغزالي : « يجوز انعقاد الاجماع عن اجتهاد وقياس (١٨)

وقال ابن قدامة المقدسى : « يجوز ان ينعقد الاجماع عن اجتهاد وقياس ويكون حجة (١٩) .

والذى أراه أن الاتفاق ان وجد من علماء العصر فهو دليل وحجة سواء أكان هذا الاتفاق عن دليل قطعى أم ظنى ، لأن الحجة تنتقل من ذلك الدليل الى الاجماع ، فان كان في الاصل قطعياً فالاجماع يفيد التأكيد والتعزيد لأنه يكون من قبيل تضافر الأدلة على الحكم الواحد .

ومما يدعم هذا الرأى قول جعفر الصادق - رحمه الله - : « فان المجمع عليه لا ريب فيه » (٢٠) فقد نفى الريب عن الرأى المجمع عليه مطلقاً ولم يقيده بما اذا كان مجمعا عليه بموجب سند قطعى او ظنى خاص أو عام .

(١٨) المستصفى ج ١ ص ١٢٣

(١٩) روضة الناظر ص ٧٧

(٢٠) المصدر/الاجماع فى التشريع الاسلامي ص ٣٦

(٢١) الطوسى/عدة الاصول ج ٢ ص ٦٤ والشوكاني ، ارشاد الفحول ص ٧٣

(٢٢) النساء / ١١٤

« ان الله - سبحانه - جمع بين مشاققة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد ، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين المحظور فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى يخالف قولهم أو فتواهم ، واذا كانت تلك محظورة وجب أن تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة (٢٣) بدون شرط اتفاق الجميع فمن باب أولى تكون متابعة ما اتفقوا عليه واجبة فثبت ان الاجماع حجة . وتعتبر هذه الآية أوضح الآيات وأقواها دلالة على حجية الاجماع ، فقد روى أن الامام الشافعي رحمه الله - عندما سئل عن آية في كتاب الله تدل على أن الاجماع حجة لزم داره ثلاثة أيام مفكراً وقرأ القرآن عدة مرات حتى وجد هذه الآية ، ومع ذلك فقد قرر كثير من الأعلام ان الآية ليست نصاً في الدلالة على حجية الاجماع (٢٤) . ومنها قوله تعالى « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٢٥) .

الاستدلال بهذه الآية من وجهين :-  
١- ان الله - تعالى - قد وصف هذه الأمة بالخيرية ، وهذا الوصف يقتضى ان ما اتفقوا عليه يكون حقاً واجب الاتباع ، لأنه اذا لم يكن حقاً كان ضلالاً « فماذا بعد الحق الا الضلال » (٢٦) .

قال الشوكاني في وجه الاستدلال بهذه الآية « هذه الخيرية توجب الحقيقة لما اجمعوا عليه ، والا كان ضلالاً » (٢٧)

٢- ان الله - تعالى - وصفهم بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهذا الوصف يقتضى أنهم اذا ما اتفقوا على الامر بشئ كان معروفاً يجب العمل به ، واذا ما نهوا عن شئ كان منكراً يجب الامتناع عنه ، وهذا يقتضى ان يكون اجماعهم حجة ( ٢٨ ) .

ومنها قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (٢٩) ومعنى جعلناكم أمة وسطا : أى صيرناكم عدولاً ، لأن الوسط هو العدل في اللغة . قال الشاعر :

(٢٣) امكاني / ارشاد الفحول ص ٧٧

(٢٤) الغزني / المستطفي ج ١ ص ١١

(٢٥) آل : ان / ١١٠

(٢٦) يونس ٣٢

(٢٧) الشوكاني / ارشاد الفحول ص ٧٧

(٢٨) الشامي / محاضرات في الاجماع ص ١٢

(٢٩) البقرة ١٤١

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم  
إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم  
أى عدول . وجاء بهذا المعنى في الكتاب  
الكريم : « قال أوسطهم ألم أقل لكم » (٣٠)  
أى أعدلهم .

وجه الاستدلال بهذه الآية : -

إن الله - تعالى - وصف هذه الأمة  
بالعدالة ، وجعلهم حجة على الناس  
في قبول أقوالهم ، وهذه الصفة تنافي  
الكذب والميل الى جانب الباطل وهذا  
يقضى ان يكون ما اتفقوا عليه عدلا  
وحقا يجب اتباعه والعمل به فيكون  
اجماعهم حجة .

ومنها قوله تعالى : « واعتصموا بحبل  
الله جميعا ولا تفرقوا » ( ٣١ )  
وجه الاستدلال : -

« ان الله - تعالى - نهى عن التفرق ،  
ومخالفة الاجماع تفرق ، فكان منهيها  
عنه ، ولا معنى لكون الاجماع حجة  
سوى النهى عن مخالفته (٣٢) .

ثانيا - أدلة الجمهور من السنة الكريمة :-

(٣٠) القلم / ٢٨

(٣١) آل عمران / ١٠٣

(٣٢) الإمدى / الإحكام ج ١ ص ١١١

★ الاخبار عن رسول الله عليه السلام - بان هذه الاممة لا تجتمع على الخطأ والضلالة كثيرة  
وقد رويت بالفاظ مختلفة وصيغ واسانيد متعددة انظر : مسند احمد ١٤٥/٥ وباب الفتن من  
سنن الترمذى وابن ماجه والدارقطنى وباب التحريم من سنن النسائى

★ الاحاديث التى تحت على لزوم الجماعة وتذم الخروج عليها كثيره وقد رويت بالفاظ مختلفة  
وصيغ متعددة انظر : باب الفتن والتحريم من سنن الترمذى والنسائى والبخارى ومسند احمد والدارمى  
وابي داود

وقد بين الغزالي وجه الاستدلال بهذه الأحاديث على أن الاجماع حجة قاطعة بعد أن فرغ من تقرير الدليل من آى الكتاب الحكيم .

فقال : « المسلك الثاني : وهو الأقوى التمسك بقوله - صلى الله عليه وسلم - « لا تجتمع امتى على الخطأ » وهذا من حيث اللفظ اقوى وأدل على المقصود ولكن ليس بالتواتر كالكتاب . والكتاب متواتر ولكن ليس بنص ، فتقرير الدليل أن نقول : تظافرت الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الامة من الخطأ واشتهر على لسان المروقيين والثقات من الصحابة كعمر ، وابن مسعود وابي سعيد الخدرى ، وانس بن مالك ، وابن عمر ، وابي هريرة ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم » وبعد ان ذكر تلكم الأحاديث قال :

« وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة في الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا لم يدفعها احد من اهل النقل من سلف الامة وخلفها ، بل هى مقبولة من موافقى الامة ومخالفها ، ولم تزل الامة

تحتج بها في اصل الدين وفروعه (٣٣) وقرر الشيخ الأمدى في كتابه الاحكام (٣٤) أن اقرب الطرق لاثبات كون الاجماع حجة قاطعة هو تلك المرويات عن كبار الصحابة بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الامة عن الخطأ والضلالة . وقال ابن قدامة بعد ذكره لتلكم الأحاديث : « وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة مشهورة في الصحابة والتابعين لم يدفعها أحد من السلف والخلف ، وهى وان لم تتواتر آحادها حصل لنا بمجموعها العلم الضرورى ان النبى - صلى الله عليه وسلم - عظم شأن هذه الامة وبين عصمتها عن الخطأ (٣٥) .

وقد ختم الشيخ الحضرى بحثه في حجية الاجماع بعد أن فرغ من تقرير الدليل من الكتاب الكريم ، فالسنة النبوية المشرفة بقوله :

« ان الامة الاسلامية في عصور مختلفة قررت ان الاجماع حجة قاطعة حتى كان فقهاء كل عصر ينكرون أشد الانكار على من خالف رأى مجتهدى السلف ، والعادة تقضى ان مثل هذا الاتفاق لا يكون عن مجرد ظنون ،

(٣٣) المستصفي ج ١ ص ١١١

(٣٤) ج ١ ص ١١٢

(٣٥) روضة الناظر ص ٦٨



بل لابد ان يكون عندهم دليل مقطوعا به ، وهذا يدل على أن الأخبار النبوية التي سقناها كانت عندهم مقطوعا بها حتى لم تكن في نظرهم مجالا للظن والاختلاف (٣٦) .

ب- وجهة نظر القائلين بعدم حجية الاجماع

عرفنا أن النظام وآخرين ذهبوا الى أن الاجماع ليس حجة شرعية ، وأدلتهم تتلخص في الآتي : -

١- ان تحقق الاجماع وثبوته يتوقف على معرفة كل واحد من أهل الاجماع ثم على وصول الواقعة اليهم ، ومعرفة رأى كل منهم ، وهذا أمر غير ممكن عادة نظراً لانتشارهم في البلدان الاسلامية وبعد المسافة بينهم (٣٧) .

ورد ذلك : بأن معرفة أهل الاجماع والتحقق من شخصياتهم ممكن وذلك بأن يحصى كل حاكم اقليم ما لديه منهم ، ويكتب بذلك الى الحاكم العام سيما وان من يبلغ درجة الاجتهاد يكون معروفاً جداً في كل اقليم بل قد يطير صيته وآراؤه الى سائر أقاليم الدولة والدول الاسلامية كافة، ثم ان انتشارهم وتفرقهم وبعد المسافة بينهم لا يمنع من وصول الواقعة اليهم ، والاطلاع

على آرائهم جميعا ، وذلك بأن يجمعهم الحاكم في بلدة واحدة كلما دعا الامر ويسألهم عما يريد أو يكتب اليهم فيستطلع رأى كل منهم .

٢- ان معاذاً - رضى الله عنه - لم يذكر الاجماع من المصادر التي يصح الاعتماد عليها في تشريع الاحكام ، بل اقتصر على الكتاب والسنة والاجتهاد ، وذلك عندما وجهه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاضياً الى اليمن وسأله بماذا تقضى . . (ج) وان النبي - صلى الله عليه وسلم - أقره على ذلك ودعا له ، وحمد الله على توفيقه . فلو كان الاجماع من مصادر الاحكام لذكره معاذ ولما ساغ له تركه مع حاجته اليه ، ولما أقره النبي - عليه السلام - على تركه ورد ذلك : بأن معاذاً - رضى الله عنه - انما ذكر المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في تشريع الاحكام في زمن النبي - عليه السلام - ومعروف ان الاجماع ليس حجة في حياته . وان تقرير النبي - عليه الصلاة والسلام - مطابق للواقع في حياته وليس فيه دلالة على عدم حجية الاجماع بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - (٣٨) .

(٣٦) أصول الفقه ص ٢١٦

(٣٧) الامدى/الاحكام ج ١ ص ١٠٢

(٣٨) الامدى/الاحكام ج ١ ص ١٠٧

\* رواه الترمذى ٢٤٩/١ وابوداود ٣٠٣/٣ والدارمي ٦٠/١ وانظر مسند احمد ٥/٢٣٠ .

٣- قالوا : ان الاجماع لا يخلو اما ان يكون عن دليل قطعي او عن دليل ظني ، فان كان عن دليل قطعي ، أحالت العادة عدم الاطلاع عليه ، وعلى تقدير الاطلاع عليه يكون هو مستند الحكم وليس الاجماع ، وان كان عن دليل ظني فان العادة تمنع اتفاقهم لاختلاف القرائح والانظار (٣٩) ورد ذلك : - بأن العادة لا تمنع من أن يكون الاجماع بموجب دليل قطعي ، ولا يجب نقله بعد انعقاد الاجماع الذي هو دليل أقوى لأن به يرتفع الخلاف الداعي الى نقل الدليل . كما أنه لا مانع من وقوعه بموجب دليل ظني كخبر الواحد . واختلاف القرائح والانظار لا يمنع من الاتفاق وغايته أنه قد يقلل من عدد الاجماعات .

وبهذا يتضح لنا أنها ما أثاره القائلون بعدم حجية الأجماع من شبهات وانها لا تقوى بحال على معارضة الأدلة الكثيرة التي احتج بها القائلون بحجيتها وهم جمهور العلماء من جميع المذاهب الاسلامية.

٤- انواع الاجماع

أولا : الاجماع البياني والاجماع السكوتي

أ- الاجماع البياني او التصريح ، وهو يتنوع الى نوعين ق اجماع قولي ، واجماع عملي .

الاجماع القولي : هو أن يصرح كل واحد من جماعة المجتهدين بما يفيد قبوله للرأي المعلن للاتفاق عليه . فمثلا لو ائق بعض المجتهدين المعاصرين بحل عقود التأمين ، وصرح كل مجتهد معاصر بما يفيد موافقته على ذلك لأصبح اجماعاً قولياً وحجة شرعية .

الاجماع العملي : وهو أن يقع العمل من كل واحد من جماعة المجتهدين كعملهم جميعاً في المضاربة والاستصناع فاذا وقع منهم ذلك كان اجماعاً عملياً وحجة شرعية .

والاجماع البياني بنوعيه القول والعملي هو الأصل في الأجماع وهو الذي يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة الاجماع ، وهو ما فرغنا من الاستدلال على حجيته .

ب- الاجماع السكوتي : وهو ان يصرح بعض المجتهدين برأيه في مسألة اجتهادية أو يقوم بعمل كالتأمين على حياته أو أخذ « خلو رجل » سرفلية « ويشتهر ذلك بين المجتهدين من أهل

(٣٩) الخضرى / اصول الفقهاء ٣١٢

★ رواه الترمذى ٢٤٩/١ ، وابو داود ٣٠٣/٣ ، والدارمي ٦٠/١ وانظر مسند احمد ٢٣٠/٥

عصره ويسكتون بعد علمهم بذلك من غير تكبير .

وهذا النوع من الاجماع يختلف اعلام الامة في تسميته اجماعاً كما اختلفوا في حجيته ، ولهم في ذلك عدة آراء ، أهمها ثلاثة

الرأى الاول : انه اجماع وحجة ، وهو لأكثر الاحناف ، واحمد بن حنبل وابي اسحاق الاسفرايينى من الشافعية (٤٠) .

الرأى الثانى : انه ليس اجماعاً ولا حجة ، وهو للامام الشافعى واكثر اتباعه ، واكثر المعتزلة ، والمالكية (٤١) الرأى الثالث : انه حجة وليس اجماعاً وهو لبعض المعتزلة (٤٢) .

أ- وجهة نظر أصحاب الرأى الاول تتلخص في الآتي : -

١- لو اشترط لانعقاد الاجماع البيان قولاً وعملاً - من كل المجتهدين لتعذر انعقاد الاجماع أصلاً لتوقفه على شرط متعذر عادة ، إذ المعتاد ان يتولى كبار المجتهدين الفتيا والقضاء ويسكت سائرهم موافقة لهم ، لأنه لو كان الحكم مخالفاً

عند الساكت لأعلن التكبير وأظهر الخلاف لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، وجماعة المجتهدين لا يتهمون بذلك (٤٣) .

٢- انعقد الاجماع على أن الاجماع السكوتي حجة قطعية في الامور الاعتقادية فيكون حجة في الفروع العملية من باب أولى .

وقد منع الشيخ الخضرى وغيره دعوى الاجماع هذه ، لأنه ان كان اجماعاً بيانياً فقد بنوا دليلهم الاول على تعذره ، وان كان اجماعاً سكوتياً فهو محل النزاع . كما منعوا دعوى انتفاء الاجماع مع شرط البيان من الكل ، لأنهم رفضوا هذه الدعوى عند مناقشة النظام في حالته انعقاد الاجماع (٤٤) . وقالوا ان انتشار العلماء وتفرقهم في الامصار لا يمنع من التساوى في العلم ، ووصول الخبر اليهم .

ب- وجهة نظر أصحاب الرأى الثانى قالوا ان السكوت يحتمل أن يكون للموافقة ، ويحتمل أن يكون للتأمل والنظر ، ويحتمل أن يكون خوفاً وهيبة من القائل او المقول ، كقول ابن عباس

(٤٠) انظر : تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٤٦ وروضة الناظر ص ٧٦ والاحكام للامدى ج ١ ص

(٤١) نفسه واصول الفقهاء للخضرى

(٤٢) انظر : روضة الناظر ص ٧٦

(٤٣) تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٤٧ ومنتهى الاصول لابن الحاجب ص ٤٢ والخضرى ص ٣٠١

(٤٤) نفسه

يتفق أهل الاجماع في عصر على حكم واحد لحادثة ما ، أو تتعدد الاحكام وينعقد الاجماع على كل حكم منها وهذا ما يسمى بالاجماع البسيط .  
 واما ان تتعدد الاحكام ولا ينعقد الاجماع على كل منها بل يتحزب كل فريق لرأى يخالف الآخر ، وهذا ما سمي بالاجماع المركب .

مخالفة الاجماع البسيط :

ان الحكم المجمع عليه من علماء عصر يكتب صفة القطعية ، ويكون ملزماً لجميع أفراد الأمة يجب عليهم جميعاً اتباعه والعمل به ، ولا يجوز لأحدهم مهما كان مركزه الديني العمل بخلافه . وكذلك يكون هذا الحكم ملزماً لأهل العصور التالية مجتهدين وغير مجتهدين ، فلا يحق لأحدهم ولا لهم مجتمعين نقض اجماع من سبقهم او العمل بخلافه ، والا كانوا تاركين للحق ، متبعين للضلال ، «فماذا بعد الحق الا الضلال » قولاً واحداً عند جميع المذاهب الاسلامية ، لأن الأمة لا تجتمع على خطأ . وعلماء عصر كل الامة بالنسبة الى ذلك الحكم .

قال الآمدى : « اذا اتفق اجماع امة عصر من الاعصار على حكم حادثة ،

وقد أظهر مخالفة عمر - رضى الله عنه - بعد وفاته - كان رجلاً مهيباً فهبته ، ويحتمل ان الساكت لا يرى الانكار في المسائل الاجتهادية بناء على القول بأن كل مجتهد مصيب : واذا كان السكوت محتملاً لهذه المعاني ، فلا يكون دليلاً على الموافقة فلا ينعقد الاجماع ولا يكون حجة (٤٥) .

ج- وجهة نظر أصحاب الرأى الثالث قالوا : ان غاية ما يدل عليه السكوت مع الاحتمالات التى تقدمت هو الموافقة في الظاهر فيكون حجة ظنية كخبر الواحد لكنه لا يكون اجماعاً .

والذى ترجح عندى ان ما سمي بالاجماع السكوتي ليس اجماعاً ، لأن السكوت ليس صريحاً في الموافقة فلا يكون اجماعاً لافتقاره الى عنصر الموافقة الذى هو قيد رئيس في تحقق الاجماع ، وليس حجة لأنه اتفاق بعض الامة ، والعصمة من الخطأ انما ثبتت للأمة كافة وليس لبعضها فلا يكون حجة والله أعلم .

ثانياً: الاجماع البسيط والمركب

يتنوع الاجماع الى نوعين : بسيط ومركب ، لأن الأمر لا يخلو : أما أن

فهم كل الامة بالنسبة الى تلك المسألة وتجب عصمتهم في ذلك عن الخطأ (٤٦). وكذلك يكون الاجماع ملزماً للمجمعي العصر انفسهم ، فلا يجوز لأحدهم الرجوع عن رأيه وموافقته ، واشترط بعض الاعلام (٤٧) انقراض عصر المجمعين ، فيما اذا كان مستند الاجماع دليلاً ظنياً ، لا دليلاً قطعياً ، حتى يكون الاجماع ملزماً للجميع . وهو رأى مرجوح لأن الاجماع يُكسب الحكم القطعية سواء أكان مستنده قبل انعقاد الاجماع دليلاً ظنياً أم قطعياً . قال الغزالي : « اذا اتفقت كلمة الامة ولو في لحظة انعقد الاجماع ، ووجبت عصمتهم عن الخطأ ، وقال قوم : لا بد من انقراض العصر وموت الجميع وهذا فاسد ، لأن الحجة في اتفاقهم لا في موتهم (٤٨) .

مخالفة الاجماع المركب : -

اذا انعقد اجماع مجتهدى عصر على حكمين مختلفين أو أكثر لحادثة . فهل يكون ذلك اجماعاً منهم على نفي ما عداها ، فلا يجوز لمن بعدهم احداث

حكم سواها ، او لا يكون اجماعاً على نفي ما عداها فيجوز احداث حكم آخر ؟ .

اختلفت انظار اعلام الأمة في ذلك ، فذهب جمهور العلماء الى المنع مطلقاً (٤٩) وذهب بعض إلى الجواز مطلقاً (٥٠) واختار الآمدي (٥١) وابن الحاجب (٥٢) التفصيل ، فقالوا : ان كان الحكم الآخر يرفع ما اتفق عليه السابقون امتنع والا جاز .

وقبل بيان وجهة نظر كل فريق لا بد من ذكر طائفة من المسائل التي توضح الاجماع المركب .

١ - توريث الجد مع الاخوة : اختلف فيه فقهاء العصر الاول فقال ابو بكر وعمر وابن الزبير وابن عباس - رضى الله عنهم - يرث الجد ويحجب الاخوة . وقال على وزيد بن ثابت - رضى الله عنهما - : يرث الجد مع الاخوة . وحينئذ فالقول بتوريث الاخوة وحرمان الجد قول ثالث يرفع ما اتفق عليه من توريث الجد .

(٤٦) الاحكام ج ١ ص ١٣١ (٤٧) وهما احمد بن حنبل وابوبكر بن فورك ، انظر الاحكام للآمدي ج ١ ص ١٣٠ وروضة الناظر ص ٧٣ (٤٨) المستصفي ج ١ ص ١٢٢ (٤٩) الشوكاني / ارشاد الفحول ص ٨٦ (٥٠) روضة الناظر ص ٧٥ (٥١) الاحكام ج ١ ص ١٣٧ (٥٢) منتهي الاصول ص ٤٤

٢ - النية في الطهارات الثلاث : اختلف الفقهاء في حكمها ، فقال قوم : بلزومها في جميع الطهارات من وضوء ، وغسل وتيمم ، وقال آخرون : بلزومها في التيمم فقط . وحينئذ فالقول بعدم لزومها في الجميع قول ثالث يرفع ما اتفق عليه من لزومها في التيمم .

٣ - فسخ النكاح بالعيوب ، وهي الجذام ، والبرص ، والجرب ، والعنة ، والرتق ، والقرن : اختلف الفقهاء في ذلك فمنهم من قال : يفسخ النكاح في أى منها ، ومنهم من قال : لا يفسخ النكاح بشئ منها . وحينئذ فالقول بالفسخ بالبعض دون البعض قول ثالث ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه ، لأنه لم ينعقد الاجماع على أحد هذه العيوب .

٤ - أم وأب وأحد الزوجين : اختلف العلماء في ميراث الأم : فقال فريق : تراث الأم ثلث المال كله ، وقال فريق آخر : تراث ثلث الباقي وحينئذ فالقول بأنها تراث ثلث المال كله مع أحد الزوجين وثلث الباقي مع الآخر قول ثالث ، ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه لأنه يوافق كل فريق من وجه .

وجهة نظر القائلين بالمنع مطلقا :

قالوا : انه لو جاز احداث القول

الآخر لكان مخالفا للاجماع المنعقد على عدم القول به ومستلزما تحطئة كل الامة ، وهذا لا يجوز لمخالفته لعموم أدلة الاجماع .

ولنا أن نقول : ان القول بالمنع لا ينافي القول بالتفصيل لأن الممنوع هو مخالفة الكل فيما اتفقوا عليه كما في مسألة الجحد مع الأخوة ، اما ان يخالف كل فريق من وجه ويوافقه من وجه فلا يتجه عليه المنع كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب .

وجهة نظر القائلين بالجواز مطلقا :

قالوا : ان وقوع الاختلاف في حكم حادثة دليل على انها من المسائل الاجتهادية التي يصح الاجتهاد فيها ، وحينئذ لا مانع يمنع من الاجتهاد فيها بالنسبة لمجتهدى العصور التالية (٥٣) .

واجيب عن ذلك بأن الاختلاف يكون دليلا على صحة الاجتهاد فيما اذا لم يمنع مانع من الاجتهاد ، وهنا المانع موجود ، وهو اجماع الفريقين على نفي القول الآخر .

وجهة نظر القائلين بالتفصيل : -

قالوا : ان كان القول الآخر يرفع ما اتفق عليه القولان كما في مسألة

الجد مع الاخوة ، ومسألة النية في الطهارات ، فهو ممتنع لما فيه من مخالفة الاجماع . وان كان القول الآخر لا يرفع ما اتفق عليه بل يوافق كل فريق من وجه ويخالفه من وجه كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب ومسألة الام والاب واحد الزوجين فهو جائز لأنه لم يخالف اجماعاً (٥٤) واشكل عليهم بأن في ذلك تخطئة كل فريق في بعض ما ذهب اليه وتخطئتهم تخطئة للامة وذلك محال . فأجاب ابن الحاجب عن ذلك بقوله : « المحال تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه واما تخطئة كل فريق فيما لم يتفقوا عليه فجائز (٥٥) وبنفس الفكرة وبلفظ مشابه أجاب الآمدى : « المحال انما هو تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه ، واما تخطئة كل بعض فيما لم يتفقوا عليه لا يكون محالاً (٥٦) .

وبهذا يتبين لنا رجحان ما ذهب اليه المتأخرون والمعاصرون وهو التفصيل وذلك « لأنه اذا رفع مجعاً عليه فقد خالف الاجماع فلم يجز كسألة الجد والنية ، واذا لم يرفع مجعاً عليه فلا داعي للمنع لانه لم يخالف اجماعاً ولا مانع سواه (٥٧)

ثالثاً : الاجماع المحصل والمنقول :  
يتنوع الاجماع الى نوعين ايضاً :  
محصل ، ومنقول .

أ- الاجماع المحصل : - هو الذى يحصله الفقيه بنفسه ، وذلك بأن يتتبع رأى كل فرد من مجتهدى عصر في الحادثة التى يريد معرفة حكمها فيجدها متفقة في الحكم . والمحصل هو الذى تقدم البحث عنه ، وخلصنا الى أنه حجة عند جميع المذاهب الاسلامية ب- الاجماع المنقول : وهو الذى لم يحصله الفقيه بنفسه ، وانما وصل اليه عن طريق النقل ، سواء أكان هذا النقل بواسطة أو اكثر ، والنقل تارة يكون بالتواتر وحكم المتواتر في الحجية حكم الاجماع المحصل عند الجميع (٥٨) وتارة اخرى يكون بالآحاد ، وهو المراد من الاجماع المنقول عند الاطلاق في عرف الاصوليين .

حجية الاجماع المنقول بنجر الواحد  
اختلف الاصوليون في حجية الاجماع المنقول على قولين :  
١ - انه حجة ٢ - انه ليس بحجة

(٥٤) الآمدى / الاحكام ج ١ ص ١٣٧ وابن الحاجب / منتهى الاصول ص ٤٤

(٥٥) نفسيهما

(٥٦) نفسيهما

(٥٧) الخضرى / اصول الفقه ص ٣٠٠

(٥٨) المظفر / اصول الفقه ج ٣ ص ١١٦

قائلون بحجية الاجماع المنقول بالآحاد  
(٦٤) .

وخلاصة نظر القائلين بالحجية هي :  
١ - ان الاجماع المنقول بالآحاد مفيد  
للظن فكان حجة كالمقول بالآحاد عن  
رسول الله - عليه الصلاة والسلام .

٢ - المطلوب من المجتهد ان يحكم  
بالظاهر ، عملا بقول الرسول الكريم  
- عليه السلام - «نحن نحكم بالظاهر»  
والاجماع المنقول ظاهر ظني فيكون  
حجة .

والى الثاني - اعنى عدم حجية الاجماع  
المنقول - ذهب فريق من العلماء .  
قال الغزالي : «الاجماع لا يثبت بخبر  
الواحد خلافا لبعض الفقهاء ، والسر  
فيه ان الاجماع دليل قاطع يحكم به  
على الكتاب والسنة المتواترة ، وخبر  
الواحد لا يقطع به فكيف يثبت به  
قاطع وليس يستحيل التعبد به عقلا  
لو ورد - كما ذكرنا في نسخ القرآن  
بخبر الواحد لكن لم يرد (٦٥) ولكنه  
لم يقطع ببطلان العمل به حيث قال :

وقد ذهب الى الرأى الأول جمهور  
العلماء قال ابن الحاجب : يصح التمسك  
بالاجماع المنقول بخبر الواحد ، وانكره  
الغزالي وبعض الحنفية (٥٩) وقال  
البناني : « ان الاجماع المنقول بالآحاد  
حجة لصدق التعريف به وهو الصحيح  
في الكل (٦٠)

وقال ابن قدامة المقدسي « الاجماع  
المنقول بطريق الآحاد يغلب على الظن  
فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول  
بطريق الآحاد (٦١) .

وقال الشوكاني : الاجماع المنقول  
بطريق الآحاد حجة وبه قال الماوردي  
وامام الحرمين ، والآمدي (٦٢)

وقال الآمدي : « اختلفوا في ثبوت  
الاجماع بخبر الواحد فأجازه جماعة  
من أصحابنا واصحاب أبي حنيفة -  
رحمهم الله - والحنابلة ، وانكره  
جماعة من اصحاب ابى حنيفة وبعض  
اصحابنا كالغزالي مع اتفاق الكل قطعا  
في متنه (٦٣) .

وهكذا يلحظ المنتجع ان اكثر العلماء

(٥٩) ابن الحاجب / منتهى الاصول ص ٤٦

(٦٠) حاشية البناني علي شرح جمع الجوامع ج ١ ص ١٧٩

(٦١) روضة الناظر ص ٧٨

(٦٢) ارشاد الفحول ص ٨٩

(٦٣) الاحكام ج ١ ص ١٤٣

(٦٤) انظر بالاضافة السي المصانير السابقة شرح المنار لابن ملك ص ٢٥٨ وكشف الاسرار

علي اصول البيهقي ج ٣ ص ٢٦٥ وفتح الغفار بشرح المنار لابن نجيم ج ٣ ص ٦

(٦٥) المستصفي ج ١ ص ١٢٧



ولسنا نقطع ببطلان مذهب من يتمسك به في حق العمل خاصة (٦٦) .

ويمكن تلخيص وجهة نظر القائلين بعدم الحجية بالآتي :

ان الاجماع المنقول بنجر الواحد لا يفيد العلم القاطع فلا يكون حجة .  
والقائلين بحجيته يسلمون بعدم إفادته القطع بل الظن ، ويقولون ان الظن يكفي في الاحكام الشرعية كالنصوص المنقولة بنجر الواحد فيكون حجة ، ومنهم من يقول ان العمل بالظن الحاصل من الاجماع المنقول خارج عن أصالة حرمة العمل بالظن .

قال ابن قدامة : ذهب قوم الى ان الاجماع لا يثبت بنجر الواحد لأن الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة ، وخبر الواحد لا يقطع به فكيف يثبت به المقطوع . وليس ذلك بصحيح فان الظن متبع في الشرعيات والاجماع المنقول بطريق الآحاد يغلب على الظن فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الآحاد ، وقولهم هو دليل قاطع ، قلنا قول النبي - عليه السلام - ايضا دليل قاطع في حق من شافهه او بلغه بالتواتر واذا نقله الآحاد كان مظلونا وهو حجة فالاجماع كذلك بل هو أولى (٦٧) .

خاتمة

## المبحث الأول

تنشر بين حين وآخر بعض الآراء التي يدعى فيها اصحابها ان الاجماع لم يعد ممكنا وانه قد فقد قيمته التشريعية بعد عصر الصحابة - رضوان الله عليهم - وبينون آراءهم هذه على امرين :  
١- تفرق اولى الرأى واهل الحل والعقد في مشارق الارض ومغاربها ، وعدم امكان معرفتهم ، ومعرفة ما اتفقوا عليه من احكام وفتاوى وأفضية .

٢- اختلاف منازعهم الفكرية والسياسية والشخصية فأني يتفقون على رأى واحد في مسألة واحدة ! !

وأرى ان دعوى تعذر الاجماع لانتشار أهله في البلدان ظاهرة الفساد للآتي : -  
١- ان التفرق المكاني والبعد الزماني لم يحل دون الاطلاع على عدم اختلافهم في مسائل كثيرة ، ونقلها اليها جيلا بعد جيل أدل دليل على وقوع الاجماع وعلى انه لم يفقد قيمته التشريعية من ذلك : جمع القرآن وكتابته ، وصحة عقود الاستصناع ، وبيع المعاطاة ، وبطلان زواج المسلمة بغير المسلم ، وتحريم الجمع بين المحارم في النكاح ، وقيام الاخوة والاخوات لاب مقام الأخوة الأشقاء عند عدمهم . . الى غير ذلك .

(٦٦) نفسه

(٦٧) روضة الناظر ص ٧٨

قال الآمدى : « ان جميع ما ذكره  
منتقضى بما وجد من اتفاق جميع  
المسلمين فضلا عن اتفاق أهل الحل  
والعقد ، مع خروج عددهم عن الحصر  
على وجوب الصلوات الخمس ،  
وصوم رمضان ، ووجوب الزكاة  
والحج ، وغير ذلك من الاحكام التى  
لم يكن طريق العلم بها الضرورة (٦٨)  
٢- ان كانت تلك الدعوى قد تكون  
مستساغة في العصور الغابرة فلا مجال  
لها في عصرنا والعصور التالية ، لما حققه  
الانسان من تقدم في مجال الاتصالات  
والمواصلات واجهزة الاعلام . فبفضل  
المواصلات الحديثة أصبح من السهل  
جداً ان يعقد قادة الفكر في الامة ممن  
بلغوا درجة الاجتهاد « اهل الاجماع »  
مؤتمراً عاما كلما دعت الحاجة وأن يتبادلوا  
وجهات النظر فيما يجد من أحداث  
وما يطرأ من مشكلات وما اتفقوا عليه  
كان اجماعاً واجب الاتباع من جميع  
افراد الامة . وبفضل اجهزة الاعلام  
المتنوعة والمتطورة يمكن الاطلاع على  
الفتاوى التى تصدرها دور الفتوى

في كل قطر اسلامى وعلى آراء المجتهدين  
اينما كانوا ، وما اتفقوا عليه كان  
اجماعاً ، وهكذا نضمن حلولاً وتشريعات  
جديدة لكل جديد من المحن والتصرفات  
وتبقى الشريعة - في ظل احد مصادرها  
الاجماع - حية يجد انسان العصر فيها  
الحل المناسب لما يصادفه من وقائع  
ومشكلات .

واما بالنسبة للدعوى تعذر الاجماع  
لاختلاف منازع أهله الفكرية والسياسية  
فهى كذلك ظاهرة الفساد للآتي :  
ان اقصى ما يؤدى اليه اختلافهم هو  
الحد من الاجماع ولا يؤدى ذلك  
الى استحالة الاتفاق على بعض الاحكام  
والفتاوى والاقضية بدليل ما نقل الينا  
من اجماع لا زال العمل عليها  
عند جميع المذاهب الاسلامية حتى  
عصرنا هذا .

والله اسأل ان يلهمنا الصواب ويوفقنا  
لخدمة شريعتنا الغراء

الدكتور رشدى عليان  
كلية الدعوة واصول الدين  
الجامعة الاسلامية

# \* العبادات في الإسلام

## وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

لفضيلة الدكتور محمد السيد شيخون

الحمد لله . نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .  
أما بعد . .

فإن الحديث عن العبادات في الإسلام لا بد أن يسبقه الحديث عن التوحيد فمنزلته من العبادات كمنزلة الأساس من البناء فكما أن البناء لا يثبت ولا يستقر ولا ينتفع به إلا إذا أقيم على أساس متين فكذلك العبادات لا تؤتي ثمارها ولا ينتفع بها إلا إذا بنيت على التوحيد فهو قوامها وعمادها وأصلها وأساسها .

### — التوحيد —

معناه : التوحيد المطلق هو العلم والاعتراف (١) بتفرد الرب بصفات الكمال والإقرار بتوحيده بصفات العظمة والجلال وإفراده وحده بالعبادة .

أقسامه : وقد قسمه العلماء الموحدون إلى ثلاثة أقسام : —

القسم الأول : توحيد الربوبية : وهو أن يعتقد العبد أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربي جميع الخلق بنعمه (٢) .

وهذا القسم لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به . فهم يقولون بأن الله خالقهم « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »

(١) القول السيد في مقاصد التوحيد ص ١٤  
\* القيت هذه المحاضرة في منى في معسكر الجامعة الإسلامية صباح يوم الجمعة الموافق ١٢ من شهر ذي الحجة عام ١٣٩٦هـ

ويقرون بأن الله خالق السموات والأرض « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » ويقرون بأن الله هو الرازق وهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وأنه الذى يملك السمع والأبصار والأفئدة « قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون » « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون » « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأني تسحرون »

وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوة ونطقة بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكيا عن موسى عليه السلام : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر . »

وقال إبليس : « إني أخاف الله رب العالمين » وقال : « رب بما أغويتني » وقال « رب فأنظرنى »

فكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض وربهن ورب ما فيهما ورازقهن .

القسم الثاني : توحيد الأسماء والصفات وهو اعتقاد انفراد (١) للرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التى لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه وذلك بإثبات ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفى لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله .

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١٥

القسم الثالث : توحيد الألوهية ويقال له توحيد العبادة وهو العلم (١) والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده .

وهذا القسم يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما لأن الألوهية التي هي صفة نعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ولما أسداه إلى خلقه من القواضل والإفضال .

فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرد به بالربوبية يلزم منه ألا يستحق العبادة أحد سواه (٢) .

وهذا القسم هو الذي من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم إنما بعثوا لدعوة العباد إلى إفراد الله بالعبادة « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

وقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه » وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب » .

ومن أجل ذلك كان كل رسول يفتتح دعوته بقوله لقومه : « أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

ومن هنا يعلم أن الإقرار بالربوبية لا يكفي في التوحيد لأن المشركين لم ينفعهم هذا الإقرار مع إشراكهم الأنداد لله في العبادة ولا أغنى عنهم من الله شيئا ، وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم ينفعون ويضرون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وأنهم يشفعون لهم عند الله « هؤلاء شفعاؤنا عند

(٢) المرجع السابق ص ١٧

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١٦

الله « فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم وندروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم لما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد بإقرارهم هذا لأنه نافاه فعلهم فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية فمن شأن من أقر لله وحده بتوحيد الربوبية أن يفرد به بتوحيد العبادة فإن لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل وقد عرف المشركون ذلك وهم في طبقات النار فقالوا : « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين » مع أنهم لم يسوؤهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراف في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام .

وبناء عليه فالتوحيد المنجى من النار إنما يكون بالإقرار لله بالربوبية والعبودية والتفرد بصفات الكمال والعظمة والجلال وهذا يقتضى من العبد أن ينسب إليه جميع النعم « وما بكم من نعمة فمن الله » وأن يخصه بالعبادة والاستعانة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإنابة فمن فعل شيئا من ذلك لمخلوق حى أو ميت أو جماد أو غيره فقد أشرك وصار من تفعل له هذه الأمور لها لعابديه سواء أكان ملكا أم نبيا أم وليا أم شجرا أم قبرا أم جنا أم حيا أم ميتا وصار العابد بهذه العبادة عابدا لذلك المخلوق مشركا بالله .

وخلاصة القول في التوحيد أن يحقق العبد كلمة « لا إله إلا الله » وتحقيق هذه الكلمة ألا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا الله فلا يخاف سواه ، ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرغب إلا إليه ولا يرهب إلا منه ، ولا يحلف إلا به ولا ينذر إلا له ولا يناب إلا إليه ، ولا يطاع إلا أمره ولا يحتسب إلا به ، ولا يستعان في الشدائد إلا به ولا يلتجأ إلا إليه ، ولا يسجد إلا له ، ولا يذبح إلا له وباسمه .

### فضائل التوحيد

- ١ - إن التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالى . « والله العزة لرسوله وللمؤمنين »
- ٢ - إن التوحيد إذا تم وكل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرا ويضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب

فعن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال موسى يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسى : لا إله إلا الله قال يارب كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله « رواه ابن حبان والحاكم .

٣ - إن التوحيد سبب في تكفير الذنوب ومحو الخطايا فعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة . «

٤ - إن التوحيد يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »

٥ - إن التوحيد يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة من خردل وأنه إذا اكتمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجه البخارى ومسلم .

وفي حديث عتبان « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله » ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار . «

٦ - إن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ويقول تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « كذلك لنصرف عنه السوء  
والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » .

٧- إن التوحيد هو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه والفوز بشفاعة الرسول  
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى مثنيا على المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم  
بإحسان « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان  
رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين  
فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » .

٨- إن الله تكفل لأهل التوحيد بالفتح والنصر والعز والشرف وحصول الهداية  
والتيسير ليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال .

٩- إن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي  
ترتب الثواب عليها على التوحيد فكلما قوى التوحيد والاخلاص لله كملت  
هذه الأمور وتمت .

١٠- إن التوحيد يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات  
فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه  
ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه  
وعقابه .

١١- إن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله إلى صاحبه الإيمان وزينه في قلبه  
وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين .

١٢- إن التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما

١٣- إن التوحيد هو الطريق إلى الفوز بمحبة الله عز وجل « إن الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً »

١٤- إن التوحيد يخفف عن العبد المكارة ويهون عليه الآلام فيحسب تكميل العبد  
للتوحيد والإيمان يتلقى المكارة بقلب منشرح وصدر رحب ونفس مطمئنة  
وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة .



١٥ - إن الله تكفل لأهل التوحيد بالأمن والطمأنينة والولاية ودخول الجنان « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

هذه هي فضائل التوحيد ولا يناها ولا يحظى بها إلا من حققه وتحقيقه ليس بالتمنى ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق ولا بالخلي العاطلة وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الايمان وحقائق الاحسان وصدقته الأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة الجليلة .

يقول ابن القيم رحمه الله في فضل كلمة التوحيد « هي الكلمة (١) التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس إلى شقى وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الاسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (٢)

العبادات وأثرها في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس

إن الاسلام قد فرض على الناس عبادات لها أثر حسن في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس وسنشير في هذه العجالة إلى ما تشتمل عليه هذه العبادات من المثل العالية والمبادئ السامية التي تحقق السعادة في الدنيا والآخرة .

الصلاة وفضائلها :

إن من يدرس هذه الفريضة دراسة واعية مستفيضة يدرك أنها تشتمل على كثير

(١) الجواب الكافي ص ١٧٠  
(٢) رواه احمد وابوداود عن معاذ وهو حديث صحيح

من الفضائل التي تسهم في سعادة الفرد والمجتمع ومن هذه الفضائل ما يأتي :

١ - إنها تسهم في حماية العبد من الأمراض التي تفتك به وتعوقه عن العمل لدياه وأخراه لما فيها من الحث على النظافة فقد جعل الاسلام مفتاحها طهارة البدن والثوب والمكان .

٢ - إنها تعود المؤمن مراقبة الله وخشيته ، إذ يقف العبد فيها فارغا من الشواغل موجهها قلبه إلى مولاه يناجيه ويثني عليه بما هو أهله خائفا عقابه طامعا في رحمته طالبا منه العون والهداية فيؤثر ذلك في نفسه ويعوده مراقبة الله وخشيته فيجتنب ما يغضب مولاه ويمتنع عما حرم الله .

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »

٣ - الصلاة تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة المشقات والمكاره في الحياة الدنيا « واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه (١) أمر فرع إلى الصلاة (٢) .

٤ - إن في الصلاة غذاء روحيا للمؤمن يعينه على مقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير والتغلب على جوانب الضعف الإنساني « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » .

٥ - إن الصلاة سبب لمحو الخطايا وغفران الذنوب فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء قالوا : لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » أخرجه البخاري ومسلم .

٦ - إن الصلاة تعلم العبد بما فيها من الركوع والسجود والثناء والتعظيم كيف يتواضع لله ، وكيف يشكر من أحسن إليه ويكافي من أسدى إليه معروفا .

(١) أي نزلت به شدة  
(٢) رواه احمد وابو داود

٧- إن الصلاة بما فيها من الخشوع ترقق قلب المؤمن وتملأه رحمة وقناعة فيرحم الضعفاء ، ويواسى البؤساء ، ويرضى عن الله في الشدة والرخاء .

٨- إن في الصلاة غذاء للروح لا يغني عنه علم ولا أدب فالصلوات الخمس هي وجبات الغذاء اليومي للروح كما أن للمعدة وجباتها اليومية يناجى المصلي فيها به فتكاد تشف روحه وتصفو نفسه فتسمع كلام الله الذي يقول : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدى قسمين ولعبدى ما سأل . فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل : حمدني عبدى ، فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله : أثنى على عبدى ، فإذا قال : مالك يوم الدين قال : مجدني عبدى ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » رواه مسلم .

٩- في الصلاة تدريب للمسلم على النظام وتعويد له على الطاعة ويظهر هذا واضحا في صلاة الجماعة إذ يقف المسلمون في صفوف مستقيمة متلاصقة فلا عوج ولا فرج المنكب إلى المنكب والقدم إلى القدم فإذا كبر الإمام كبروا وإذا قرأ أنصتوا ، وإذا ركع ركعوا ، وإذا سجد سجدوا ، وإذا سلم سلموا ، من خرج على هذا النظام فكأنما خرج على الإنسانية وانحط إلى مستوى الحيوانية ١ ففي الحديث الشريف : « ألا يخشى الذي يركع أو يسجد قبل الإمام أن يمسخ الله رأسه رأس حمار » رواه البخارى ومسلم .

١٠- في صلاة الجماعة مظهر من مظاهر المساواة الرائعة إذ يقف الأمير إلى جانب الفقير والغنى في جوار المسكين ، والسيد في محاذة الخادم ، فليس في المسجد لأئحة تخصص الصف الأول للوزراء والصف الثاني للنواب ، والصف الثالث للمديرين وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط فمن بكر في الذهاب إلى المسجد احتل مكانه في مقدمته أيا كانت منزلته وأيا كان عمله في الناس (٢) .

١١- في صلاة الجماعة دعم لعاطفة الأخوة وتقوية لروابط المحبة وإظهار للقوة فبالاجتماع تذهب الضغائن وتزول الأحقاد ، وتتآلف القلوب وتتحد الكلمة .

(١) من محاسن الإسلام للاستاذ أحمد عز الدين ص ٤٥

(٢) من محاسن الإسلام للاستاذ أحمد عز الدين ص ٥٨

١٢ - في صلاة الجماعة تظهر عظمة ملك الملوك ورب الأرباب ويعم الخير وتنتشر الرحمة لأن المسلمين إذا اجتمعوا في صعيد واحد وراء إمام واحد إلى قبلة واحدة يعبدون ربا واحدا خاشعين خاضعين خائفين عذابه طامعين في فضله عشيتهم رحمته وعمهم إحسانه « وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

١٣ - الصلاة تعود على البدن بنفع عظيم فهي تقوى العضلات وتسبب اليقظة المبكرة والنشاط لجميع الجوارح فالجسم في الصلاة يعمل قائما وقاعدا وراكعا واللسان يعمل قارئاً مكبراً مسبحاً مهللاً (٢) والعقل يعمل متدبراً متفكراً فيما يتلى عليه من القرآن والقلب يعمل مستحضراً رقابة الله تعالى وخشيته والشوق إليه ،

### عناية الاسلام بالصلاة

لقد عنى الإسلام بالصلاة لما فيها من الفضائل ولما تشتمل عليه من الخير والنفع فشدد كل التشديد في طلبها وحذر كل التحذير من تركها أو تأخيرها عن أوقاتها فهي عمود الدين ومفتاح الجنة وخير الأعمال وأول ما يحاسب عليه المرء المؤمن (١) يوم القيامة يذكرها القرآن الكريم في دعاء الخليل ابراهيم . عليه الصلاة والسلام « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء »

ويعمد بها اسماعيل عليه الصلاة والسلام « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا »

ويأمر الله تعالى كليمة موسى عليه الصلاة والسلام بإقامتها أول ما يأمره به في ساعات الوحي الإلهي « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري »

ويوحى إليه وإلى أخيه هارون عليهما الصلاة والسلام « أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة »

ومن وصايا لقمان لابنه « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

(١) المرجع السابق ص ٤٨ (٢) من محاسن الاسلام للاستاذ احمد عز الدين ص ٣٤

وينطق عيسى عليه السلام وهو في مهده « وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » ويأمر بها خاتم أنبيائه عليه أفضل الصلاة والسلام « اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة » .

ويؤكد الاسلام عليها في الحضر والسفر والأمن والخوف والسلام والحرب « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجا لا أو ركبانا »

وينذر بالويل والهلاك من يصرف قلبه عنها أو يؤخرها عن وقتها فيضيعها « فويل للمصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون »

ويجعلها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الدليل الأول على التزام عقد الإيمان والشعار الفاصل بين المسلم والكافر ففي الحديث الشريف « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه أحمد ومسلم .

وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » أحمد وابن حبان .

وفي توجيه هذا الحديث كلام حسن خلاصته أن من شغله عن الصلاة ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف .

وفي الحديث الشريف « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » رواه ابن حبان تلك هي مكانة الصلاة في الاسلام ولهذا المكانة كانت أول عبادة فرضت على المسلمين فقد فرضت في مكة قبل الهجرة بستين تقريبا ، وكانت طريقة فرضيتها دليلا آخر على عناية الله تعالى بها إذ فرضت ليلة الإسراء والمعراج بخطاب مباشر من رب العالمين تبارك وتعالى إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

### الصلاة التي يريد بها الاسلام

إن الصلاة التي يريد بها الإسلام والتي تشتمل على الفضائل التي سلفت ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان ، وحرركات تؤديها الجوارح بلا تدبر من عقل ولا خشوع

من قلب ، أوتلك التى ينقرها صاحبها نقر الديك (١) كلا وإنما الصلاة التى يريد بها الاسلام هى التى تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله لأن القصد الأول من الصلاة هو تذكير الإنسان بربه عز وجل « وأقم الصلاة لذكري » فالصلاة التى يريد بها الاسلام لا بد فيها من حضور القلب والعقل معا فالقلب يستحضر عظمة المعبود والعقل يتدبر فيما يتلى من القرآن ، وبحضور القلب والعقل تسكن الجوارح ويتم الخشوع ، وتؤتي الصلاة ثمارها ، ويحظى المصلى بفضلها وثوابها وتقوى صلته بربه فيسعد في الدنيا والآخرة يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما « ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه » .

### الزكاة وفضائلها

ومن العبادات التى تشتمل على كثير من الفضائل « الزكاة » ومن فضائلها ما يأتي :

١- إنها تغرس في نفس المؤمن فضيلة السخاء وتطهر نفسه من رذيلة الشح فيفوز برضا الله ويسعد بتوفيقه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

٢- الزكاة فيها سد لحاجة الفقراء وتفريج لكربة الغارمين وتيسير لأبناء السبيل وعون على المصالح العامة .

٣- إنها تخرج الأضغان من قلوب البائسين وحقدهم على الأغنياء المترفين وتملأ قلوبهم بمحبتهم وتمنعهم من الإساءة إليهم وبذلك يسود الأمن وبذلك تكون الألفة والإخاء .

٤- الزكاة فيها تطهير للمال من الشر ففي الحديث الشريف « إذا أدبت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره » رواه الحاكم وفي الحديث الشريف أيضا : « حصنوا أموالكم بالزكاة » رواه أبو داود .

٥- الزكاة ضمان اجتماعي (١) لأن الاسلام يأبى أن يكون في مجتمعه من لا يجد القوت الذى يكفيه والثوب الذى يواريه والبيت الذى يؤويه فهذه ضرورات يجب أن تتوافر لكل من يعيش في ظل الاسلام الرحيم والمسلم مطالب بأن يحقق

(١) من محاسن الاسلام للاستاذ احمد عز الدين ص ٤١

(٢) من محاسن الاسلام للاستاذ احمد عز الدين ص ٦٤

هذه الضرورات وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه والزكاة مورد أساسي لهذه الكفالة الاجتماعية التي فرضها الإسلام للفقراء والمساكين « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

٦ - الزكاة أمضى سلاح لمحاربة كثر الأموال وإخراج النقود من مخابثها فالمال المخبوء تأكله الزكاة .

هذه هي بعض الفضائل التي تشتمل عليها هذه الفريضة ولو أن الناس أخرجوا زكاة أموالهم كما أمرهم ربهم لسدت حاجة الفقراء والمساكين ولعاش الناس إخوة متحابين متآلفين ولكن بعض الأغنياء بخلوا بزكاة أموالهم فمنعوها مستحقيها فكانوا سببا في انتشار الأحقاد والضغائن وحدث كثير من المفاسد والجرائم .

### الصيام وفضائله

كذلك من العبادات ذات الاثر الحسن في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس « الصيام » فهو يشتمل على كثير من الفضائل نذكر بعضها : -

١ - في الصيام ضبط للنفس وإطفاء لشهواتها فإنها إذا شبعتم تمرت وسعت وراء شهواتها وإذا جاعت خضعت وامتنت عما تهوى قال صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فهو له وجاء » فإنه يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير إلى العنت والفاحشة فكان الصوم ذريعة إلى كف النفس عن المعاصي .

٢ - إن الصيام وسيلة إلى إصلاح النفوس وتهذيبها إنه يربي في الإنسان فضيلة الصدق والوفاء والإخلاص والأمانة والصبر عند الشدائد لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال من الغذاء الذي لا غنى لها عنه طلبا لمرضاة الله وخوفا من أليم عذابه فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام الغنية عنه فلا يكذب الصائم ولا يغدر ولا ينقض عهدا ولا يخلف وعدا ولا يكون مرآيا ولا خائنا فكان الصوم سببا في اتقاء المحارم وقوة العزيمة والتحمل بالفضائل والتخلي عن الرذائل وإلى هذا كله أشار جل جلاله بقوله : « لعلكم تتقون (١) »

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٣

٣- الصوم يدعو إلى شكر النعمة إذ هو كف للنفس عن الطعام والشراب ومباشرة النساء وكل هذا من جلائل نعم الله عز وجل على خلقه والامتناع عن هذه النعم من أول اليوم إلى آخره يعرف الإنسان قدرها إذ لا يعرف فضل النعمة إلا بعد فقدانها فيعينه ذلك على القيام بشكرها ، وشكر النعمة واجب وإلى هذا أشار جل وعلا بقوله : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (١) »

٤- الصيام يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء والعطف على البائسين فإن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات تذكر الفقير الجائع في كل الأوقات فيسارع إلى رحمته والإحسان إليه .

٥- في الصيام تمام التسليم لله وكمال العبودية له فالصائم يجوع ويعطش وأسباب الغذاء والرى أمامه (٢) ميسرة لولا حب الله تعالى والرغبة في رضاه ولهذا جاء في الحديث القدسي « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي يدع شهوته وطعامه من أجلي » رواه مسلم .

٦- الصيام يعود على البدن بالصحة ويكون سببا في شفاء كثير من الأمراض إذ فيه راحة للمعدة من عناء الهضم وتخليص للجسم من فضلاته الضارة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « صوموا تصحوا رواه الطبراني .

هذا هو الصيام لم يشرعه الله تعالى تعذيبا للبشر ولا انتقاما منهم وإنما شرعه إيقاظا لأرواحهم وتصحيحا لأجسامهم وتقوية لإرادتهم وتعويدا لهم على الصبر وتعريفا لهم بالنعمة وتربية لمشاعر الرحمة فيهم وتدريباً لهم على كمال التسليم لله رب العالمين (٣) .

### الحج وفضائله

إن في فريضة الحج كثيرا من الفضائل التي تسهم في تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة ومن هذه الفضائل ما يأتي : -

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٥

(٢) من محاسن الإسلام للاستاذ أحمد عز الدين ص ٦٩

(٣) المرجع السابق ص ٧١



١- الحج غذاءً روحياً كبيراً تمتلئ فيه جوانح المسلم خشيةً وتقياً لله رب العالمين ، ففى كل منسك من مناسكه غذاء للروح فما الإحرام إلا تجرد من شهوات النفس والهوى وحبس للنفس عما سوى الله عز وجل وحث على التفكير في عظمة الله جل جلاله وحث على تذكر الموت والاستعداد له بالعمل الصالح فالحاج في لباس إحرامه يذكر بالميت في أكفانه ، وما التلبية إلا استجابة وذكر وطاعة وامثال ، وما الطواف بعد التجرد إلا استحضار لعظمة الله تعالى حول بيته ، وامثال لأمره « وليطوفوا بالبيت العتيق » وما السعى بين الصفا والمروة إلا تردد بينهما التماساً لرحمة الله تعالى وطلباً لمغفرته ، وما الوقوف بعرفة إلا بذل (١) للمهيج في الضراعة إلى الله بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء وألسنة لاهجة بالدعاء وآمال صادقة في أرحم الراحمين ، وما الرمي بعد ذلك إلا رمز لاحتقار عوامل الشر ونزغات الشيطان ، وما الذبح إلا إراقة للدم الذى أمر الله به أن يراق ورمز للتضحية والفداء .

« قل إن صلاتي ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين »

٢- في الحج تدريب على ركوب الأخطار وتحمل المشقات ومفارقة الأهل والتضحية بالراحة والدعة في الحياة الرتيبة بين الأهل والأصحاب .

٣- في الحج تدريب للمسلم على المبادئ الإسلامية العالية التى جاء بها الإسلام ففى وحدة مظهر الحجاج في إحرامهم معنى المساواة في أجلى صورها وأتمها .

٤- في الحج ترى معنى الوحدة الإسلامية جلياً كالشمس فشعور المسلمين فيه واحد وشعائرهم واحدة لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة فكلهم مسلمون يؤمنون برب واحد ويطوفون ببيت واحد (٢) .

٥- الحج مظهر من مظاهر السلام فأرض الحج هى البلد الحرام والبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً، ومن دخله كان آمناً. إنها منطقة أمان شمل الطير في الجو والصيد في البر والنبات في الأرض فهذه المنطقة لا يصاد صيدها ولا يروع طيرها ولا حيوانها ولا يقطع شجرها ولا حشائشها (٣) .

(١) من محاسن الإسلام للاستاذ أحمد عز الدين ص ٧٩

(٢) من محاسن الإسلام للاستاذ أحمد عز الدين ص ٨٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٣

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » « وحرم عليكم صيد النهر ما دمتم حرما » .

٦- الحج مؤتمر إسلامي عظيم فهناك يجد المسلم إخوانا له في الدين من قارات الدنيا الخمس اختلفت أقاليمهم وألوانهم ولغاتهم وجمعتهم رابطة الإيمان والاسلام (١) فما أجدر المسلمين أن ينتفعوا من هذا المؤتمر السنوي بما يعود عليهم بالخير في أمر دينهم وأمر دنياهم « ليشهدوا منافع لهم » .

هذه هي بعض الفضائل التي تشتمل عليها العبادات ، وهذه الفضائل لا تحصل للعابد إلا إذا أسس عبادته على التوحيد بأن يصرف كل هذه العبادات لله وحده وأن يحسن أداءها بحيث يأتي بها على الوجه الذي شرعه الله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

#### العبادات بين السلف والخلف

لقد عرف السلف الصالح قيمة هذه العبادات فأسسوها على التوحيد وأحسنوا أداءها فجنوا ثمارها وانتفعوا بفضائلها فقويت صلتهم بربهم فألف بين قلوبهم ، ووجد بين صفوفهم فسادوا وعزوا ، وكونوا مجتمعاً قويا متماسكا أعز الاسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ونعم الجميع في ظله بالأمن والاستقرار والسعادة ، أما اليوم فقد جهل كثير من المسلمين التوحيد فاختلفت عقائدهم فأتجهوا إلى المخلوقين يطلبون منهم قضاء حوائجهم ، وغلوا في ذلك فشدوا الرحال إلى الأموات يطوفون بأضرحتهم كما يطوف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمون هذه الأضرحة استلامهم لأركان البيت الحرام ويخاطبون الميت بالكلمات الشركية من قولهم : على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ، وقد اتسع نطاق هذه الشراكيات في البلاد الاسلامية فأصبح لكل قوم من المسلمين رجل يتنادونه ، وأصبح في كل قرية أموات يهتفون بأسمائهم ، ويتنادونهم ، ويرجونهم لجلب النفع ودفع الضر وفعل هؤلاء هو بعينه فعل المشركين في الأصنام ، وهم بهذا المسلك ينسلخون من الاسلام ويعودون إلى الجاهلية .

(١) المرجع السابق ص ٨٤

ولقد صور الإمام المحدث السلفي محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعاني فعل هؤلاء في آيات من قصيدة له يمدح بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويشيد بدعوته :

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوت وودّ بش ذلك من ودّ  
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد  
وكم نحروا في سوحها نحيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد  
وكم طائف حول القبور مقبلا ويلتمس الأركان منهم بالأيدى

كذلك استهان كثير من المسلمين اليوم بهذه العبادات فتركوها فحرموا فضائلها ففقت قلوبهم وانقطعت صلتهم بربهم ففسدت أعمالهم ، وساءت معاملاتهم وعاداتهم وتدهورت أخلاقهم ، وساروا وراء أهوائهم ، وفتنوا بزخارف الحضارة المزيفة والمدنية الكاذبة فظنوا الإباحية حرية والخلاعة رقيا فتعدوا حدود العقل والدين ، وأغضبوا خالق الأرض والسماء فساءت حالهم وسلط عليهم عدوهم « وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » .

#### داء ودواء

لقد جهل كثير من المسلمين اليوم أمر التوحيد واستهانوا بالعبادات وهذا داء عضال سببه عزلة المسلمين عن الكتاب والسنة وعلاجه الوحيد هو إعداد الدعاة الفاهمين للكتاب والسنة وانتشارهم في البلاد الاسلامية لكي يصححوا العقائد ويجرروا العقول من الخرافات والبدع والأباطيل وليكشفوا للناس النقاب عن أسرار التشريع الاسلامي وخصائصة ومزاياه ، ويحثوهم على التمسك بكتاب ربهم عز وجل وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ففي التمسك بهما الهداية والخير والسعادة وفي البعد عنهما الضلال والشر والشقاء ففي الحديث الشريف « تركت فيكم ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي » .

والله الكريم نسأل أن يوفق المؤمنين المخلصين في كل مكان لإعداد هذا النوع من الدعاة فينتقلوا إلى مختلف بقاع الارض فيعيدوا للاسلام مجده وللمسلمين عزتهم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وهو حسبي ونعم الوكيل . .

## موضوعات البحث



- ١ المقدمة
- ٢ حكمة انبعاث الإسلام من جزيرة العرب
- ٣ النواحي التي تناولها التشريع الإسلامي
- ٤ النزعة الجماعية في التشريع الإسلامي
- ٥ مميزات التشريع الإسلامي
- ٦ التشريع الإسلامي يحفظ المقاصد التي يقوم عليها أمر الدين والدنيا
- ٧ السنة توضح القرآن
- ٨ التشريع الإسلامي ملائم لكل البيئات
- ٩ أهم المبادئ التي يدعو إليها الإسلام

# التشريع للهدي

## صالح للتطبيق في كل زمان ومكان

لفضيلة الشيخ محمد فراسي على أبو الصفا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين

وبعد . .

فإن من تمام النعمة على الناس ومن مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه بعد أن تخطى العقل البشري دور الطفولة وتهاى الفكر للتدرج في مراقي الحياة .

أن يكون الإسلام هو الدين الذي يتعهد الله به بنى الإنسان والشريعة التي يختتم بها شرائعه الأولى .

وليس لأحد أن يشرع غير الله تعالى حتى الأنبياء فإنهم مبلغون عن الله واجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم واجتهاد أصحابه ليس تشريعا بل هو فهم للكتاب والسنة وتطبيق لمبادئ الدين ولذلك انتهى التشريع بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ابتدأ الفقه يستمد مضمونه من التشريع فشرعية الإسلام هي شريعة السماء الخالدة إلى أهل الأرض ما بقيت وما بقى الناس حتى يوم الدين . ومن أجل ذلك وجب أن تكون وافية بجميع الأحكام والقوانين التي تحتاج إليها الأمم في تدبير شئونها وتنظيم حياتها

فلا غرو أن كان تشريعا محكم الاساس وطيد البنيان كامل النظام سامى الأغراض وافية بحاجات الأفراد والجماعات صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان وكيف لا تتسع الشريعة الإسلامية لشئون الناس وهي شريعة الخلود شريعة كتب لها أن تكون خاتمة الشرائع السماوية فلا شريعة بعدها ولا رسالة تخلف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا وحي يمكن أن يكون بعد الذي أنزل عليه كما قال تعالى ( ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) .

صالحة لمسايرة هذه الحياة في جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقمها تزودها في كل عصر وكل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلام والأمن وهذا ما يشهد به قوله تعالى ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله )

وليس معنى أن القرآن تبيان لكل شيء وأنه أحاط بجزئيات الوقائع والحوادث ونص على تفاصيل أحكامها فإن الواقع يشهد بأنه في الأغلب لم يعرض لهذه التفاصيل ولم يعن بالجزئيات وإنما أتت الأحكام في صورة قوانين عامة ومبادئ كلية يمكن تحكيمها في كل ما يعرض للناس في حياتهم اليومية فهي قوانين محكمة ثابتة لا تختلف ولا يسوغ الإخلال بشيء منها وعامة كلية يمكن أن تتمشى مع اختلاف الظروف والأحوال .

فالقرآن الذى هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى تبيان لكل شيء من حيث أنه قد أحاط بجميع الأحوال والقواعد التى لا بد منها في كل قانون وأى نظام وذلك كوجوب العدل والمساواة والشورى ورفع الحرج ودفع الضرر ورعاية الحقوق لأصحابها وأداء الأمانات إلى أهلها والرجوع بمهام

الأمر إلى أهل الذكر والاختصاص . وما إلى ذلك من المبادئ العامة التى لا يستطيع أن يشذ عنها قانون يراد به صلاح الأمم وإسعادها .

وقد تضافرت النصوص الإسلامية وعلم من الدين بالضرورة عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى ( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) وقال ( تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ) لهذا قام محمد رسول الله بتبليغ هذه الرسالة إلى من استطاع تبليغهم من الأمم متمثلين في الحكام كهرقل امبراطور الروم وكسرى ملك الفرس والنجاشى ملك الحبشة وغيرهم تاركا لخلفائه من بعده القيام بتبليغ الدعوة إلى بقية الأمم . وقد اهتدى بعض تلك الأمم فأمن بدعوته إنصافا للحق كما أنصفه من اتبعه من قومه

### حكمة انبعاث الاسلام من جزيرة العرب

كان سكان تلك الجزيرة خليطا على عقائد متباينة وأديان مختلفة فمن عبدة الأوثان إلى عبدة الجن والملائكة إلى معتنقى المجوسية إلى اليهود والنصارى من أهل الكتاب فإذا جاء الإسلام في

هذه البقعة ليرد الناس جميعا إلى الدين الحق .

استطاع أن يحاج العقائد جميعها متمثلة في هذا الخليط من أهل الأديان والنحل المختلفة .

وكان من السهل على حامل تلك الدعوة ومبلغها على ضوء هدايته حاجة العقائد في سائر الأمم والشعوب .

يضاف إلى هذا أن أهل تلك المنطقة كانوا متفككي الروابط كثيرى المشاحنات فهم أحوج ما يكون إلى من يجمع كلمتهم .

على أن الإسلام لم يكن بدعا في انبعاثه من هذه المنطقة . فقد انبعث منها ومما حولها سائر الأديان السماوية ومنها شريعتا موسى وعيسى عليهما السلام .

### النواحي التى تناولها التشريع الإسلامى

جاء الإسلام موجها لاستصلاح الناس فيما يتعلق بشئونهم في دينهم ودنياهم— واعتبر الإسلام كل عمل من أعمال الخير عبادة ودعا الإنسان إلى أن يستعمل نعمة الله في تحسين العلاقات بينه وبين الناس ابتغاء لمرضاة الله مع المحافظة على حقوق نفسه ومن يلوذون به .

وحث على العمل والكفاح لكسب العيش مقترنا بالعمل للأخرة فقد علم الإسلام معتنقيه أن كل عمل من أعمال

الدنيا من صميم الدين ما دام الباعث عليه حب الخير والحرص على الانتاج الصالح النافع ومصلحة الجماعة وأن العبادة إذا شغلت عن إصلاح شئون الدنيا والعمل المنتج فيها فليست بعبادة وقد دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى رجلا منقطعا للنسك والزهد وسمع من أصحابه ثناء عاطرا عليه من تلك الناحية فقال لهم : من ينفق عليه — قالوا أخوه فقال ( أخوه أعبد منه ) .

وفي هذا المعنى الكثير من الآثار الاسلامية التى ألهمت جذوة النشاط والسعى الكادح بين المسلمين في شئون الدنيا النافعة ليتقربوا بذلك إلى الله سبحانه ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ( لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة قيل فما يكفرها يا رسول الله قال الهموم في طلب العيش )

ولذا فإن مفهوم كلمة دين في القرآن الذى عبر عن الإسلام بالدين في قوله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت اعليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ) تشمل صلة الإنسان بربه وصلته بنفسه

وصلته بالغير فالدين الإسلامى ينظم سلوك الناس ويهذب أساليب تعاملهم بحيث لا يكون في النفوس سبيل إلى الظالم ولا أثر للضعائن والأحقاد .

ولهذا قال الباحثون في التشريع الإسلامى إنه يرجع إلى ثلاث نواح

١ - الأحكام الاعتقادية .

٢ - الأحكام الخلقية .

٣ - الأحكام العملية .

وإليك صورة موجزة عن كل ناحية منها :

أولا : الأحكام الاعتقادية

المراد بالأحكام الاعتقادية معرفة ما يتعلق بالله وصفاته وبالرسل الذين أرسلهم إلى خلقه وشئون اليوم الآخر . وقد أفرد علماء المسلمين لذلك علما خاصا به يسمى علم الكلام أو علم التوحيد .

ثانيا : الأحكام الخلقية :

المراد بها بيان ما يتبقى أن يكون عليه المسلم من الصفات التى ينتج عنها صدور الأفعال الخيرة بسهولة كالحلم والصفح والتواضع ولين الجانب وتطهير النفس من الغل والحقد والحسد وما إلى ذلك وهى صفات منبثة في ثنايا القرآن الكريم والسنة النبوية .

وهذه الناحية تعتبر دعامة أصيلة في توجيه الإسلام وهى الأساس لانتقاد النفوس للعمل بما جاءت به الشريعة الإسلامية من الأحكام العملية التى تنظم علاقات الناس وتحول بينهم وبين البغى والأثرة اللذين يورثان نيران العداوة والبغضاء ويشيعان الفساد في الأرض .

وقد تدرك جانبا من ذلك التوجيه الخلقى العظيم فيما أدركه منذ بدء دعوة الإسلام رجل من أتباعه وقف موقفا بين يدي نجاشى الحبشة فدعاه الموقف إلى أن يسرد نواحى التوجيه البارزة في دعوة محمد بقضائه على ما كان شائعا بينهم من مفاصد خلقية إذ يقول ( كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به ) .

ولا غرو فقد كان محمد حامل الرسالة



والإسلامية أول من تخلق بأخلاقها فلقد  
هدبه الله وقوم خلقه ووصفه بأنه على  
خلق عظيم ولهذا روى أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال ( أدبني ربي  
فأحسن تأديبي ) وروى أيضا أنه قال  
( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .  
ثالثا : الأحكام العملية :

ويراد بها ما يتصل بأعمال المكلفين  
في عباداتهم لربهم وتعاملهم فيما بينهم  
أفرادا وجماعات .

وكما أشار إلى نظام الحكم والتقاضى  
وطرق إثبات الدعاوى وتنفيذ الأحكام  
إلى غير ذلك من شئون الحياة .

وكما أشار إلى نظام الحكم والتقاضى  
وطرق إثبات الدعاوى وتنفيذ الأحكام  
إلى غير ذلك من شئون الحياة .

### النزعة الجماعية فى التشريع الاسلامى

عنى التشريع الإسلامى بصالح كل  
من الفرد والمجتمع ولكنه أثر صالح  
المجتمع على صالح الفرد وبذا حق أن  
يوصف بأن نزعته جماعية يوضح هذا  
أنه يعمل على الحد من سلطان الفرد  
إذا اساء استعمال حقه فأضر بغيره .

فحقوق الأفراد فى الإسلام منح إلهية  
قيدت بمراعاة الصالح العام وعدم  
الإضرار بالآخرين فلهذا يمنع المرء من  
عمل هو فى الأصل مباح له إذا ترتب  
عليه إضرار بغيره لأن المصالح العامة  
مقدمة على المصالح الخاصة ولأن الرسول  
صلى الله عليه وسلم روى عنه أنه قال ( لا  
ضرر ولا ضرار ) .

ومعنى هذا أنه يجب مقاومة كل عمل  
يترتب عليه الإضرار بالآخرين وإن  
كان فى الأصل مباحا .

وتقع هذه الناحية فى آخر مراتب  
التشريع كما هو التدرج الطبيعى فإنه  
بعد أن استصلح العقائد والأخلاق  
تمهيدا لاستصلاح هذه الناحية عقب  
بها لينقاد المسلمون إلى تقبل الأحكام  
العملية المتعلقة بما يصدر عن الشخص  
المكلف من أقوال وأفعال وتصرفات  
فعرّفهم من هو المكلف الذى يخاطب  
بأحكام الشريعة ويلزم بها وما هى  
العوارض التى تؤثر على الشخص فتجعله  
غير مكلف كما بين لهم الصحيح والباطل  
فى تصرفاتهم والحلال والحرام فى أعمالهم  
واتصالاتهم أفرادا وجماعات .

وكما تناول أحكام العبادات التى يتقربون  
إلى الله بها من طهارة وصلاة وصوم  
وزكوة وحج .

وأشار إلى ما يجب فى تملك الأموال  
من حقوق نحو الفرد ونحو المجتمع

وهناك أحاديث تورّد بعض تفصيلات لهذه القاعدة كنهى النبي صلى الله عليه وسلم ( أن يبيع أحد على بيع أخيه أو يخطب على خطبته إلا أن يأذن له ومن هذا جاء تشريع الشفعة فإنه حد من حرية المتابعين وتقييد له يمنع ضرر الشريك أو الجار .

وعدم المضارة بالأفراد الآخرين مما يوفر الطمأنينة ويحقق ناحية من السعادة وفي هذا صلاح للمجتمع أيضا .  
وهذه النظرة الجماعية نظرة إصلاحية عامة وهامة تبين ما في الإسلام من حقبة وخلود .

### مميزات التشريع الاسلامى :

تبين لنا من نظرة الإسلام الجماعية أنه دين إنساني جدير بالخلود والبقاء وأنه يثبت جدارته بذلك على مر الأيام لما فيه من دعائم ثابتة وبنیان محكم متين وهذا يثبت لك ما يشتمل عليه التشريع الإسلامى من مطالب البشر وحاجات الناس مما يدعو إلى وجوب التمسك بأهدابه والاحتكام إليه فيما دق وجل فإن كل من تأمل فيه يقف على مدى مكانته في معالجة شئون العالم

فالتشريع الإسلامى وهو خاتم الشرائع السماوية وأعمها من عند الله علام الغيوب المنزه عن الخطأ والهوى .

فهو تشريع يحيط بكل شئون الناس وحاجاتهم دون قصور أو زيغ بخلاف القوانين التي هي من وضع الناس وتفكيرهم المحدود الذي من شأنه أن يتحكم فيه الهوى أو يشتمل على نقص في المقدمات وأسباب الأحكام لهذا كان التشريع الإسلامى بما يشتمل عليه من التوجيه الروحى والتهذيب النفسى يربى يقظة الضمير والانتفاع بتوجيه القلب الطاهر الذى أصلحته تلك التوجيهات فهو ينبعث بصفاته إلى حب الخير وجلب النفع ومقاومة الشر .

بخلاف قوانين البشر فإنها مقصورة على التوجيه من ناحية الإرهاب والعقاب فكأنما يساق بها الناس سوق الدواب من غير توجيه ضمير إنسانى ولا انبعاث خلقى .

### التشريع الاسلامى يحفظ المقاصد التى يقوم عليها أمر الدين والدنيا

جاءت الشريعة الإسلامية رحمة بالعباد وفصلا بينهم فيما يختلفون فيه ومحافظة عليهم فيما هم محتاجون إليه .

فقد أحاط القرآن بأصول ما يلزم لحفظ المقاصد التى لم تأت الشرائع السماوية ولم تنشأ القوانين إلا لخدمتها والمحافظة عليها فإن عليها يقوم أمر الدين والدنيا .

وبالمحافظة عليها تنظم شئون الأفراد  
والجماعات .

وتلك هي المقاصد الخمسة الدين والنفس  
والعقل والنسل والمال فمهما تنوعت  
الشرائع واختلفت القوانين فإنها ترمى  
بأحكامها إلى المحافظة على هذه المقاصد  
التي عنى القرآن بها فوضع من أصول  
الأحكام ما يحفظ كيانها ويكفل بقاءها  
ويدفع عنها ما يفسدها أو يضعف  
ثمرتها .

ثم جاءت السنة تشرح وتفصل وتبين  
وتكمل وتضع للاجتهاد والاستنباط  
نماذج يحتذى بها أولو الأمر فيما يجد  
من الحوادث .

فالدين لا بد منه للإنسان الذي يسمو  
في معانيه المشخصة له عن الحيوانية إذ  
التدين خاصة من خواص الإنسان ولا بد  
أن يسلم له دينه من كل اعتداء فللمحافظة  
على الدين وضع القرآن قواعد الإيمان  
وفرض أنواع العبادات من الصلاة  
والصوم والحج ثم حاطها بما يمنع عوامل  
الشر والفساد أن تعبت بها أو تمتد إليها .

فأوجب عقوبة من يعتدون على الدين  
أو يصلدون عن سبيله

والمحافظة على النفس هي المحافظة على  
حق الحياة العزيزة الكريمة .

والمحافظة على النفس تقتضى حمايتها

من اعتداء عليها بالقتل أو قطع الأطراف  
أو الجروح الجسيمة كما أن من المحافظة  
على النفس المحافظة على الكرامة الإنسانية  
بمنع السب والقذف وغير ذلك من كل  
أمر يمس كرامة الإنسان وللمحافظة  
على النفس أباح القرآن جميع الطيبات  
وأحل البيع والشراء والرهن والإجاره  
وما إليها من المعاملات ثم شرع ما يمنع  
الاعتداء عليها فأوجب القصاص وفرض  
الديات

والمحافظة على العقل حفظه من أن تناله  
آفة تجعل صاحبها عبثا على المجتمع  
ومصدر شر وأذى للناس - وهي تتجه  
إلى أن يكون كل عضو من أعضاء  
المجتمع الإسلامى سليما يمد المجتمع  
بعناصر الخير والنفع فإن عقل كل  
عضو من أعضاء المجتمع ليس حقاخالصا  
له بل للمجتمع حق فيه باعتبار أن كل  
شخص لبنة من بنائه إذ يتولى بعمله  
سداد خلل فيه فمن حق المجتمع أن  
يلاحظ سلامته .

وللمحافظة على العقل أباح الشارع  
كل ما يكفل سلامته ويزيد نشاطه  
وحرم ما يفسده ويضعف قوته .

ومن أجل ذلك حرم شرب الخمر  
وتوعد عليه .

ثم وكل أمر العقوبة الزاجرة فيه  
إلى بيان النبي صلى الله عليه وسلم .

والمحافظة عليها قصدت في ذلك إلى أمرين - الأول حفظها في أصل وجودها بتقوية أركانها وتمكين قواعدها والثاني حفظ بقائها ونموها لتوثي الثمرة المرجوة منها وذلك بحمايتها من عوامل الفساد وأسباب الانحلال .

هذه هي المقاصد الخمسة التي تقوم عليها حياة الإنسان وبصلاحها يستقيم أمر الأفراد ونظام الجماعات .

وضع لها القرآن القواعد والأصول وقرر لكل نوع ما يناسبه من الأحكام قرر هذه الأحكام كليات وأتي فيها بعمومات لكنه مع ذلك لم يغفل ما يراه منها في حاجة إلى تفصيل .

### السنة توضح القرآن

ثم جاءت السنة توفي ذلك حقه من الشرح والبيان فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم بأقواله وأعماله أحكام ما كان يعرض للناس من الحوادث يستقيه من الوحي وقد وضع صلى الله عليه وسلم لنا مبادئ حكيمة في الأخلاق وأنواع العبادات وقواعد صالحة في نظام الأسرة وتربية الناشئين وأساساً متينة لأحكام روابط الاجتماع فس من القوانين في المعاملات والجنايات وعلاقات بعضها ببعض ما هو كفيلاً بإقرار السلام والأمن في الأرض وحتى

والمحافظة على النسل هي المحافظة على النوع الإنساني وتربية أجياله على المحبة والعطف ليأترف الناس وذلك بأن يترابي كل ولد بين أبويه ويكون للولد حافظ يحميه .

وقد اقتضى ذلك تنظيم الزواج واقتضى منع الاعتداء على الحياة الزوجية كما اقتضى منع الاعتداء على الأعراس سواء أكان يفعل الفاحشة أم كان بالقذف وذلك كله لمنع الاعتداء على الأمانة الإنسانية التي أودعها الله تعالى جسم الرجل والمرأة ليكون منهما النسل والتوالد الذي يجعل حياة الإنسان باقية في هذه الأرض على أن تكون متألفة قوية تعيش عيشة طيبة عالية فيكثر النسل ويكون قويا في جسمه وخلقه وعقله ويكون صالحاً للامتزاج والاتلاف بالمجتمع الذي يعيش فيه ومن أجل المحافظة على النسل كانت عقوبة الزني وعقوبة القذف وغير ذلك من العقوبات التعزيرية التي وضعت لحماية النسل .

وللمحافظة على المال والعناية بأمر تدبيره ووجوه الانتفاع به شرع نظام المعاملات وحرم الغش والتغير والربا وكل ما فيه أكل أموال الناس بالباطل . وفرض ضمان المتلفات وشرع الحد في السرقات وهكذا نجد أن الأحكام التي شرعت لخدمة هذه المقاصد الخمسة

## التشريع الاسلامي ملائم لكل البيئات

مما لا شك فيه أن التشريع الإسلامي الذي نزل الوحي بقواعده وأصوله الكلية صالح لكل وقت وملائم لجميع البيئات .

فقد بنى على التيسير ورفع الحرج ودفع الضرر . قال تعالى ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) وقال جل شأنه ( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول ( يسروا ولا تعسروا ) .

وقد ثبت من سيرته أنه صلى الله عليه وسلم ( ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ) .

والمتتبع لأحكام الشريعة الإسلامية يجد مظاهر هذا الأصل في شتى نواحيها فقلة التكاليف إلى مراعاة أعمار المعذورين إلى رفع التكليف أو عدم المؤاخذه في حالة الضرورة كل ذلك يدل في وضوح إلى اليسر وعدم الحرج أضف إلى ذلك أن القرآن في جانب تشريع المعاملات لم يعتمد إلى التفصيل بل أتى بقواعد عامة صالحة للتطبيق في كل حين - قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) وقال ( وأحل الله البيع وحرم الربا ) وقال أيضا ( لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ) .

آداب الأكل والشرب وآداب السلام وما ينبغي أن يكون في السفر والاقامة والصحة والمرض والغنى والفقر كل ذلك قد غنى به وترك لنا فيه مثلا عالية للتربية والتعليم ونماذج صالحة للتهديب والتثقيف .

ثم كان عليه الصلاة والسلام يجتهد ويجمع في الحكم بين المتماثلات بربط الأشياء بنظائرها ويلحق الفروع بأصولها منبها إلى علل الأحكام وأسرار التشريع وقد علم الصحابة بهذا أن أحكام الشريعة لها حكمها وأسرارها ولها أسبابها وغاياتها لأنها شريعة خالدة عامة .

فوجب أن تكون احكامها وافية بهذه الحاجة في كل عصر وهكذا كان رجال الصدر الأول من المسلمين يفهمون الشريعة من مصادرها ويستنبطون الفروع من أصولها فكانوا يجدون في هذه المصادر والأصول الكفاية بأحكام ما يأتون وما يذرون وما شعروا يوما أنهم مع هذه الشريعة عاجزون أن يواجهوا ما كان يتوارد عليهم من الوقائع ومختلف النوازل .

وكثير منها لم يكن لهم به عهد من قبل بل كان من نتائج الفتح الإسلامي وأثر من آثار اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التي خضعت لسلطان الإسلام .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإيم الله إلو أن فاطمة بنت محمد أسرقت لقطعت يدها) .

وبالجمللة أفقد إقصد الإسلام إبتشريعهُ تحقيق المصالح للناس ودفع المفسد عنهم وكانت تشريعاته كلها مبنية على أن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد إذا ما تعارضت المصلحتان وأن دفع الضرر العام مقدم على دفع الضرر الخاص ومن هنا نهى عن احتكار الطعام وأمر ببيعه للناس وقت الحاجة وإن لم يرض صاحبه - كما حرم الربا وشدد النكير فيه مع ما يحققه من نفع لصاحب المال حماية للمجتمع من جشع المرابين ورحمة بالمحتاجين الذين يضطرون إلى مد أيديهم طلبا للقرض من أولئك المرابين .

وهذه نزعة جماعية تحمي الجماعة من طغيان الأفراد وتسلط أصحاب الحقوق .

### أهم المبادئ التي يدعو إليها الإسلام

الشرعية الإسلامية جاءت بمبادئ سامية تقود الناس دائماً إلى الفلاح وتقضى على عوامل الشر والفساد ومن ذلك :

وهو بهذا يرمى إلى تحقيق مصالح الناس على اختلاف الأزمان والبيئات لأنه تشريع للناس كلهم قال تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً ) فلو لم يكن محققاً لمصالح الجميع لكان نقمة عليهم مع أنه جعله رحمة لهم قال تعالى ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) وهو بحق يحقق العدل والمساواة بين الناس كلهم لأنه ينظر إلى الناس جميعاً نظرة المساواة في الخضوع لأحكامه وفي المواخذه على مخالفتها لا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين غني وفقير ولا بين شريف ووضيع ولا بين أبيض وأسود . فلا يعنى شخص من المواخذه بماله من جاه وسلطان .

قال تعالى ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) وقال سبحانه ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شتان قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى ) وقال جل شأنه ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ) .

أسلاماً) ومع الجماعات المخالفة قال تعالى ( وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ) وقال سبحانه ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ) .

رابعاً : مبدأ التضامن الاجتماعي فقد حرص الإسلام من أول الأمر على أن يقرر حق الفقراء في مال الأغنياء ويحمل الأغنياء مسئولية كفايتهم .

وبما أسلفنا نكون قد أوضحنا أن التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان وأن تشريعا يستمد حياته من القرآن والسنة لن يقف في يوم من الأيام عن مسيرة الزمن .

محمد فهمي على أبو الصفا

٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ

١٩ ابريل ١٩٧٦ م

أولاً : مبدأ العدالة والمساواة فإن أحكامها بنيت على العدالة المطلقة والتسوية التامة بين الناس ( يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر أو أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارقوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ) .

ثانياً : مبدأ الشورى فقد جعل الإسلام الشورى أساساً للحكم فأمر نبيه بها قال تعالى ( وشاورهم في الأمر ) وامتدح المؤمنين بها فقال ( وأمرهم شورى بينهم ) .

ثالثاً : مبدأ التسامح فقد جاد الإسلام يدعو إلى التسامح مع الأفراد قال تعالى : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا

### من سقطات ( المنجد )

#### ثلاث غلطات في خبر واحد

يقول مؤلفو ( المنجد ) في تعريف الصحابي الجليل سعد بن معاذ (رضي) « انه حمل اللواء في وقعه بدر ، وضمد جرح النبي بعد وقعة أحد . وأخذ حكماً في مصير الاسرى من يهودخيبر ، فحكم بقتل رجالهم وسبي نسايتهم واقتسام أموالهم » .

ولا صحة لاي من هذه الاخبارالثلاثة . فسعد (رضي) كان يحمل راية الانصار في بدر وهي غير اللواءالذي كان مع مصعب بن عمير (رضي) ولم يذكر سعد في من ضمن جرح رسول الله (ص) يوم أحد . ولقد عاجله الاجل قبل غزوة خيبر . وانما كان تحكيمة في قريظة عقيب غزوة الاحزاب .

المجذوب





دراسات في

# السيرة والتاريخ لهدى



# حول إعادة كتابة التاريخ للإسلام

لفضيلة الدكتور عبد المنعم منين

كثر الحديث في السنوات الأخيرة حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتنقيته من الشوائب التي علقت به بفعل المستشرقين وأعداء الإسلام من غير المسلمين ومن المنتسبين إلى الإسلام .

وقد انعقدت مؤتمرات في دول مختلفة إسلامية وغير إسلامية لبحث كيفية إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بعامه وكتابة تاريخ جزء من أجزاء العالم الإسلامي بخاصة ، ويسر الله لي الإشتراك في أكثر المؤتمرات التي عقدت لبحث هذا الموضوع البالغ الأهمية وأن أسهم في المناقشات التي دارت وفي إعداد البحوث التي قدمت متضمنة اقتراحات معينة رأى مقدموها أنها تفيد في إلقاء أضواء على جوانب الموضوع المختلفة حتى تكون التجربة الجديدة محققة للهدف المنشود ، وبعيدة ما أمكن عن أخطاء التجارب السابقة .

الذين يدرسون التاريخ الإسلامي بنية متعقدة على جمع المطاعن وتلفيق الأباطيل ضد الإسلام وحقائقه الناصعة وهم بذلك يتنكرون للمنهج العلمي الصحيح الذي يحرص على بيان الحقائق وعرضها دون أن تمزج بمرارة الحقد والتعصب ، فكيف يدرس هؤلاء إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتنقيته مما علق به من شوائب ، وهم الذين اسهموا في تشويه الحقائق أو طمسها ؟ ! . كيف يبحث غير مسلم التاريخ الإسلامي ويكون منصفا في

ولا أريد التحدث عن المؤتمرات التي حضرتها واشتركت في مناقشاتها وبحوثها لأن هذا يحتاج إلى حديث طويل غير أنني أرى واجبا على أن أسجل ملاحظاتي على مثل هذه المؤتمرات وبخاصة ما عقد منها في بعض الدول العربية .

وأول ما لاحظته في هذه المؤتمرات أن المدعويين إليها خليط من المسلمين ومن غير المسلمين ، بل إن بعض المدعويين لهم كتابات معادية للإسلام ومنهم أشخاص من ورثة الصليبيين

دراسته ؟ ! . كيف يقول شخص من ورثة الصليبيين كلمة الحق في التاريخ الإسلامى وهو الذى يحرص على رمى الإسلام بتهم باطلة ظالمة ؟ ! .

إن إعادة كتابة التاريخ الإسلامى وتنقيته من أباطيل هؤلاء الأعداء المغرضين أمر لازم ينبغى أن يتم في أقرب وقت ممكن ولكنه أمر يجب أن يظطلع به باحثون مسلمون مخلصون يؤمنون بالله ورسوله ، وينبغى أن يبعد عنه أعداء الإسلام سواء من كان منهم من غير المسلمين أو من كان ممن ينتسبون إلى الإسلام ، حتى يراقب هؤلاء الباحثون الله في أثناء كتابتهم للتاريخ الإسلامى .

نحن لا نطالب إلا بإثبات الحقائق خالصة من كل زيف ، غير متأثرة بأى هوى ، وهذا هو ما يتفق مع المنهج العلمى الصحيح ، لأن إثبات الحقيقة العلمية هو غاية الدارسين المخلصين الصادقين ، أما تشويه الحقائق ، والتشكيك فيها ، فأمر لا يتفق مع المنهج العلمى السليم ، وليس من العلم فى شئ .

والعجيب أن كثيرا من الدارسين فى البلاد الإسلامية يتشددون بضرورة فصل العلم عن الدين ، ويطالبون بإعطاء المستشرقين وأشباههم حق الإشتراك فى إعادة كتابة التاريخ الإسلامى ، وأن يصدروا من

الأحكام ما تنتهى إليه دراساتهم دون خوف مما يكتبون ، وما يصدرونه من أحكام ، ونقول لهؤلاء إن ما يقولونه غير صحيح لأن غير المسلمين لا يمكن أن يكونوا منصفين فى بحثهم ، ولن يستطيعوا أن يتخلوا عن أهوائهم ، وأن يتخلصوا من كرههم للإسلام وهم يحاولون إعادة كتابة التاريخ الإسلامى مهما أعلنوا حيادهم ، أو تظاهروا بجهم لإثبات الحقائق العلمية ، دون تأثر بأى عامل من عوامل التأثير .

إن هؤلاء كاذبون مضمحلون يريدون أن يخدعوا المسلمين بزخرف القول ومعسول الكلام ليضعوا السم فى العسل ويمزجوا تاريخ المسلمين بما تكنه صدورهم من حقد وعداوة ، وقد سألت أحد هؤلاء الكاذبين المضللين هل يقبل أن يكتب مؤرخ مسلم تاريخ النصرانية أو تاريخ الكنيسة ؟ فبهت الذى كفر . وأمسك عن الجواب ، فقلت له أرأيت كيف أنكم تبيحون لأنفسكم مالا تبيحونه لغيركم ؟ وإذا كتب مسلم تاريخ الحروب الصليبية ، أو تحدث عن الكنيسة أو سعتموه نقدا باللسنة حداد مع ما عرف به المسلمون من التسامح وعدم التعصب .

ولكن العيب ليس عيب هؤلاء المؤرخين غير المسلمين من المستشرقين

تغير النظر في سياسة الابتعاث إلى الخارج فلا ترسل إلى أوروبا وأمريكا مثلا أشخاصا لدراسة العلوم الإسلامية المختلفة لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وإذا كان هذا الأمر قد حدث في وقت سيطرة الاستعمار على كثير من الدول الإسلامية فينبغي على هذه الدول بعد التخلص من سيطرة الاستعمار سياسيا وعسكريا ، أن تتخلص من سيطرة الاستعمار ثقافيا ، وأن تعمل على محو كل أثر من آثار هذه السيطرة الثقافية لأنها أشد خطورة وأعرق أثرا ، فلا ترسل إلى أوروبا الا من يريدون دراسة علوم بلغت في هذه البلاد شأواً لم تبلغه بعد في بلادنا لإسلامية ، على أن تكون هذه مرحلة مؤقتة تنتهي بانتهاء الأسباب التي دفعت إليها ، أما أن ترسل الدول الإسلامية أشخاصا لدراسة التاريخ الإسلامي أو أى علم من العلوم الإسلامية المختلفة في أوروبا أو أمريكا فهذا أمر يجب إيقافه ووضع حد له .

وصفوة القول أن تاريخنا الإسلامي في حاجة إلى أن تعاد كتابته وصياغته بحيث يخلو من الشوائب التي علقت به ، وبحيث يوضح تاريخ المسلمين في عصورهم المختلفة بكل جوانبه ، وبكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات ، لأننا محتاجون إلى معرفة تاريخنا الإسلامي

وورثة الصليبيين الذين يشاركون في المؤتمرات التي تعقد لبحث إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وإنما هو عيب من يمكنون لهم من حضور مثل هذه المؤتمرات ، والأشد عيبا أن يدافع بعض من ينتسبون إلى الإسلام عن حضورهم ، وضرورة الاستماع إلى آرائهم وإشراكهم في المؤتمرات التي تعقد في البلاد الإسلامية ، بل وفي المطالبة بإشراكهم في كتابة التاريخ الإسلامي من جديد ، بحجة أنهم علماء ذوو خبرة، وأن الكثيرين من أساتذة التاريخ في البلاد الإسلامية قد تتلمذوا على أيديهم . أما التشدق بأنهم علماء فمن المسلم به في منهج البحث العلمي أن العلم لا يفسده شيء كما يفسده التعصب فلا فائدة من علمهم بعد أن أفسده تعصبهم ضد الإسلام والمسلمين .

وأما أن كثيرا من المؤرخين المسلمين في العصر الحديث قد تتلمذوا على أيدي غير المسلمين من المستشرقين والمستعمرين وورثة الصليبيين فإن هذا الأمر قد أفسد العديد من هؤلاء المؤرخين الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ويرددون آراء أعداء الأسلام ، فجعلهم يسيئون إلى التاريخ الإسلامي أكثر مما يسيء إليه غير المسلمين .

والواقع أن البلاد الإسلامية يجب أن

والاستفادة من أحداثه ، وأخذ العبرة من هذه الأحداث ، والأخذ بالأسباب التي أدت إلى الرقي والازدهار ، وتجنب العوامل التي أدت إلى الضعف والاندحار والسير على هدى وبصيرة .

لقد أقام المسلمون حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا في سمو الأخلاق ونبيل الأهداف حين كانوا متمسكين بكتاب الله ، مطبقين لأحكام الله ، ومهتدين بهدى خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ، فلما تركوا كتاب الله وهدى نبيه وراءهم ظهريا ، تبدلت أحوالهم وأصاب الضعف بلادهم وتلك سنة الله في خلقه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن المؤرخين المسلمين المخلصين قادرون بعون الله على إعادة كتابة تاريخهم وتنقيته من الزيف والأباطيل التي ألقى بها أعداؤهم من المستشرقين والمستعمرين وورثة الصليبيين وأذنانهم ممن ينتسبون إلى الإسلام، وهم يستطيعون الرد على هؤلاء الأعداء وإخراص ألسنتهم الحاقدة ، وتوضيح الحقائق وبيانها لشباب المسلمين ، ليستشعروا العزة والكرامة ، ويعملوا على إعادة بناء حضارتهم على هدى وبصيرة .

إن الجامعة الإسلامية وهي تحتضن دارسين من أكثر من ثمانين دولة تستطيع أن تربي جيلا من المؤرخين المسلمين المسلحين بالعلم بأمور دينهم وبالحلق القويم ، وبالوعى الكامل بحقائق التاريخ الإسلامى ، وبالمنهج العلمى الصحيح ، ويستطيع هؤلاء المؤرخون المسلمون الصالحون المؤهلون تأهيلا صحيحا أن يعيدوا كتابة التاريخ الإسلامى كتابة صحيحة وينقوه من الشوائب والأباطيل لينتفع بحقائقه المسلمون في سائر أنحاء العالم .

إن الشئ الذى يهم المسلمون جميعا أن يكتب التاريخ الإسلامى كتابة صحيحة ولسنا متعجلين في كتابته . المهم أن نبدأ وأن نسير بخطى ثابتة على هدى وبصيرة ، معتمدين على الله ، واثقين في نصره وتأيبده .

إن علينا أن نعمل بجد وإخلاص حتى نصل إلى الهدف المنشود ، والغاية المرجوة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وبالله التوفيق .

دراسات في

# التربية والتعليم





# رسائل لم يجمها البريد

لفضيلة الشيخ عبدالرؤوف اللبدي

تلميذى العزيز :

كتبت إلىّ تقول : لقد أنهيت دراستى الثانوية ، وأصبحت طالبا جامعيا ،  
وإني لأرى المقررات واسعة ذات شعب ، وأن علىّ أن أدرس ساعات طويلة  
خارج قاعات المحاضرات ، فأرجو أن تقدم إلىّ شيئا من النصح ، وأن  
تزودني ببعض التجارب .

تلميذى العزيز :

لو كنت أعلم أنك قد دخلت الجامعة  
طمعا في شهادة تكسب بها الرزق ،  
وتنال بها الوظيفة ، ثم لا يهملك بعد ذلك  
علم ولا يشوقك بحث ، ما كتبت  
إليك نصحا ، ولا تحدث إليك عن  
تجربة .

ولكنى عرفتك على مقاعد الدراسة  
ذا حياة ونشاط وفطنة ، وعرفتك في  
البيت ذا نفس طُلعة ، تجد خير متعة  
لها أن تقرأ ، وخير محدث تصغى إليه  
الكتاب .

وذلك - لا شك - ينبىء برغبة صادقة

في العلم ، ونزعة فطرية إلى البحث  
وأول ما يقوم عليه نجاحك في الدراسة  
هذه الرغبة التى لها بين جنبيك حسيس  
وغليان ، ثم هذا الاحساس الفطرى  
غير المتأثر بعوامل خارجية .

أما أولئك الذين يدرسون بعوامل  
من الخارج ، كأن يكون ذلك خوفا  
من رسوب وهربا من خزى ، أو حرصا  
على مرضاة أهل وأقارب ، أو منافسة  
للأنداد ومفاخرة في المجالس ، أو  
تصيدا لمناصب الدولة ، فقد تكون  
دراستهم ذات نفع ، وقد تكون بحوثهم  
ذات قيمة ، ولكن عطاءهم سرعان

ما يؤول إلى انقطاع ، كما تلمع البروق في السماء ، وكما تسقط الشهب على الأرض .

تلميذى العزيز :

لا بد لك في مطلع عامك الدراسى من جدول تسير عليه ، إذا ما كنت خارج قاعات المحاضرات ، وأهيت دوام الحصص اليومية .

وأنت نفسك الذى ينبغى أن تنظم هذا الجدول ، وأن توزع ساعات قراءتك ودراستك على موادك العلمية المقررة ، ولا يستطيع أحد غيرك أن ينظم هذا الجدول لك ، لأن الساعات التى تجعل للدراسة تطول وتقصر حسب قدرة الطالب عليها ، واستعداده لها ، ورغبته فيها ، فأنت أدرى بقدرتك واستعدادك وما عندك من رغبة وإقبال .

ومهما يكن من أمر فإني أنصح لك ألا تقلّ ساعاتك التى تنفرد بالدراسة عن أربع ساعات كل يوم ، على أن يفصل بينها وليس منها أوقات عبادتك وطعامك وراحتك ، ولا تنس أن توفر لنومك الهادئ المطمئن ساعات كافية وافية .

على أن الدراسة ليست بكثرة الساعات ولكن بمقدار ما تفيد وتنفع ، فهناك طلاب يضطرون إلى أن ينفقوا بعض أوقاتهم في أعمال يكسبون بها الرزق

ولا يخصّون الدراسة إلا بساعات قليلة ، ومع ذلك تراهم يفوقون طلابا متفرغين للدراسة ليس لهم ما يشغلهم عنها .

وهناك طلاب أذكاء يقرءون بسرعة ويفهمون بسرعة ، وهناك طلاب متوسطو الذكاء قراءتهم بطيئة وفهمهم بطئ ، وهناك طلاب يدفعهم حب الأمتياز والتفوق إلى أن يخصوا دراستهم بسبع ساعات أو ثمان كل يوم .

والذى أنصح به أن يكون جدولك الدراسى عمليا واقعيا يمكنك تنفيذه والسير عليه دون أن تنفق كل ما لديك من نشاط وطاقة ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهر أبقي .

ولا ريب أن الاستمرار في القراءة والدراسة دونما فترات راحة ، يجلب التعب والإرهاق ، ويبعث الملل والسأم ، ويضعف القدرة على الفهم ، وقد أثبت التجارب أن الطالب الجامعى لا يستطيع أن يظل محتفظا بنشاطه الذهنى وأن يحصر انتباهه في موضوع محدد ، مع قدرة الفهم والمضم ، لا يستطيع ذلك أكثر من خمسين دقيقة .

ولقد توصل علماء النفس والتربية بعد إجراء تجارب كثيرة في ميدان توقيت عملية التعليم إلى النتيجة التالية :

« تتعلم كثيرا ، وتذكر ما تعلمته جيدا ، إن كانت ساعات دراستك

مختلفة متباعدة ، وذلك يفوق ما تتعلمه  
وتذكره إن كانت ساعات دراستك  
متواصلة متوالية .

فلا بد من الراحة بعد كل خمسين دقيقة ،  
على ألا تقل هذه الراحة عن عشر دقائق ،  
ولا تزيد عن خمس عشرة دقيقة ،  
لا بد من هذه الراحة وإن كنت قادرا  
على الاستمرار في الدراسة ، وكنت  
ذا نشاط وقوة .

وإني لأنصح لك أن تخصص كل محاضرة  
من محاضراتك اليومية في الجامعة بساعة  
دراسة في البيت ، على أن تزيد هذه  
الساعة وتنقص حسب صعوبة المادة  
وسهولتها بالنسبة لك ، ومن سوء  
التدبير أن تهمل بعض المواد إهمالا  
تاما ، وأن تقصر الساعات كلها على  
بعض المواد .

وإن أفضل وقت لدراسة أى موضوع  
الوقت الذى يكون قريبا من تدريس  
المدرس لذلك الموضوع ، ولهذا ينبغي  
أن يكون جدول دراستك الخاصة  
مسايرا جدول التدريس في الجامعة .

ومن المجرّب أن قراءتك الموضوع  
قبل تدريسه أفضل خطة يمكن أن تسير  
عليها ، وكلما ازداد ما تعرفه عن  
المحاضرة قبل إلقتها ازدادت الفائدة  
منها ، وازدادت قدرتك على أن تميز

فيما يلقيه المحاضر بين ما هو خير وله  
قيمة وبين ما هو حشو تافه لا خير فيه .  
وتعطيك قراءة الموضوع قبل تدريسه  
قدرة على أن تختار بسهولة وعن علم  
الملاحظات الجديرة بالتسجيل في دفترك  
الخاص بالملاحظات ، وتعطيك فرصة  
لأن تسأل المدرس وتباحثه في أمور  
عرضت حين قراءتك الموضوع .

أما إذا أجلت قراءة الموضوع إلى  
ما بعد تدريسه فسوف تحتاج إلى بذل  
جهد كبير كى تفهم ما يقوله المدرس ،  
ومن المتوقع أن تشغل نفسك بتسجيل  
ملاحظات يكون بعضها تافهاً لا قيمة  
له ، وبعضها جاء في الكتاب المقرر  
وأنت لا تدرى .

ومن سيئات تأجيل قراءة الموضوع  
إلى ما بعد تدريسه أنك لن تجد فرصة  
للتعمق فيما يقوله المحاضر ، ولا لنقده ،  
ولا لترجيح رأى على رأى .

وربما كان في الكتاب المقرر بعض  
عبارات غامضة ، وألفاظ اصطلاحية  
تحتاج إلى إيضاح ، فلا تدرى بها إلا  
بعد فوات الوقت المناسب .

تلميذى العزيز :

قد يكون بين زملائك في الجامعة  
من يبذل وقته ضياعا وهو لا يدرى ،  
يجلس إلى كتبه ليدرّس ، فيمسك

بعض إخوانك وزملائك في دراستك  
ومهما يكن من أمر ، فبعض المربين  
يرى الدراسة الجماعية المشتركة إنما  
تفيد الطالب الضعيف والمتوسط ، ولا  
تفيد الطالب القوي .

وفريق آخر من المربين يرى أنها  
تفيدهم جميعا ، أما الضعيف والمتوسط  
فالأمر فيهما ظاهر ، وأما القوي فله  
منها فوائد ثلاث :

أما الأولى فإن مساءلة إخوانه له ،  
ومباحثتهم إياه ، ومحاولته التفهيم والشرح  
كل أولئك يحمله على أن يدقق النظر  
ويعمق الفهم ، وينبهه لأمر لم تكن  
لتخطر له على بال ، ومن الأقوال  
المشهورة بين رجال التعليم : « إذا أردت  
أن تتعلم شيئا فحاول أن تعلمه غيرك  
من الناس » .

وأما الفائدة الثانية فإن الدراسة الجماعية  
تدرب الطالب القوي على أن يعبر عما  
علم وفهم بطلاقة لسان وحسن بيان ،  
وهذا ليس بالشيء القليل الهين ،  
فكثير من الطلاب يقرءون ويفهمون ،  
ولكنهم إذا طولبوا أن يفصحوا عما  
فهموا تلثم اللسان واضطرب البيان .

والثالثة أنها تمكن لمعلومات الطالب  
القوي في ذهنه ، وبذلك تخفف عنه  
عبء المراجعة في آخر العام .

بكتاب إحدى المواد ، حتى إذا مضى  
في قراءته عشر دقائق أو قريبا منها ملَّ  
وسم ، فيلقى به جانبا ، ثم يمك  
بكتاب مادة أخرى ، فلا يلبث بين  
يديه أكثر من عشر دقائق ثم يعافه  
وينبذه ، ثم ينتقل إلى مادة ثالثة فلا يكون  
حظها من العناية والصبر أوفر من أختيها ،  
وهكذا دواليك .

فإذا كان بين زملائك مثل هذا ممن  
لا يستطيعون حصر الذهن في موضوع  
واحد مدة تقارب الساعة ، فأفضل  
علاج له أن يقسم أوقات دراسته على  
مواده المقررة بالدقائق ، فيخص كل  
مادة في بداية الأمر بعشرين دقيقة ،  
تعقبها راحة لا تزيد على عشر ، ثم  
بعشرين دقيقة مادة أخرى تعقبها راحة  
كذلك ، وهكذا . . .

حتى إذا درب على ذلك وأصبح  
له عادة ، زاد الوقت المحدد لكل مادة  
زيادة صغيرة ، لا تقل عن خمس ولا  
تزيد على عشر ، وتستمر الزيادة مع  
مرور الزمن ، ومع ازدياد القدرة  
على الدراسة وازدياد الرغبة في العلم ،  
إلى أن تصل إلى خمسين دقيقة وهو الحد  
الأقصى ، على أن تظل الراحة التي  
تعقب دراسة كل مادة عشرا أو تزيد  
قليلا .

لا أدري أمتقردا تدرس ، أم تشرك

ويشترط لنجاح الدراسة الجماعية أن يتفق أفرادها من قبل أن يبدعوا بها أن يتفقوا على ما يسمى بورقة عمل ، فإن لم يكن ورقة عمل يسرون عليها فلا خير يرجى من تلك الدراسة .

على أن الدراسة الجماعية لا تصلح إلا في أول العام الدراسي ، حين يكون المتروء قليلا والوقت طويلا .

تلميذى العزيز :

لا أدرى أين تدرس ؟ ولا أين تطيب لك الدراسة ؟ غير أنني أنصح لك أن يكون مكان دراستك بعيدا عن كل ما يشرد بذهنك ، ويطير بعواطفك وفكرك ، أن يكون خاليا من « الراديو » ومن « التلفزيون » ومن المجلات المصورة وغير المصورة ومن الصحف اليومية وغير اليومية .

ولتعلم أن أشد الناس عداوة لوقتك واعتداء عليه أصدقاؤك وزملاؤك وأقاربك ، هؤلاء الذين يزورونك بلا موعد ولا حساب ، ويشغلونك عن دراستك بأحاديث فارغة وأمور تافهة .

فاختر لدراستك مكانا يأبى على هؤلاء وأمثالهم أن يغيروا عليه ليلا أو نهارا ، وإقبالا وإدبارا .

وربما كانت مكتبة الجامعة خير مكان

لدراستك إذا هيئت لك فيها الدراسة ووصلحت ، فللمكتبة نظام يوفر لها الهدوء والسكينة ، ويدراً عنها ما يشتت الخواطر ويكدر الأذهان ، وفي المكتبة تنجو من زيارات فارغة تافهة تسحت وقتك وتفسد دراستك .

وإذا وجدت المكتبة خير مكان تدرس فيه من بعد تجربة ، فإياك إياك أن تجلس على مقربة من الباب فتشغل نفسك بمن يدخل ويخرج ولكن وّل وجهك شطر الجدار ، فلا ترى أحدا ولا يراك أحد . وعلى كل حال فالمكان عادة وإلّف ،

فمن الطلاب من اعتاد الدراسة في المساجد ، ومنهم من اعتاد الدراسة في الحدائق العامة ، ومنهم من اعتادها في ساح الجامعات وأفنيتها ، ومنهم من اعتاد أن يدرس في غرفته الخاصة فخير مكان مكان يحفظ عليك وقتك ، ويحول بينك وبين ما يلهيك عن دراستك

فإذا لم تتيسر لك مكتبة الجامعة ، ولم يك في الجامعة قاعة واسعة خاصة بالمطالعة ، تخضع للإشراف المهيمن والنظام الصارم ، فربما كان أفضل مكان لدراستك غرفتك الخاصة ، فإن وجدت فيها راحتك وطمأنينة نفسك فالحذر الحذر أن تدرس وأنت مستلق على الفراش ، فالفراش يبعث على التراخي ، ويدعو إلى الكسل والنوم ،

ويجعل بينكما مودة ورحمة ، فراه حريصا على فهمك ، محتفيا بأسئلتك ، لا يعرض عنك ولا يعتذر إليك إن سألته خارج غرفة التدريس أو داخلها . وأرجو كذلك أن تحرص على حضور كل حصة ، فحضور كل حصة يجعل معلوماتك في كل مادة متواصلة متماسكة ليس فيها فجوات ضعف ولا ثغرات جهالة .

أما الأمر الثالث الذى أود أن تحرص عليه فهو أن يجهز مكان دراستك بالنور الكافي ، والنور الكافي ضرورى لنشاطك ولسلامة عينيك ، ول مستقبل حياتك العلمية والعملية ، النور الضعيف يبعث الملل ويأتيك بالكسل ، وأشد إضراراً من ذلك أنه يتلف عينيك اللتين هما من أعظم ما يعينك على دراستك ، وأعظم ما يوفر لك الوقت للبحث المتعمق والإنتاج المثمر .

وما أكثر الطلاب الذين يهملون هذا الأمر ، ويدرسون على أضواء شاحبة هزيلة ، حتى إذا أصاب أعينهم الأذى ولحق بها الضعف ، أخذوا يعضون على أيديهم ، ولات ساعة مندم .

تلميذى العزيز :

ما حدثتكَ عنه من وضع جدول خاص لدراستك ، واختيار مكان مناسب لتلك الدراسة ، ومن أمور آخر كالتبكير

والأفضل أن تجلس على كرسى يكون مستقيم الظهر ، وأمامك منضدة خالية من كل شئ ، إلا ما تحتاج إليه من كتب مقررة ودفاتر ملاحظات وبعض المعاجم اللغوية ، وليكن وجهك إلى الجدار ، وحذار أن يكون أمامك نافذة مفتوحة ، إنها سترحل بعينيك إلى خارج الغرفة ، وتنتزعك من بين كتبك إلى أماكن شتى وآفاق بعيدة .

ولياك والانحناء في أثناء الدراسة ، فذلك يتعبك ويضر بصحتك ويجلب عليك الكسل .

تلميذى العزيز :

ليس توفير ساعات معدودة للدراسة كل يوم ، وتوزيعها على المواد المقررة ، واختيار المكان المناسب ، ليس ذلك كل ما تطلبه الدراسة الناجحة ، فهناك أمور آخر أرجو أن تهتم بها وترعاها ، وإن رآها كثير من الطلاب ليست بذات بال .

فدخولك غرفة التدريس في أول الحصة وقبل أن يبدأ المدرس محاضرتة أمر يجب أن تحرص عليه وترعاه ، كى لا يفوتك شئ من التوجيهات ، أو المعلومات أو الإشارة إلى مراجع ذات قيمة ، ومن جهة أخرى فهذا الدخول المبكر يوثق الصلة بينك وبين المدرس ،

في حضور الحصص ، والحرص على حضور كل حصة ، والنور الموفور في مكان الدراسة ، كل اولئك خطوات تمهيدية للدراسة ، أما الدراسة نفسها فلم أحدثك عنها بعد .

ماذا تعنى كلمة الدراسة ؟

أول ما يخطر بالبال أنها فتح كتاب مقرر ، ومحاولة استظهار ما فيه استعداداً للامتحان ، وهذا معنى ضيق محدود لما تعنيه كلمة الدراسة ، أما الدراسة بمعناها الأعم الواسع فهي : كل مجهود يبذل في سبيل التعلم .

وأياً كان معناها ، فالدراسة لا بد لها من القراءة ، والقراءة أعظم الدعائم التي تقوم عليها الدراسة .

والحديث عن القراءة عامة حديث يطول ، ولا تتسع له هذه الرسالة ، وربما حدثتك عنه في رسالة قادمة ، أما اليوم فيكفي ويكفيك أن أحدثك عن قراءة الكتب المقررة .

الطريقة المثلى في قراءة الكتب المقررة في الكليات أن تقرأ الموضوع الذي تدرسه ثلاث مرات ، ولكل قراءة هدف يختلف عن هدف القراءة الأخرى وعليك أن تعرف الهدف أولاً ثم تمضي في القراءة من أجله .

فهدف القراءة الأولى أن تعرف

الفكرة الأساسية للموضوع الذي تقرأه وتسمى هذه القراءة قراءة التصفح ولذلك ينبغي أن تكون سريعة .

ثم تعود فتقرأ الموضوع قراءة ثانية ويكون الهدف معرفة المسائل الرئيسية والتفصيلات المهمة ، وفي هذه القراءة تكون بطيئاً متأنيا متعمقا دقيق النظر .

ثم تعود فتقرأ الموضوع قراءة ثالثة ، ويكون الهدف من هذه القراءة أن تجيب عن أسئلة تضعها أنت .

والأسئلة لها حظ عظيم مهم في عملية التعليم والتعلم ، الأسئلة تعطى هدفاً للتعليم ، تجعلنا نفكر ونحن نقرأ وندرس ، تجعلنا نفكر فيما نريد أن نتعلمه من هذه الدراسة ، وإذا حاولت وأنت تقرأ أن تجيب عن سؤال فإن ذلك يجعل ما تدرسه ذا معنى محدد .

ومن الثابت بالتجارب أن الطلاب يتذكرون ما يتعلمونه جواباً عن سؤال أفضل من تذكرهم ما يتعلمونه بالقراءة المجردة ، وأن الطلاب الذين يقرءون ويدرسون ولا يجعلون قراءتهم مبنية على أساس أن تكون أجوبة لأسئلة ينسون بسرعة ، وتحتل في أذهانهم الفكر الرئيسية بالفكر الثانوية ويفقدون الدقة في الإجابة .

ولكن من الذي يضع الأسئلة ؟ أنت

نفسك أفضل من يضعها ، قد يكون هذا في بداية الأمر شيئاً صعباً ، ولكنك بالممارسة والتكرار سوف تصبح ذا قدرة على وضع أسئلة لما تقرأه دون عناء .

إن وضع الأسئلة يساعدك على الدراسة والفهم والتعمق ، وهذه الأسئلة تكسب معلومات محددة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، لأنك لا تستطيع أن تضع سؤالاً إلا بعد أن تصير المعلومات واضحة في ذهنك .

ضع أسئلة لكل شيء تقرأه وتدرسه منذ بدء الدراسة ، ولا شك أن وضع الأسئلة لكل ما تقرأ عمل مرهق جداً ويأخذ منك وقتاً طويلاً ، ولكنه يرتفع بمستواك إلى درجة الطلاب الممتازين .

وهناك هدف رابع للقراءة والدراسة هو تقييم ما تقرأ ، فيجب أن تكون قارئاً ناقداً ، ناقداً ما تدرس ولا سيما الموضوعات التي تعرض فيها قضايا قد تباينت فيها الآراء ، واشتد فيها الخلاف والجدل ، وجاء صاحب كل رأى بدليله وحجته .

فعليك أن تنظر إلى الأدلة والحجج في هذه القضايا نظرة عادلة منصفة وأن تتبع الحق دون أن تلمسك بأرائك السابقة ، ودون أن تتعصب تعصبا جاهلياً لما تعودته وألفته .

وهناك هدف خامس للقراءة والدراسة هو التطبيق ، وأغنى بالتطبيق أن تخضع حياتك لما تقرأه وتدرسه وتراه صواباً ، فإذا استطعت أن تطابق بينهما كان حقاً أن نقول إنك قد استفدت من قراءتك ودراستك وقطفت الجني وعدت بالغنم .

أما إذا كنت تعلم الصواب ولا تعمل به ، وتعرف الحق ولا تتبعه ، فقد فقدت دراستك روحها ومعناها ، وأصبحت شجراً بلا ثمر وزرعاً بلا حصاد .

والقراءة التي هي أعظم دعائم الدراسة تفقد كثيراً من قيمتها وجدواها إذا لم يصحبها استظهار .

ولكن ماذا تعني هذه الكلمة كلمة الاستظهار ؟ :

الاستظهار أن تعيد على نفسك بدقة ما تذكره من المعلومات التي درستها ، ولا تعني أن تحفظ معلوماتك حرفاً حرفاً وكلمة كلمة حفظاً « فوتوغرافياً » لا تعقل فيه ولا فهم .

والطريقة المجدية في الاستظهار أن يكون مجزاًً على فترات ، فحين تنتهي من دراسة موضوع أو دراسة معلومات بينها صلوات وثيقة ، فاستظهر ما درست ومن الأفضل ألا تستظهر قدراً كبيراً



دفعه واحده ، جزئه أجزاء صغيرة واستظهرها جزءا جزءا ، فذلك أيسر وأسهل ، وحذار أن تؤجل الاستظهار إلى آخر عامك الدراسي متعللا أن ما يستظهر سوف ينسى ، ويضيع الجهد فيه سدى .

فقد أثبتت التجارب أن المعلومات التي تستظهر ثم تنسى يسهل استظهارها مرة ثانية آخر العام ، ويسهل تذكرها ساعة الامتحان .

أما المعلومات التي تستظهر آخر العام ولم تك قد استظهرت من قبل ، فمن العسير جدا بقاؤها حية ثابتة ساعة الامتحان .

يقول بعض العلماء : النسيان عملية تخريرية تسير مع القراءة جنبا إلى جنب فإذا انتهيت من قراءة موضوع أو فصل وحاولت بعد القراءة أن تتذكر المعلومات التي قرأتها فإنك لا تتذكر أكثر من خمسين في المئة ، وبعد مضي يوم كامل على تلك القراءة لا تتذكر أكثر من ثلاثين في المئة ، ثم يكون النسيان بطيئا بعد ذلك .

وخير وسيلة لمقاومة هذه الأعمال التخريرية التي يقوم بها النسيان أن تستظهر ما تقرؤه وتدرسه .

ولا شك أن نسبة ما تتذكره يعتمد على مقدار ما تقرؤه كثرة وقلة وعدد

مرات ، وعلى نوعية ما تقرأ ، وعلى كيفية القراءة ، وعلى الفروق الفردية الفطرية التي وهبها الله للناس .

ولقد تبين من التجارب التي أجريت على آلاف الطلاب أن الجماعات التي كانت تقرأ ولا تستظهر كانت تنسى في يوم واحد أكثر مما كانت تنساه في شهرين جماعات آخر كانت تستظهر ما تقرأ .

ولقد تبين من التجارب أيضا أن الطلاب الذين يستظهرون ما يقرءون يفوقون الطلاب الذين يقرءون ولا يستظهرون .

كثير من الطلاب يظنون أنهم قد حفظوا معلوماتهم ، وأنهم يستطيعون أن يتذكروها وقت الحاجة حتى إذا جاء الامتحان وسئلوا عنها وجدوا ما كانوا يظنونهم حقا قد أصبح ساعة الامتحان سرايا .

وخير طريقة لكي تتوثق من أنك قد فهمت ما درست ، وأن استظهارك لمعلوماتك جيد ، خير طريقة أن تتوقف من حين إلى حين وتفحص نفسك ، بأن تختار بعض الأسئلة التي كنت قد وضعتها من قبل في أثناء دراستك ، وأن تجيب عنها كتابة ، ثم تصحح لنفسك بأن تقابل إجابتك بما جاء في الكتاب المقرر ، وبذلك تستطيع أن

تعرف مستوى إجابتك ، وقدر استظهارك وتذكرك ، وعلى ضوء هذه النتيجة إما أن ترجع القهقري فتعيد دراسة ما درست من قبل ، وإما أن تمضي قدما .

الاستظهار يثبت معلوماتك ويسهل عليك المراجعة آخر العام ، ويعطيك نتائج ممتازة في الامتحان ، وزيادة على ذلك يعودك حصر الانتباه فيما يقرأ ، فكثيرا ما يكون انتباهك ضعيفا ، تمر عينك بالسطور ولكن خيالك يكون شاردا وعينك لا تدر كان ما تقرأان فالاستظهار يحول بينك وبين هذا الشرود ، وبينك وبين أحلام اليقظة ، ويجعل قراءتك ذات جدوى .

كثير من الطلاب يراجعون ما درسوه واستظهروه في الساعات الأخيرة التي تسبق الامتحان ، وهذه مراجعة فيها كثير من الإرهاق والمشقة ، ثم هي لا تؤدي إلى الغرض المنشود ، وهو تثبيت المعلومات في الذهن إلى أن تحين ساعة الامتحان .

فالمراجعة الأخيرة التي تسبق الامتحان بيوم أو بساعات ينبغي أن تكون للعناية بالنقاط الرئيسية ، والتفصيلات المهمة ، والتفريعات القيمة ، وهي لا تتسع للإحاطة بكل شيء ، واثقان كل جزئية . ويجب أن تسبق هذه المراجعة الأخيرة

مراجعتان على الأقل : مراجعة لكل باب وكل فصل بعد الانتهاء من دراسته واستظهاره ، ومراجعة ثانية بعد فترة لا تسمح بنسيانه .

وفي كل فترة يجب أن تختبر نفسك بالإجابة التحريرية عن أسئلة تكون أنت قد وضعتها من قبل في أثناء الدراسة الأولى .

ويجب أن تصحح إجابتك بالرجوع إلى الكتاب المقرر لتعرف ما نسيته وما أخطأت فيه ، وما تذكره من معلومات .

ومن الأشياء القمينة باهتمامك تقييد ملاحظاتك ، الملاحظات الجيدة الجديرة بالحفظ الجديرة بأن يستفاد منها في المستقبل .

ينبغي أن تقييد ملاحظاتك في إضبارة خاصة بها ، يسهل نزع الورق منها ، ويسهل إضافة أوراق جديدة إليها .

ويجب أن تقسم أوراق هذه الإضبارة فيكون لكل مادة أو موضوع صفحات محددة متوالية مرقمة مفهرسة ، وفي رأس كل صفحة تضع عنوانا يبين الموضوع أو المسألة التي اشتملت عليها تلك الصفحة .

وينبغي أن تصحبك هذه الإضبارة ساعات المحاضرات في الجامعة ، وساعات

الدراسة في البيت ، كى تتمكن من تقييد الملاحظات جميعا في أوقاتها وفي أمكنتها المختصة بها .

وحذار أن تحمل كتابة أى ملاحظة تراها ، أو أن تؤجل ذلك اعتمادا على الذاكرة ، أو اعتمادا على كتابتها في المستقبل ، فما أسهل أن تنسى ، وما أكثر ما ينتهى التأجيل إلى سراب ، وبذلك تضيع من بين يديك ملاحظات قد تكلفك في المستقبل جهدا كبيرا ووقتا طويلا .

وإذا اضطررت لأمر ما أن تكتب بعض الملاحظات على أوراق مشردة ، فيجب أن تنقلها إلى إضبارة الملاحظات وفي مكانها المناسب في أسرع وقت وأقرب فرصة .

ويجب أن تكتب ملاحظتك وتلخيصاتك بأسلوبك أنت ، وهذا يفيدك فوائده شتى : فهو يدريك على الكتابة العلمية ، ويجعلك ذا قدرة على تلخيص ما تقرأه في الكتب الموسعة ، ويثبت المعلومات في ذاكرتك .

ولقد أثبت التجارب أن الذين يقيدون ملاحظاتهم في الورق أقدر على التذكر ممن لا يقيدون ، وأقدر على التعبير عنها ، وكثير من الذين لا يقيدون ملاحظاتهم يظنون في أنفسهم أنهم قد فهموا موضوعا ، أو أنهم قد استوعبوا

مسألة ، فإذا طولبوا بالتعبير عما فهموه أصابهم العجز وتعثر اللسان .

وينبغى أن تكون ملاحظتك وتلخيصاتك متقنة دقيقة تغنيك عن الكتاب المقرر حين تراجع المادة في الساعات الأخيرة التى تسبق الامتحان حين لا يتسع الوقت لقراءة المادة في كتابها المقرر .

كثير من الطلاب يرون في الامتحانات وحشا مفترسا وسبعا ضاريا ، تراهم في قاعات الامتحان قبيل تسلم الأسئلة في زلزلة واضطراب ، ومن جراء ذلك ينسون كثيرا من المعلومات ، ويخطئون في الإجابة عن أسئلة سهلة .

أما الطلاب الذين درسوا مقرراتهم دراسة وافية ، واستعدوا للامتحان استعدادا كاملا ، فلا يشعرون بخوف ولا يعترهم قلق ، تراهم جالسين في هدوء وسكينة ، ويجيبون على أسئلتهم بثقة واطمئنان .

ومما ينصح به رجال التربية أن فترة استجمام وراحة يجب أن تفصل بين تسلم الأسئلة ومراجعة مادة الاختبار . ويقولون إن المراجعة في هذه الدقائق الأخيرة التى تسبق تسلم الاسئلة لا تكسب علما ولا تجلب فهما ، بل ربما خلطت المعلومات بعضها ببعض بعد

أن كانت منظمة ، وأوقعت فيها الاضطراب من بعد ترتيب .

ويقترح هؤلاء المربون أن يشغل الطالب نفسه قبيل دخول قاعة الاختبار بالتحدث إلى بعض إخوانه في أمور عامة لا علاقة لها بالامتحان أو بقراءة بعض الصحف اليومية .

ومهما يكن من أمر فأنا أنصح لك أن تدخل قاعة الاختبار قبل أن يقرع جرس تسليم الأسئلة بحوالى ربع ساعة ، وأن تجلس هادئ البال مستريحا من المراجعة ، وحين تتسلم أوراق الاسئلة اقرأها كلها بعناية وأناة ودقة نظر ، ومن المتوقع أن تجد فيها ما هو سهل تستطيع الإجابة عنه دون عناء ، وأن تجد فيها ما هو صعب تحتاج الإجابة عنه إلى روية وأناة ومعاناة .

ابدأ بالاجابة عن الأسئلة السهلة ، وإذا ما انتهيت منها فأجب عن الأسئلة الصعبة ، بادئا بما هو أقل صعوبة ، مؤخرا ما هو أشد وأشق ، .

ومن الأخطاء التي يقع فيها الطلاب أن يؤخروا الإجابة عن الأسئلة السهلة ليوفروا الوقت الكافي للإجابة عن الأسئلة الصعبة ، وتكون نتيجة هذا التصرف السيء أن يجيبوا عن الأسئلة السهلة في آخر الوقت وقد أصابهم الإرهاق والتعب فيكتبوا تلك الإجابات

بسرعة ودون عناية ، وبذلك يرتكبون أخطاء كثيرة وهم لا يشعرون ، ويفقدون درجات كان الحصول عليها متيقنا سهلا لو كتبت الإجابات في أول الوقت وفي أوج النشاط .

ويجب أن يجعل الجزء الأخير من وقت الإجابة لقراءة ما كتبتة من أجوبة فتصحح الأخطاء التي وقعت فيها وأنت لا تدري ، وتجيب عما عساك قد نسيت الإجابة عنه .

وإذا بدا لك أن تبدل بعض الإجابات فإذا كنت واثقا تمام الثقة بأن ما كتبتة كان خطأ ، وأن ما تريد أن تكتبه هو الصحيح ، فخير لك أن تغير وتبدل .

أما إذا كنت مترددا بين الإجابة التي كتبتتها والإجابة التي خطرت ببالك في آخر الوقت ، فأبق الإجابة الأولى التي كتبتتها على ما هي عليه ، فقد دلت التجارب على أن الفكرة التي تسبق إلى ذهن الطالب وهو في أفضل أوقاته نشاطا وفضونة أصح من الفكرة التي تأتيه وقد تعب وأرهق وخبا نور علمه وذهنه .

ومما يخطئ فيه الطلاب أن يجيبوا إجابات تشتمل على زيادات ليست مما يطلبه السؤال ، يفعلون ذلك كثيرا إذا عمى

عليهم السؤال ولم يستطيعوا تحديد ما يطلبه ، وفي أحيان قليلة يفعلون ذلك إظهاراً لسعة ما عندهم من علم .

فينبغي أن تقرأ الأسئلة بتروء ودقة نظر ، وأن تجيب بما هو مطلوب ، دون أن تزيد على ذلك شيئاً ، ففي هذه الزيادة دلالة عجز ، ومضيعة وقت وجهد عليك وعلى المدرس المصحح معا . ثم إن المدرس سيهمل كل ما كان مزيداً ، وإلى جانب ذلك سوف يسيء بك الظن فيتهمك بسوء الفهم في قراءة الأسئلة وبالتهرب من الإجابة الدقيقة .

ومما يخطئ فيه الطلاب أن ينظر أحدهم إلى إجابته فيراها قليلة الكلمات قليلة الأسطر ، فيعمد إلى تضخيمها بكل وسيلة ظناً منه أن الإجابات في الامتحانات لا ينبغي أن تكون قليلة المقدار صغيرة الحجم ، أوتوهما أن المدرس ممن يقيس الإجابة بالأشبار .

لا ينبغي لمثلك أن يسلك سبيل الخداع والتمويه والعبث وسوء الظن بالمدرس ، مثل هذا لا يجمل منك ، ولن يلقى من المدرس إلا الزرارة والسخرية .

من الطلاب من يكتب بخط واضح مقروء ، ومع الوضوح أناقة وجمال ومن الطلاب من يكتب بخط واضح يقرأ بسهولة ويسر ، وإن لم يكن جميلاً

ومن الطلاب من يكتب بخط بينه وبين الوضوح عداوة وخصام .

وأقل مستوى في الخط يكفل لك أن تأخذ ما تستحقه من درجات أن يكون خطك واضحاً مقروءاً بسهولة .

ولقد قامت هيئات تعليمية تربوية بتجارب في هذا الميدان ، كان منها أن كتبت إجابات بعض الطلاب بخط سيء لا يقرأ إلا بجهد ومشقة ، وكتبت الإجابات نفسها بخط واضح يقرأ بسهولة ، وأعطيت الإجابات لجماعتين من المصححين ، وطلب إليهم بحزم وشدة ألا يكون للخط أى تأثير على تقدير الدرجات ، وكانت النتيجة أن الإجابات التي كتبت بخط واضح أخذت نصيباً من الدرجات أعلى من الإجابات التي كتبت بخط رديء .

قليل جداً أولئك المدرسون الذين يصبرون طويلاً ويبدلون جهداً كبيراً في قراءة خطوط الطلاب السيئة المعقدة ، ويعطونها الدرجة التي تستحقها ، فعليك أن تكتب إجاباتك في الامتحان بخط واضح ، ومع الوضوح جمال إن اتسع الوقت وتهيأت لك الأسباب .

وإني لأنصح مرة أخرى أن تعنى بسلامة كتابك من الأخطاء النحوية والإملائية ، فإن سلامة الكتابة من

هذه الأخطاء ذات تأثير حسن على المصحح ، إنها تشجعه على أن يعطيك الدرجات التي تستحق ، وتجعله يحسن الظن فيما تكتب .

أما إذا كانت كتابتك مصابة بالأخطاء النحوية والإملائية ، ولا سيما الأخطاء القبيحة المنكرة التي لا تتوقع من طالب جامعي في مستواك ، فإنها ستؤثر تأثيرا سيئا على المصحح وعلى الدرجات

التي تستحقها، سواء أراد المصحح هذا أم لم يرد .

تلميذى العزيز :

أرى رسالتى إليك قد طالت وما كنت أظنها تطول ، وأراها لا تتسع اليوم للتحدث عن البحث وما يتصل به ، فأسأله تعالى أن يعين على ذلك في رسالة قادمة .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



### أفكار فى المزاد

لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماما ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية . فيجب أن نختار طلبة من ذوى الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة . والسلوك المنحل من الشرق . ولا سيما من البلاد الاسلامية ومنحهم المنح الدراسية ، وحتى نبيع لهم الشهادات بأى ثمن ليكونوا المبشرين المجهولين لنا لتأسيس السلوك الاجتماعى والسياسى الذى نصبو اليه فى البلاد الاسلامية ، لان اعتقادى القوى بان الجامعات الغربية يجب أن تستغل استقلالها تماما حصول الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لاهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والاسلام ( ١ ) .

من كتاب ( المشكلة الشرقية ) طبع لندن عام ١٩٥٧ .



ردود

و

مناقشات





# صَفَائِرُ رُبْنَا حَقِيقَةً وَعَلَى الرَّبِّ

اللائق بكماله

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب  
الحاضر بقضية الدعوة وأصول الدين

يقال ان افلاطون قد سئل ذات يوم كيف تخالف آراء استاذك سقراط ، وهو الذى لا تكاد ترفع عليه احدا من الناس ؟ فأجاب : نحب سقراط ونحب الحق ، ولكن الحق أحب الينا من سقراط ، وقد رأينا تلميذى أبي حنيفة الفضلين لا يترددان عن خلافه في كثير من الامور للغاية نفسها ، وهو من اكرم الناس عليهما ، رحمة الله على الثلاثة اجمعين .

ذكرت هذا وأنا استمع الى فضيلة الاخ الاثير ، شيخ الادباء ومحدث الشعب الاستاذ على الطنطاوى ، في برنامج المرغوب (مسائل ومشاكل) وذلك في الساعة الثامنة الا ربعا من مساء الاربعاء الواقع في التاسع والعشرين من ربيع الآخر - عام - ١٣٩٦ هـ وكان السؤال الذى أجاب عليه يتعلق بمفهوم (القدّم) في الحديث الشريف الذى اخرجه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن النار لا تفتأ تتطلب المزيد من الاشقياء حتى يضع فيها الجبار قدمه - وفي رواية اخرى رجله - .

ويروي عن اللسان كذلك ما يثبت هذا التخريج بعبارات تثبت ان العرب يستعملون القدم بمعنى الطليعة ، ومقدمة الجيش وما الى ذلك . ثم مضى فضيلته يفرّع على هذا الاصل بعرض طائفة من مشتقات القدم . .

ولو أن تقدير الانسان لآخر يوجب السكوت عن كل ما يقول لكان على - بالاقل - ان اسكت على ما سمعت

لقد رأيت الاستاذ كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهو يحاول البحث عن الجواب الجامع المانع . . حتى اتكأ على احدهما اخيرا وقطع بأن القدم في الحديث ليست على ظاهر اللفظ ، وانما هي لون من الكناية - التى يراد بها لازم معناها - وراح يؤكد ذلك بكلام نقله من (لسان العرب) وخلصته ان المراد بالقدم هنا هم اهل النار ،

فلا أتعقبه بشيء ، ولكن الواجب يقتضى غير ذلك ، لأن الموضوع أخطر من أن يهمل ، ولأن مكانة الاخ العزيز تجعل لقوله وزنا واثرا يتعذر اقتلاعه من النفوس ، سواء كان ذلك الاثر سلبا أو ايجابا ، وهذا ما حفزني على أن أتناول الموضوع بشيء من التفصيل رجاء ان نتلاقى على القرار الذى يطمئن اليه قلب المؤمن ، وملئى اليقين بأن فضيلة الاخ سيكون على غاية من السرور اذا وجد في عرضى هذا الحق الذى لا يعدل به شيئا آخر .

فأول ما أسترعى اليه انتباه الاخ هو وقوفه في نقوله من لسان العرب على القول المنسوب الى الحسن واصحابه وقبوله دون مناقشة ، ودون تتبع للمصادر التى استقى منها ابن منظور هذا القول ، على خلاف ما عودناه فضيلته من ايثار للتحقيق والتدقيق في مثل هذه الاخبار الهامة ، يضاف إلى ذلك إغفاله الرواية الأخرى المقابلة لتلك عن اللسان نفسه ، وهى القول بأن الخبر (متروك على ظاهره ويؤمن به ، ولا يفسر ولا يكيف) .  
 واو هو قد فعل ذلك لا براء ذمته ، ولترك للسامعين أن يعرضوا الامر على مطالعاتهم وفطرتهم ، فيختاروا ايها أليق بكماله تعالى ، وبما وصف به نفسه في الكتاب الحكيم وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد لوحظ من خلال محاولاته الوصول بالأمر الى القرار النهائي ، شدة تعويله على جانب الاشتقاق اللغوى في تفسير ( القَدَم ) وذلك بحشده الأشتات من الكلمات المحتوية على حروفها .  
 ومع أن اتصال اللفظ بصفات الله يقتضى الرجوع باستيضاحه إلى أئمة الحديث والتفسير والفقه بالدرجة الأولى ، فقد اغفل هذا الجانب تماما مكتفيا بالدلالات اللغوية ، وهو الاديب البليغ الذى لا يفوته أن اللغة واحدة من وسائل المعرفة الكثيرة في هذا الميدان ، وأن كل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته يعتمد في تحديده على المأثور من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومفهوم السلف . .  
 ولو ترك أمره الى اللغويين وحدهم لاضطرب الحبل ، وضاعت الحقيقة في ركاب المجازات والكنيات وما اليها من معميات . .

ثم شئ آخر لا مندوحة عن التوكيد عليه في نقول اللسان .

ان هذا المعجم الموسوعى قد ألفت أصوله في ظروف متأخرة ، ثم جاء ابن منظور رحمه الله ليضم بعضها الى بعض في عهد تراكت اثناء مقررات الفرق واهل الكلام والمتفلسفة ، فابتعدت السبيل بالفكر الاسلامى عن ينبوع الوحي المصفى ، اذ أصبحت آراء

الرجال هي الحكم الفصل في كل خلاف بين الكثرة من اهل العلم . وما كان لابن منظور ولا سواه أن يتخلص من آثار ذلك الجوا لا من رحم الله ، ومن هنا تسالت الى اعمالهم اللغوية والثقافية تلك الشواذ التي لم ينقل مثلها عن احد من أئمة الهدى في خير القرون .

وعلى هذا فان مجرد إلحاق مثل تلك الرواية بالحسن وأصحابه لا يكفي للقطع بصحتها ، لأن الإقدام على تحكيم اللغة والهوى في تأويل صفات الله لم يكن مما يسوغه التابعون أو يسكتون عليه ، فضلا عن أن يقبلوه ويقولوا به ، وانما نجم ذلك على لسان بعض المتلمذين ليهود والصابئة بعد عصر الحسن بزمن ، ثم تفاقم الامر بعد محنة الإمام احمد ، وشرع المتأثرون بترجمات الفلسفة يطلقون سهامهم لتحريف المفهومات الاسلامية عن صفات الحق سبحانه . . ولم يتورعوا عن الكذب على الائمة بأن ينسبوا اليهم ما لم يقولوه ، أو يذهبوا بأقوالهم الى غير ما أرادوه . وقد نقل شيخ الاسلام بن تيمية عن الطبري عن الاسفرائيني عن محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة ( أن الفقهاء كلهم اتفقوا على الايمان بالقرآن والأحاديث في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه . . ) وروى

البيهقي باسناد صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام أن ( هذه الأحاديث التي فيها: ضحك ربنا من قنوط عباده، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قدمه . . هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض ، غير أنا لا نفرسها ، وما أدركنا احدا يفسرها (١) . فليت شعري . . ألا يسعنا اليوم

ما وسع أمس اولئك السادة من اهل الحق ، فنقف حيث وقفوا من اوصاف الله نفسه ، وأخبار رسوله عنه ، فلا نتجاوز سبيلهم الى التأويل والتعطيل وما يقاربهما ! . .

وما الذي يحول بيننا وبين الايمان بأن لربنا قدما وعينا وسمعا وبصرا وساقا وما الى ذلك مما ثبت من صفاته العلى في كتابه وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ . . وفيه نفتح على أنفسنا ابواب التكلف فنصرفها عن وجوهها الى المجازات والكنائيات وما في سبيلهما ؟ اذا كان الباعث على ذلك خوف الوقوع في التشبيه والتجسيم فقد كفانا الله ذلك الخطر بنفي مشابهته لخلقه في أى شئ ، فنحن نؤمن بكل ما صح عنه وعن رسوله في صفاته مع كمال تزييه عن المشابهة . . فيده وقدمه وعينه مثلا كعلمه وقدرته وحكمته ، نثبتها كلها على الوجه اللائق بكماله سبحانه .

فكما أن علمه لا يشبهه علم الانسان ،  
وقدرته وحكمته لا مجال للمشابهة  
بينهما وبين هاتين الصفتين في مخلوقاته  
كذلك الأمر في القدم واليد والعين ،  
لا تشبهها قدم ، ولا تناظرها عين  
ولا تقاس بها يد . .

ونحن نقرأ في كتاب الله وصفه لألوان  
النعم في الجنة فلا نتصور أنها من النوع  
نفسه الذى نتمتع به في الدنيا ، وإنما  
لكل من النعمين مزيته المناسبة لبيئته . .  
وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما  
أن ليس في الجنة من أشياء الدنيا الا  
الاسماء . فلاشراك اذن بين النوعين  
انما يقع في اللغة دون الماهية . . وكذلك  
صفاته تعالى أطلق عليها أسماء أشياء  
نعرفها ، والفرق بين هذه وتلك هو  
فرق ما بين الفاني والباقي ، والناقص  
والكامل ، تعالى ربنا عما يقول المشبهون  
والمعطلون علوا كبيرا .

وأخيرا . . لنقف قليلا أمام بعض هذه  
الأحاديث التى هى مدار الحديث .

في الصحيحين من حديث أبي هريرة  
رضى الله عنه انه قال : ( يقبض الله  
الأرض ويطوي السموات بيمينه ،  
ويقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أين  
ملوك الأرض ؟ ! ) وفي مسلم عن ابن

عمر رضى الله عنه ( أين الجبارون . .  
اين المتكبرون ؟ ! ) .

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أكثر  
تفصيلا وأشد تهويلا ، كالذى رواه  
ابن منده وابن خزيمة وغيرهما من  
الائمة عن ابن عمر رضى الله عنه ،  
أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على المنبر وهو يقول : ( يأخذ الجبار  
سمواته وأرضه . . وقبض بيده وجعل  
يقبضها ويبسطها ويقول : أنا الرحمن ،  
أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن  
أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر انا  
الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا . انا  
الذى أعيدها . أين الجبارون . أين  
المتكبرون ؟ . ويصف ابن عمر رضى  
الله عنه رسول الله أثناء ذلك قائلا :

( ويتميل رسول الله على يمينه وعلى  
شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك  
من أسفل شئ منه حتى اني أقول :  
أساقط هو برسول الله ؟ ! . . ) .

ومعلوم أن أصل الحديث في قوله  
تعالى ( وما قدروا الله حق قدره ،  
والارض جميعا قبضته يوم القيامة ،  
والسماوات مطويات بيمينه . سبحانه  
وتعالى عما يشركون ٦٧/٣٩ ) .

فها هنا يمين الله يمسك بها السموات

والارض . . قابضاً باسطاً مهدداً منذراً ،  
وقد أُخِذَ رسول الله بهول الموقف  
فهو يهتر يمناً ويسرة حتى ليخشى ابن  
عمر عليه السقوط . .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود  
رضى الله عنه « أتى النبي صلى الله عليه  
وسلم رجل من اليهود فقال : يا محمد  
ان الله يجعل السموات على اصبع ،  
والارضين على اصبع ، والجبال والشجر  
على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ،  
وسائر الخلق على اصبع ، فيهزهن  
فيقول : انا الملك انا الملك . . )

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فضحك  
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه  
تصديقاً لقول الخبر ، وقال : (وما قدروا  
الله حق قدره والارض جميعاً قبضته . (١)  
فها هنا ايضا اصابع مضافة الى الرحمن  
يسمع رسول الله ذكرها فلا ينكره ،  
بل يقره ويؤيده بتلاوة الآية . .

فأى هذه الاثار الثابتة يجرؤ على التردد  
في قبوله عاقل ؟ . . وأى معنى غير  
الحقيقة يستخلصه من خلالها لغوى ؟ !  
وهل ثمة من مجال للكناية أو المجاز في  
هذا العرض الذى يزلزلنا برهبتة ؟ !  
ان ربنا في هذه الأخبار القاطعة يمجّد  
نفسه ، وله المثل الاعلى ، وهو الحقيق

بكل تمجيد ، فيذكر بعض صفاته  
المعنوية التى يتفق على الايمان بها المسلمون  
قاطبة ، فأى فرق بينها وبين قبضه  
السموات والارض بيمينه ، وهو من  
صفاته الذاتية؟! إن بعض صفاته الاولى  
مما يطلق أيضاً على بعض خلقه ، فيقال :  
فلان ملك وعزيز وجبار ومتكبر . .  
ولكننا جميعاً متفقون على انها في المخلوق  
غيرها للخالق سبحانه . فعلام تختلف  
في شأن اليمين - والاصابع - فنقول  
انها على الحقيقة اللاتمة بكماله تعالى  
دون تكييف ولا تحريف ، ويقول  
الآخرون انها وانها وانها ، حتى ليكادون  
ينتهبون بها الى غير شئ ! . . ثم يكون  
حصيلة ذلك الرفض لحقيقة الصفات  
أن ينجر أصحابه الى تأويل كل صفة  
ذاتية لربهم ثبتت له في القرآن أو السنة  
الصحيحة ، كما فعل المعتزلة بتأويل  
معظم صفات الله ، حتى أوشكوا  
أن يشركوا النصارى في وصف ربهم  
بأنه ( محبة ) . . أى أنه معنى لا ذات  
له ! . .

أليس خيراً وأسلم للمسلم أن يقف  
مع الأولين الافضلين من سلف هذه  
الامة بإزاء هذه الامور فلا يلتقى بنفسه  
في المناهات التى سلكها المتأخرون من  
المتفلسفة والمتكلمين ! ! .

(١) انظر (لوامع الانوار . .) للسفاريني ج ١ ص ٩٩ و ٣٣١

(ألسنا قد أثبتنا لربنا ذاتا لا كالدوات)  
فما المانع من اثبات صفات لا كصفات  
المحدثات ؟ ! ) .

يقول سفيان بن عيينة رحمه الله :  
« كل ما وصف الله به نفسه في كتابه  
فتفسيره قراءته والسكوتُ عنه . ليس  
لأحد أن يفسره الا الله ورسوله . ( ١ )  
وهذا ما ندين الله به فنثبت له سبحانه  
ما أثبت لنفسه ، ونقول ما قاله أهل  
الحق ، من ان المراد باليدين اثبات  
صفتين ذاتيتين تسميان يدين ( ١ ) ،  
ومثل ذلك نقوله في القدم والساق  
والاصابع والكف والعين والسمع  
والبصر ، ولا نتجاوزه الى ما ليس  
لنا به من علم ، ورحم الله مالكا الذي  
ادرك خطر هذا المنزلق فجاء بالفصل  
الحاسم في قوله لسائله : ( الاستواء

معلوم ، والكيف مجهول . . ) ومثل  
ذلك روى عن أم سلمة (رض) وفيه :  
( والايمان به واجب ، والسؤال عنه  
بدعة ) .

وأخيرا ان القيمة التي توزن بها كلمات  
الاخ الطنطاوى هي التي حفزت الى  
كتابة هذا التعقيب ، وهو قد اعلن  
رأيه لعشرات الآلاف من مستمعيه ،  
فلا أقل من أن يقرأ هذه الكلمات بعض  
هؤلاء المستمعين ، ليستيقنوا ان هناك  
افهاما اخرى تنظر الى الموضوع من  
غير الزاوية التي اطل منها .

ولا حاجة للاعتذار الى فضيلته ،  
فانا واياه على سواء في ايثار الحق على  
أى اعتبار آخر ان شاء الله .

والحمد لله ملهم الصواب



# تنبيه .. وتحذير ..

لفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله التويجري

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . . وبعد فقد رأيت في جريدة الرياض في الصفحة الرابعة من العدد ٣٤٠٨ الصادر في يوم الاربعاء ٨ شعبان ١٣٩٦ هـ تحت عنوان « مجنون يحكى وعاقل يفهم » وقد سمي الكاتب نفسه ابراهيم ولم يزد على ذلك . رأيت فيه ما نصه « أم ترى فرنجية يمسك بعصا موسى السحرية » انتهى المقصود من كلامه . واحب ان انبه الكاتب خاصة وغيره من قراء الجريدة عامة الى ان عصا موسى ليست بسحرية وانما هي آية من آيات الله الكبرى وبرهان من الله تعالى على صدق نبيه موسى عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى في سورة طه: (وما تلك بيمينك يا موسى . قال هي عصاى أتوكأ عليها واهش بها على غمى ولى فيها مآرب اخرى . قال ألقها يا موسى . فالتقاها فاذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سعيدها سيرتها الاولى . واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء ، آية اخرى . لتريك من آياتنا الكبرى ) وقال تعالى في سورة النازعات ( فاراه الآية الكبرى . فكذب وعصى ) وقال تعالى في سورة النمل ( وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لذي المرسلون . الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم . وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ) وقال تعالى في سورة القصص ( وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الريب فدانك برهانان من ربك الى فرعون وملته انهم كانوا قوما فاسقين ) .

فالله تبارك وتعالى جعل عصا موسى حية عظيمة تسعى حين القاها موسى من يده . ثم اعادها الله تبارك وتعالى الى حالتها الاولى عصا حين اخذها موسى في يده والله على كل شئ قدير . وقد قال الله تعالى : (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) . وليست عصا موسى من قبيل السحر . والقول بانها سحرية هو قول

فرعون وملئه . قال الله تعالى في سورة الشعراء حاكيا قصة موسى معهم ( قال أولو جنتك بشئ مبین . قال فأت به ان كنت من الصادقين . فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبین . ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين . قال للملأ حوله ان هذا الساحر عليم . يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون ) وقال تعالى في سورة الاعراف ( قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين . فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبین . ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم . يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون ) وقال تعالى في سورة النمل ( فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبین . وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) وقال تعالى في سورة يونس ( فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبین . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ) وقال تعالى في سورة طه ( قال أجتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله ) الآية . وقال تعالى في سورة القصص ( فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آياتنا الاولين ) وقال تعالى في سورة الاعراف ( وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ) .

والقول بأن عصا موسى سحرية كفر باجماع اهل العلم لما فيه من تكذيب ما اخبر الله به عنها في سورة طه انها صارت حية تسعى . وما اخبر به عنها في سورتي الاعراف والشعراء انها صارت ثعبانا مبينا .

قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : اعلم ان من استخف بالقرآن والمصحف أو بشئ منه أو سبهما أو جحدته أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشئ مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما اثبتته على علم منه بذلك أو شك في شئ من ذلك فهو كافر عند أهل العلم باجماع انتهى . فقد صرح بتكفير من كذب بشئ مما صرح به في القرآن من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما اثبتته أو شك في شئ من ذلك وان ذلك اجماع اهل العلم . فليتنبه الكاتب وغيره لما ذكره القاضي عياض لئلا يقع احد منهم في الكفر وهو لا يشعر . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

هـ ١٣٩٦/٨/٢٢

حمود بن عبد الله التويجري



دراسات في

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ  
وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ



# الشعر

## في ضوء الشريعة الإسلامية

بحث كتبه

الشيخ محمد عبد الرحمن شميلة الاهدل

الطالب بقسم الدراسات العليا - شعبة السنة

بالجامعة الإسلامية

# فهرس البعث



- ١ - خطبة الكتاب
- ٢ - تعريف الشعر
- ٣ - مكانة الشعر العربي
- ٤ - ما ورد في تفسير آيات الشعراء
- ٥ - أضواء على الآيات وفوائد
- ٦ - القرآن الكريم وسر اعجازه
- ٧ - لاحاديث ان من البيان
- ٨ - نبذة من شعر حسان له صلى الله عليه وسلم
- ٩ - استنشاده واستماعه وما تمثل به منه وبيان أنه بمنزلة الكلام
- ١٠ - كراهة الشعر لمن غلب عليه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى كرم الانسان . وعلمه البيان فله سبحانه وتعالى جزيل الشكر  
وعظيم الامتنان ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها  
الفوز في يوم التناد ، وأدخرها سلم نجاة في يوم المعاد ، وأشهد أن سيدنا  
محمدأ عبده ورسوله أفصح من نطق بالضاد ، الذى بين للأمة سبل الهدى  
والرشاد . فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء ومن قفا  
إثرهم وترسم خطاهم . .

هو جمع جملة من الأحاديث الواردة  
في الشعر وتخرجها وشرحها بمقتطفات  
من أقوال أهل العلم .

### تعريف الشعر

الشعر في اللغة واحد الأشعار ، قال  
الراغب هو في الأصل اسم للعلم الدقيق في  
قولهم ليت شعري وسمى الشاعر شاعراً  
لفطنته ودقة معرفته (١)

وفي اصطلاح الادباء هو كما قال ابن  
خلدون (٢) « الكلام الموزون المقفى ،  
ومعناه الذى تتكون أوزانه كلها على  
روى واحد وهو القافية (١) قال وأساليب  
الشعر تناسبها اللوزعية وخطط الجذ بالهزل  
والاطناب في الأوصاف وضرب

وبعد . . فهذا بحث أقدمه بين أيدي  
القراء الكرام وموضوعه « الشعر في  
ضوء الشريعة الاسلامية » ولقد اخترت  
هذا الموضوع بالذات لما يلي :

طالما سمعت من يردد قول الله عز  
وجل « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر  
أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون  
ما لا يفعلون » ويقف بعضهم عند هذه  
الآية مدلاً على أن القرآن ذم الشعراء  
وشعرهم فيكون بتعميمه هذا محطناً وكأنه  
لم ينتبه للاستثناء الوارد بعد هذه الآيات  
ولم يعرف من هو المقصود بالذم .  
لذا اخترت الكتابة في هذا الموضوع  
بالرغم من قصر باعى وكثرة اشغال  
وبالله الاعانة ، والأهم في هذه الرسالة

الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات  
قلت : ومن هنا نعرف الفرق بين  
الشعر والنثر حيث أن الأول يعتمد  
على الوزن والقافية ويكسو المعاني من  
جمال التشبيه وحسن الاستعارة وبراعة  
الكناية وضروب المجاز حللاً خيالية  
بخلاف الثاني . والغرض المقصود من  
توحيد الوزن والقافية الحفاظ على جرس  
اللفظ لسلاسته في النطق وخفته على  
السمع والارتياح لقبوله .

وربما أطلق العرب الشعر على النثر  
المسجوع المشتمل على الخيال المؤثر  
في الوجدان ، ومنه ما ورد أن حسان بن  
ثابت رضى الله عنه سمع ابنه يصف  
زنبوراً لسمع بقوله « كأنه ملتفٌ في يزدى  
حبره » فقال له شعر ورب الكعبة .

والشعر عند العرب صفة قديمة لهم  
ولا يمكن تحديد بدء ظهوره فإنه ما سمع  
في التاريخ القديم الا وهو محكم مقصد  
وان كان تهذب أسلوبه وتشعبت مناحيه  
وتطور فنه حينما اختلفت العُصُر وبدت  
الحوادث ورتقي بنى الانسان في عالم المادة .

قال الأديب الكبير احمد حسن الزيات  
ومما يدل على أن الشعر قديم العهد  
قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل القديم لعانا  
نبكى الديار كما بكى ابن حزام  
وقول عنتره :  
هل غادر الشعراء من متردّم .  
وقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معاراً  
أو معاراً من قولنا مكروراً (١)

### مكانة الشعر العربي

مما لا شك فيه ان كثيراً من الشعر  
العربي له اليد الطولى في المساهمة في  
تفسير كثير من ألفاظ الشريعة الواردة  
في الأصولين العظيمين والمصدرين الكريمين  
الكتاب والسنة إذ بواسطة الشواهد  
والأدلة من الأدب العربي نستعين على  
فهم كتاب الله الكريم وسنة صاحب  
الخلق العظيم .

وبواسطته بحث علماء اللسان الأساليب  
المختلفة والتراكيب المتنوعة في الشعر  
العربي فأرسوا قواعدهم وأصلوا أصولهم  
مستقين من معينه ومستضيئين بنور  
مصباحه .

قال الاستاذ محمد أمين حنفى في موضوع  
الأدب الاسلامى مستعرضاً الأسباب  
التي اقتضت محافظة المسلمين على الأدب

الجاهلي ما نصه : « والذي يعن لى في تمسك المسلمين بالأدب الجاهلى عدة أسباب ، فالسبب الأول هو حاجة مفسرى القرآن الكرىم إلى شواهد وأدلة من كلام العرب القديم على صحة التفسير والفهم لكلام رب العالمين ، والسبب الثانى هو بحث النحاة واللغويين في عصر التدوين ووضع قواعد اللغة العربية عن الشعر الجاهلى وعن كل كلامٍ عربى قديم وحياتهم وتسجيلهم لكل ما نقلوه أو سمعوه من أجل استنباط القواعد ومعرفة معاني الكلمات . والسبب الثالث هو اقتداء الشعراء بالشعر الجاهلى وروايتهم له وتقليدهم إياه لأنه كان هو المقياس للقيمة الأدبية لدى النقاد والعلماء في ذلك الوقت .

ويضاف الى ذلك سبب رابع هو ظهور الصراع الشعوبى بين العرب وغيرهم من بعض الأعاجم مما دفع العرب والمسلمين المخلصين إلى التمسك بالتراث العربى وبلغة القرآن والدفاع عنه والتعصب له والتنديد بالشعراء الذين يخرجون على عمود الشعر الجاهلى ولذلك كان للشعر العربى الجاهلى مكانته في النفوس وقيمه لدى العلماء والأدباء مما جعله يحتفظ بعموده وأساليبه ومعانيه دون أن يجرؤ أحد على النيل من مكانته

أو قيمته وان كان يحوى كثيراً مما لا يرضى به الاسلام كالغزل بنوعيه والتشبيب والنسيب والهجاء ، وعلان الفجور والمجون ووصف مجالس اللهو والشراب وما إلى ذلك من الأمور المنكرة » (١) .

قلت ومما لا يحمله كل الناس أن الشعر له الأثر الطيب في اعانة طلاب العلم وحملة الشريعة على جمع ما تفرق ونظم ما تشتت من العلوم والفوائد بل وسائر الفنون فانه ما من فن من فنون القرآن والحديث وعلوم اللغة الا وقد نظمت فيه المناظير وقيلت فيه الأشعار فسهل حفظها على الصغار والكبار وللوسائل حكم المقاصد كما هو معروف .

وأنا لست من المتعصبين للشعراء ولا المبررين لزلات الشعر وهفوات شعرائه ولكنى أقول إنه أداة من أدوات الفنون قابل للخير والشر حسنه حسن وقبيحه قبيح كسائر الكلام بيد أن الأشعار الجاهلية والقصائد الأولية التى قيلت في زمن الاحتجاج بأهلها لها الفوائد القيمة التى أشرنا إليها حتى وان كانت هجواً مقذعاً أو غزلاً مكشوفاً أعنى من حيث أنه اسلوب عربى فما يمنعنا والحالة هذه أن نجنى من ثمار أشجاره ما طاب ونترك منها ما خبث من توجيه غير

حسن أو دعوة إلى غير القيم المثلى ،  
أو افتخار بنزعةٍ من نزعات الجاهلية  
الأولى .

ولذا يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه  
الشعر والشعراء ما نصه :

« وكان أكثر قصدى للمشهورين  
من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل  
الأدب والدين يقع الاحتجاج بأشعارهم  
في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله  
عز وجل وحديث رسول الله صلى الله  
عليه وسلم (١) » .

قلت - والمتتبع لعلماء السلف والخلف  
يجد أن أكثرهم قد أدلى بدلوه في هذا  
المضمار ونظم جيد الأشعار ولكنهم  
يتفاوتون في القلة والكثرة وإنما اتصف  
بعضهم بالشاعر أو الأديب لكونه صار  
ديدنه والظاهرة التي تغلب عليه أو  
لنبوغه فيه وتفوقه على أقرانه يدل على  
ما ذكرناه ما سجله ابن قتيبة في كتابه  
الشعر والشعراء حيث يقول « قل أحد  
له أدنى ملكة من أدب وله أدنى حظ  
من طبع إلا وقد قال من الشعر شيئاً  
ولو أردنا أن ندون في كتابنا هذا كل  
شاعر لذكرنا أكثر الناس ولا حتجنا  
أن نذكر صحابة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وجملة التابعين وقوماً كثيراً

من جملة العلم ومن الخلفاء والأشراف  
ونجعلهم في طبقات الشعراء .

إذاً فالشعر قيمته وللشعراء رتبهم العالية  
لأنهم حفظوا لسان العرب وغاصوا  
على مكنونات مخدراته حتى أن بعضهم  
قيل فيه لولا فلان لضاع ثلث اللغة  
وناهيك بهذه المفخرة ، قال عبد الرحمن  
البرقوقي في مقدمته لشرح التلخيص  
ما لفظه : « وهل بلغ أمة الدين هذه المنزلة  
بفهم أغراض القرآن ومعرفة اسرار  
الشريعة الا بعد ان قبضوا على خرائم  
الأدب والقيت اليهم مقاليد اللغة ألم يكن  
مما نجم عند تعدد الآراء بينهم أن كان  
أحدهم يروى من كلام العرب ما يروى  
الآخر غيره (٢) .

هذا لفظ القرء مثلاً ذهب مالك رحمه  
الله الى أنه الطهر وحجته في ذلك قول  
الاعشى .

أفي كل عام انت جاشم غزوة

تشد لاقصاها عزم عزائك

مورثة مالا وفي الحى رفعة

لما ضاع فيها من قروء نساك

وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى انه

الحَيض ومستنده قول الآخر :

يارب ذى ضغن على قارض

يرى له قرء كقرء الحائض



قال ومثل هذا كثير لا يكاد يحصيه الاستقصاء حتى لقد اختصه العلماء بالتأليف وافرده بالكتاب .

ثم ذكر قصة معزوة الى الفاروق رضى الله عنه وخلصتها أن عمر تلا قول الله سبحانه وتعالى : « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم على تخوف » (١) فقال للصحابة ماتقولون فيها فنهض أعرابي وقال هذه لغتنا التخوف التنقص وانشد قول ابي كبير يصف ناقته :

تخوف الرحل منا تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن (٣)

فقال عمر رضى الله عنه عليكم بديوان العرب فان فيه تفسير كتابكم . قلت وقد روى عن عمر بن الخطاب أيضا انه كتب الى ابي موسى الاشعري : مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معاني الاخلاق و صواب الرأى ومعرفة الأنساب . قال شيخنا محمد المجذوب في تعليقه على هذا الاثر ولعله رضى الله عنه راعى ما فيه من تسجيل عاداتهم واخلاقهم

وتاريخ وقائعهم واياهم وما اودعوه من معادن حكمتهم وكنوز آدابهم (٣) . وما قال شيخنا يضاف الى ماسبق من أنه مفسر لكثير من الفاظ القرآن وغريب الحديث ويقع به الاحتجاج في النحو وغيره من علوم اللسان كما سبق النقل عن ابن قتيبة والله اعلم .

ما ورد في تفسير آيات الشعراء قال الله سبحانه : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» .

القراءة :

« والشعراء » قرأ الجمهور بالرفع على أنه مبتدأ وخبره ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الشعراء بالنصب على الاشتغال ، وقرأ نافع « يتبعهم » بالتخفيف وقرأ الباقر بالتشديد . وقرأ ابن عباس والحسن وأى منفلت ينفلتون بالفاء مكان القاف والتاء مكان الباء من الانفلات بالنون والفاء الفوقية . وقرأ الباقر بالقاف

١ - سورة النحل ٤٧

٢ - تامكا سناما عظيما . والقرد الذى امله القراد والسفن الحديد الذى ينحت به وهو المبرد يقول - ان الرحل اثر سنام الناقة وتنقص منها كما ينقص السفن من العود

٣ - مذكرة فى الادب لطلاب كلية الشريعة

معلّياً من الانقلاب بالنون والقاف  
والموحدة والمعنى على قراءة ابن عباس  
والحسن : أن الظالمين يطمعون في  
الانفلات من عذاب الله والانفكاك منه  
ولا يقدرّون على ذلك (١) .

عن عكرمة عن ابن عباس « والشعراء  
يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ  
يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون  
ففسخ من ذلك واستثنى فقال « الا الذين  
آمنوا - إلى قوله ينقلبون .

اخرجه ابو داود في الأدب والبخارى  
في الأدب المفرد .

المفردات

الشعراء جمع شاعر كجاهل وجهلاء  
وعالم وعلماء والغاوون جمع غاو وهو  
الضال ، يهيمون يقال هام يهيم هيماً  
وهيماً اذا ذهب على وجهه .

سبب النزول قال السيوطي :

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من  
طريق العوفي عن ابن عباس قال تهاجى  
رجلان على عهد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر  
من قوم آخرين وكان مع كل واحد  
منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأُنزل

الله « والشعراء يتبعهم الغاوون » الآيات  
قال واخرج ابن أبي حاتم نحوه (١) :  
قال ابن كثير وأخرج ابن أبي حاتم قال  
حدثنا أبي حدثنا ابو مسلم حدثنا حماد  
ابن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة  
قال لما نزلت « والشعراء يتبعهم الغاوون »  
إلى « قوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون »  
قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد  
علم الله أي منهم فأُنزل الله تعالى « الا  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات » الآية  
ثم قال ولكن هذه السورة مكية فكيف  
يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء  
الانصار وفي ذلك نظر ولم يتقدم الا  
مرسلات لا يعتمد عليها والله اعلم (٢)

معنى الآيات الكريّمات

قال الشوكاني قوله عز وجل « والشعراء  
يتبعهم الغاوون » المعنى أن الشعراء يتبعهم  
أى يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون  
من جملتهم الغاوون - أى الضالون عن  
الحق ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل  
فقال « ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون »  
والجملة مقدرّة لما قبلها والخطاب لكل  
لكل من تنأى منه الرؤية « أى ألم تر أنهم  
في كل فنٍ من فنون الكذب يخوضون  
وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون  
فتارة يمزقون الاعراض بالهجاء وتارة

١ - فتح القدير ج ٤ - ص ١٢١-١٢٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٢ - لجام التقول فى اسباب النزول بها من الجليلين ص ٢٣٧ - ج ٢

٢ - ج ٣ - ص ٣٥٤ - دار احياء التراث العربى

يأتون من المجون بكل ما يمججه في  
السمع ويستقبجه العقل وتارة يخوضون  
بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق  
ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل  
المحرمات ويدعون الناس إلى فعل  
المنكرات كما تسمعه في أشعارهم من  
مدح الخمر والزنا واللواط ونحو هذه  
الردائل الملعونة ثم قال سبحانه « وأنهم  
يقولون ما لا يفعلون » أى يقولون فعلنا  
وفعلنا وهم كذبة في ذلك فقد يدلون  
بكلامهم على الخير ولا يفعلونه وقد  
ينسبون إلى أنفسهم من أفعال الشر  
ما لا يقلرون على فعله كما تجده في كثير  
من أشعارهم من الدعاوى الكاذبة  
والزور الخالص المتضمن لقذف المحسنات  
وأنهم فعلوا بين كذا وكذا وذلك كذب  
محضن واقتراء بحت .

ثم استثنى سبحانه الشعراء المؤمنين  
الصالحين الذين أغلب أحوالهم تحرى  
الحق والصدق فقال « الا الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات » أي دخلوا في  
حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم الصالحة .  
« وذكروا الله كثيرا » في أشعارهم .  
وانتصروا من بعد ما ظلموا - كمن يهجو  
منهم من هجاه أو ينتصر لعالم أو فاضل  
كما كان يقع من شعراء النبي صلى الله

عليه وسلم فإنهم كانوا يهجون من  
يهجوه ويحامون عنه ويذبون عن عرضه  
ويكافحون شعراء المشركين وينافحونهم  
ويدخل في هذا من انتصر بشعره لأهل  
السنة وكافح أهل البدعة وزيف ما يقول  
شعراؤهم من مدح بدعتهم وهجو  
السنة المطهرة كما يقع ذلك كثيرا من  
شعراء الرافضة ونحوهم فان الانتصار  
للحق بالشعر وتزييف الباطل به من  
أعظم المجاهدة وفاعله من المجاهدين  
في سبيل الله المنتصرين لدينه القائمين  
بما أمر الله بالقيام به وتصرف (١)

وقال الزمخشري : استثنى الشعراء  
المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر  
الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب  
عليهم من الشعر واذا قالوا شعراً قالوه  
في توحيد الله والثناء عليه والحكمة  
والموعظة والزهد والآداب الحقة ومدح  
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة  
وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني  
التي يتلطفون فيها بذنب ولا يتلبسون  
بشائنة منقصة وكان هجاءهم على  
سبيل الانتصار ممن يهجوهم (٢) .

أضواء على الآيات وفوائد تتعلق بها  
إذا أنعمنا النظر في هذه الآيات الكريمة

قال المناوي رحمه الله وقد انعقد  
الاجماع على حل قول الشعر إذا قل  
وخلا عن هجوٍ وكذب واغراق في  
مدح وتغزل فيما لا يحل (١) .  
فوائد :

الفائدة الأولى - وصف الله الشعراء بأنهم  
يقولون ما لا يفعلون فاختلف العلماء  
فيما إذا أقر الشاعر في شعره بارتكاب  
حد من حدود الله فهل يقام عليه الحد  
بحسب إقراره أم لا . لأن الله عز وجل  
قد وصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون  
ولأنه يكثر الباطل في أشعارهم : قولان  
لأهل العلم .

قال بعضهم يقام عليه الحد لأنه مكلف  
أقر بجرمة ارتكبتها فلا سبيل إلى تركه  
والاقرار تثبت به الحدود .

وقالت طائفة أخرى إنه لا يقام  
عليه الحد ان أقر بموجبه في الشعر -  
قالوا لأن كذب الشاعر في شعره أمر  
معروف معتاد واقع لا نزاع فيه .

قال شيخنا محمد الامين الشنقيطي (٢)  
أظهر القولين عندي أن الشاعر إذا أقر  
في شعره بما يستوجب الحد لا يقام عليه  
الحد لأن الله جل وعلا صرح هنا بكذبهم  
في شعرهم في قوله « وأنهم يقولون ما لا  
يفعلون » فهذه الآية الكريمة تدرأ عنهم

وما تضمنه سياقها المحكم نجد أنها  
قسمت الشعراء قسمين ووضعهم طبقين  
الأول - قسم غاؤون . مائلون عن  
الطريق السوي ، والمنهج الأدبي لأنهم  
لا ينطقون بالحق ، ولا يتكلمون بالعدل  
فتراهم في كل وادٍ يهيمون ، وفي  
شعاب الكذب والزور يتيهون ، لا يزنون  
الكلام الا بميزان الهوى ، ومعيار  
الغواية، فهؤلاء هم المذمومون وعن طريق  
الحق متنكبون وعلى جياذ الضلالة  
راكبون ، إن أعطوا منها رضوا وان  
لم يعطوا منها اذا هم يخطون .

القسم الثاني : فريق آمنوا بربهم واهتدوا  
بنور نبينهم عليه الصلاة والسلام فسابقوا  
إلى الأعمال الصالحات ، وأخلصوا  
لله النيات ووزنوا اشعارهم بميزان  
الشريعة فهم لا يهجون الا من هجاهم  
ولا يمدحون الا من يستحقه لغناؤه في  
الاسلام أو يذوبون عن حياض الدين  
وينافحون عن شريعة سيد المرسلين أو  
يجمعون العلوم الشرعية النافعة وينظمونها  
لتحصل من ذلك الفائدة ويسهل تناولها  
على الآخذين ويحفظها الطلاب فهؤلاء  
ونحوهم ممن يخرج من عموم لفظ الشعراء  
ويدخل في فريق المستثنى ، وعلى  
هاذين تنزل الأحاديث الواردة في ذم  
الشعر تارة ومدحه أخرى .

الحد ولكن الأظهر أنه ان أقر بذلك استوجب باقراره به الملام والتأديب وان كان لا يحده به .

واستأنس شيخنا لما ذهب إليه بما روى ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة حيث قال وذكر محمد بن اسحاق ومحمد بن سعد في الطبقات والزيير بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها

بميسان يسقى في زجاج وحنتم  
إذا شئت غنتي دهاقين قرية

ورقاصة تجذو على كل منسم  
فان كنت ند ماني فبالأكبر اسقني  
ولا تسقني بالأصغر المتثلثم

لعل أمير المؤمنين يسوءه

تناد منا بالجوسق المتهدم  
قال فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال إى والله إنه ليسوعني ذلك ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته وكتب اليه عمر « بسم الله الرحمن الرحيم » تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

١ - الكشاف - ص ١٢٣ - ج ٢

غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب  
ذى الطول لا إله الا هو إليه المصير «  
أما بعد فلقد بلغنى قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمنا بالجوسق المتهدم ل

وايم الله إنه ليسوعني وقد عزلتك فلما قدم على عمر بكتته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذلك الشعر الا شئ طفح على لساني فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لى عملاً أبداً وقد قلت ما قلت .

قال شيخنا فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكنه ذمه عمر ولامه على ذلك وعزله به قلت وقد احتج الفرزدق بهذه الآية الكريمة عند الخليفة سليمان بن عبد الملك حينما سمع قوله .

فبتن بجانبى مصرعات

وبت أفض أغلاق الختام

فقال سليمان قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله « وانهم يقولون ما لا يفعلون » (١) قال كاتبه غفر الله له الظاهر أنه لا يقام عليه الحد لما سبق ولأن النبى صلى الله عليه وسلم « قال ادروا الحدود بالشبهات (٢) فيكون تعلق الشاعر المقر

٢ - أخرجه البيهقي من طريق علي موقوفاً والترمذي والحاكم عن عائشة بلفظ «ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم» سبيل السلام ص ٥٣/٤

بموجب الحد بهذه الآية الكريمة من أقوى الشبه الدارئة للحد عنه والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفائدة الثانية :

قال ابن العربي أما الاستعارات والتشبيهات فمأذون فيها وان استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يقرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد أنشد كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم .

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول

متميم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت

كأنه منهل بالراح معلول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر عليه حتى في تشبيه ريقها بالراح .

وقد كانت حرمت قبل إنشاده لهذه القصيدة ولكن تحريمها لم يمنع عندهم طيبها بل تركوها على الرغبة فيها والاستحسان لها فكان ذلك أعظم لأجورهم (١) .

الفائدة الثالثة - قال الحافظ ابن حجر وأما الشعر فكان نظمه محرماً على الرسول عليه الصلاة والسلام باتفاق : قال الله عز وجل « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » (٢)

قال لكن فرق البيهقي وغيره بين الرجز وغيره من البحور فقالوا يجوز له الرجز دون غيره وفيه نظر فان الاكثر على أن الرجز ضرب من الشعر وانما ادعى أنه ليس بشعر الأخفش وانكره ابن القطان وغيره وانما جرى البيهقي لذلك ثبوت قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . فإنه من بحور الرجز ولا جائز أن يكون مما تمثل به كما سيأتي لأن غيره لا يقول أنا النبي ويزيل عنه الاشكال أحد أمرين : إما أنه لم يقصد الشعر فخرج موزوناً وقد ادعى ابن القطاع وأقره النووى الاجماع على أن شرط تسمية الكلام شعراً أن يقصد له قائله وعلى ذلك يحمل ما ورد في القرآن والسنة واما أن يكون القائل الأول قال أنت النبي لا كذب ، فلما تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم وغيره والأول أولى . هذا كله في انشائه ويتأيد ما ذهب إليه البيهقي بما أخرجه ابن سعد بسند صحيح

١ - انظر احكام القرآن ج ٣ - ص ١٤٣٠ -

٢ - انظر التلخيص الحبير ج ٣ / ١٢٨

الاطلاق ومنزلته أعلى المنازل بالاتفاق  
القران الكريم وسر اعجازه

جرت العادة الالهية في خلقه أن يبعث  
إلى كل أمة نبياً مؤيداً بمعجزة خارقة  
من جنس ما فاقت به تلك الأمة  
وامتازت به على غيرها من الأمم .

وحين ولد الهدى وآن لديجور الجاهلية  
أن ينجلي وحن لنور الاسلام أن ينبثق  
في قلب الجزيرة العربية مطارداً ظلمات  
الغواية . بعث الله تعالى نبي الرحمة عليه  
الصلاة والسلام في أمة امتازت بالبيان  
حيث مدت عليهم الفصاحة ظلها  
وأهدتهم بنات البلاغة حليها فكانوا  
ينبوع الفصاحة ودوحة البلاغة وكان  
جهابذة الفصحاء منهم أهل مكانة مرموقة  
ورتب مرفوعة .

فأيد الله نبيه وخليله بمعجزة القرآن  
فما إن تلاه عليهم ذلك النبي الأمي  
وطرقت آذانهم آياته وسوره حتى وقفوا  
مع فصاحتهم أمامه ذاهلين وأيقنوا  
أن البشر لا يقوون على النسيج على منواله  
ولا الابداع على مثاله ، هز قلوب بلغائهم  
نظمه ولم تقو فرسان البيان على مسابقتة .

هناك وقف العباقرة أمامه حائرين  
لأنه من كلام العلي القدير كتاب أحكمت  
آياته ثم فصلت من هدى حكيم خبير .  
جاء القرآن بألفاظ عربية وتراكيب  
معهودة لدى المخاطبين فجاراهم في

عن معمر عن الزهري قال لم يقل النبي  
صلى الله عليه وسلم شيئاً من الشعر قيل  
قبله أو يروى عن غيره الا هنا . وهذا  
يعارض ما في الصحيح عن الزهري  
أيضا لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه  
وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه  
الآبيات زاد ابن عائد من وجه آخر  
عن الزهري إلا الآبيات التي كان يرتجز  
بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد وأما  
انشاده متمثلاً فجائز ويدل عليه حديث  
عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله  
عليه وسلم ، قال : ما أبالي شربت تريباً  
أو تعلقت بتميمة أو قلت الشعر من  
قبل نفسي أخرجه ابو داود وغيره .

فقوله من قبل نفسي احتراز عما إذا  
أنشده متمثلاً فقد وقع منه ذلك كما  
ثبت في الأحاديث الصحيحة .

إذا علمت هذا عرفت ان الرسول  
الأمين لم يكن من أولئك الذين يقولون  
القصائد أو يجتذبهم حفظ الشعر ولا  
من الذين يتتبعون مواقعه ويغرمون  
بنغماته وتواقيعه .

كان الرسول الكريم ذلكم النبي الأمي  
بعيداً كل البعد عن مثل هذه الأمور  
لأنه مهياً لسماع النغمات القدسية  
والألفاظ الربانية لسماع الوحي المعظم .  
لذا لم يكن شاعراً وما ينبغي له . إذ  
رتبه التي هي لها أسمى المراتب على

أساليبهم وخاطبهم بجنس ما يتخاطبون به بيد أن الذى استرعى انتباههم واستولى على مشاعرهم حتى أدرك الكثير منهم أنه ليس بقول الشعراء ولا سجع الكهنة وان كان قد قالها بعضهم على سبيل العناد والمكابرة — الذى استرعى انتباههم أمور نلخصها فيما يلى : —

اولاً — تفرده بسمو التركيب وعلو الطريقة — فتراكيبه أعلا التراكيب وأرفعها وطريقته هى الوحيدة فى سموها وقوتها .

ثانياً — امتيازه بالدقة البالغة فى اختيار اللفظ لموقعه الذى أريد له والروعة المعجزة فى اختياره الى غير ذلك من اسرار الاعجاز وحسبك أنه قد ألف فيه المؤلفات قديما وحديثا .

ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة  
والامر بهجاء المشركين

الحديث الأول :

عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحرا (١) .

معنى الحديث — إن بعض البيان يكشف الحقيقة ويوضح المشكل فيستميل القلوب ويجذبها كما يستمال بالسحر .

وهذا الحديث قاله عليه الصلاة والسلام حين قدم وفد تميم وفيه الزبيرقان وعمرو ابن الاهم فخطبا ببلاغة وفصاحة ثم فخر الزبيرقان فقال يا رسول الله أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم والمجيب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمرو إنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى اذنيه ، فقال الزبيرقان : والله لقد علم منى اكثر مما قال ما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمروأنا أحسدك والله انك للئيم الخال حديث المال ضيق العطن أحقق الولد والله

يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت ثانيا ، ولكنى رجل اذا رضيت قلت أحسن ما علمت واذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت فى الأولى والأخرى جميعا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا »

قال الميداني — هذا المثال فى استحسان النطق وايراد الحجة البالغة (٢) .

١ - أخرجه احمد فى مسنده، البخارى فى صحيحه وابو داود والترمذى ووجه المطابقة بين الحديث والترجمة أن البيان اعم من كونه نثرا فيدخل فيه الشعر — لما يشتمل عليه من اوجه البيان وصفوف التشبيهات والمحسنات التى تجذب ..  
٢ - الميدانى - مجمع الامثال والزرقانى - فيض القدير ٥٢٤/٢



الحديث الثاني :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن  
من البيان سحرا وان من الشعر حكما »  
وفي رواية إن من الشعر لحكمة (١) .

والمعنى أنه ليس كل شعر غواية بل  
منه ما يتضمن اقامة الحق والحث على  
الخير ، كانت العرب تطلق اسم الحكمة  
على قوة جامعة لرزانة العقل والرأى  
وشرافة الخلق ومن هذا سمو الرجل  
العاقل المهذب حكيما . وكذا يطلقونها  
على فصل الخطاب وهو القول الواضح  
عند العقل والقلب والحكم والقضاء حقا  
كان أو باطلا قال تعالى : « ما لكم  
كيف تحكمون أفحكم الجاهلية يبغون »  
قال النووي في تعريف الحكمة فيها  
أقوال مضطربة وقد صفا لنا منها أن  
الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالاحكام  
المشتمل على المعرفة بالله تعالى بنفاذ  
البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق  
والعمل به والصبر عن الهوى والباطل  
وقد اتفق العلماء على مدح الايجاز  
والايتان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة  
وعلى مدح الاطناب في مقام الخطابة

بحسب المقام . نعم الافراط في كل شىء  
مذموم وخير الأمور أوسطها (٢) .

الحديث الثالث :

عن البراء قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لحسان بن ثابت « اهجهم  
وهاجهم وجبريل معك » متفق عليه وعن  
أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سمع  
حسان بن ثابت الأنصارى يستشهد  
أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول يا حسان  
أجب عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم اللهم أيده بروح القدس قال  
ابو هريرة نعم - أخرجه مسلم وعن  
أنس بن مالك أن رسول ابن صلى الله  
الله عليه وسلم قال : جاهدوا المشركين  
بأنفسكم وأموالكم وألستكم - أخرجه  
ابو داود .

عن كعب بن مالك حين أنزل الله  
تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى  
النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله  
تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد  
علمت وكيف ترى فيه فقال النبي  
صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد  
بسيفه ولسانه - أخرجه أحمد .

١ - أخرجه احمد فى مسنده ، و ابو داود فى سننه من طريق ابن عباس والمجمله الثانية ثابتة  
فى البخارى بلفظ ان من الشعر لحكمة من طريق ابى قاله الزرقانى ٢٤/٢  
وانظر ابن حجر فتح - ٢٠٢/١٠ باب ان من البيان سحرا  
٢ - ابن حجر فتح ٢٠٢/١٠

واستمع الرسول إلى بعض هجائه لهم فقال « لهذا أشد عليهم من وقع النبل » .

وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى » وما ذلك الا أنه لم يكن يهجو قريشاً بالكفر وعبادة الأوثان إنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثلاب وهذا طبيعي لأنهم كانوا مشركين فعلاً فلو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغاً . وبحق سمي حسان شاعر الاسلام وشاعر ورسوله الكريم فقد عاش يناضل عنه أعداءه من قريش واليهود ومشركي العرب رامياً لهم جميعاً بسهام مصمية :

نبذة عن شعر حسان :

قدم على الرسول وفد بني تميم فقال حسان يرد على شاعر هذا الوفد الزبرقان بن بدر مادحاً للمهاجرين مدحاً رائعاً يقول في تضاعيفه :

إن النوائب من فھر واخوتھم  
قد بینوا سنةً للناس تتبع  
یرضی بها کل من كانت سریرتھ  
تقوی الالھ وبالامر الذی شرعوا

وفي رواية له والذي نفسى بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت « استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ينسبتي فقال لأسلنك منهم كما تسلي الشعرة من العجين » متفق عليه وعن هشام عن أبيه قال ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت لا تسبه فانه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجه الاسماعيلي .

في هذه الأحاديث جواز الشعر بل استحبابه إذا كان هادفاً إلى صالح الاسلام وتدعيم الدعوة الاسلامية ورفع صرحها ونقض مباني الشرك وعبادة الأوثان .

دخل حسان بن ثابت رضى الله عنه في الاسلام حتى إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول وصحبه من المسلمين انبرى لهم بلاذع هجائه وكان رسول الله يحثه على ذلك ويدعو له بمثل « اللهم أيده بروح القدس » .

ولما قال له الرسول كيف ينسبتي قال له لأسلنك منهم كما تسلي الشعرة من العجين . فكان يهجوهم بأفعالهم وبما يختص عاره بهم .

إن كان في الناس سباقون بعدهم  
فكل سبق لأدني سبقهم تبع  
أهدى لهم مدحى قلب يؤزره  
فيما أراد لسان حائك صنع  
وورد أنه كان ينشد الرسول شعره  
في المسجد .

ومن هنا تعرف أن القرآن إنما يهاجم  
شعراء المشركين الذين كانوا يهجون  
الرسول ويشبطون عن دعوته فالقرآن  
لم يهاجم الشعر من حيث أنه شعر وإنما  
هاجم شعراً بعينه كان يؤذى الله ورسوله  
وهو نفسه الذى قال فيه الرسول الكريم  
لأن يمتلى جوف أحدكم قبحاً خير له  
أن يمتلى شعراً

ويقول حسان من همزيته التي أجاب  
فيها أبا سفيان بن الحارث وقد استهلها  
بمطلع غزلى جميل

عفت ذات الا باطح فالجواء  
إلى عذراء منزلها خلاء  
إلى أن يقول :

عدمنا خيلنا إن لم تروها  
تثير التقع موعدها كداء (١)

يبارين الأسنة مصعدات  
على أكتافها الأسل الظماء (٢)  
تظل جيانا متمطرات  
تلطمهن بالخمير النساء (٣)  
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا  
وكان الفتح وانكشف الغطاء (٤)

والا فاصبروا بلجلاد يوم  
يعز الله فيه من يشاء (٥)  
إلى أن يقول :

الا أبلغ أبا سفيان عني  
فأنت مجوف نخب هواء (٦)  
بأن سيوفنا تركتك عبداً  
وعبد الدار سادتها الاماء (٧)

هجوت محمداً فأجبت عنه  
وعند الله في ذاك الجزاء  
أتهجوه ولست له بكفء  
فشركما لخير كما الفداء

فمن يهجو رسول الله منكم  
ويمدحه وينصره سواء  
فان أبي ووالده وعرضي  
لعرض محمد منكم وقاء

١ - النقع - غبار الحرب - كداء موضع باعلى مكة وهو غير كدى بالضم

٢ - مصعدات : سرعات فى الصعود - الأسل الرماح الجيدة

٣ - متمطرات مسرعات متحفزات

٤ - الفتح يعنى فتح مكة

٥ - الجلاد المصايرة فى القتال

٦ - مجوف : فارغ نخب : جبان هواء فارغ

٧ - عبدالدار : أخو عبد مناف وحسان يهجو بنى عبد الدار لان النبى صلى الله عليه وسلم من

بنى عبد مناف \*

يسلم توفي بالطائف في السنة الثانية وقيل  
في التاسعة « ومن شعره :

كل دين يوم القيامة عند الله  
إلا دين الحنيفة زور  
ومن شعره :

إن تغفر اللهم تغفر جما  
وأى عبد لك لا ألما (٣)

قوله « هيه هيه » أصله ايه أبدلت الهمزة  
بالهاء ، اسم فعل بمعنى الأمر تقول  
للرجل إيه بغير تنوين إذا استزدته من  
الحديث المعهود بينكما فاذا نونته استزدته  
من حديث ما لأن التنوين للتنكير .

قوله « أن كاد » مخففة من الثقيبة  
أى قارب الاسلام ولم يسلم . وفي رواية  
آمن لسانه وكفر قلبه .

(٢) عن خالد بن كيسان قال كنت عند  
ابن عمر فوقف عليه إياس بن خثيمة  
قال ألا أنشدك من شعري يا ابن  
الفاروق قال بلى ولكن لا تشدني  
إلحسناً فأنشده حتى إذا بلغ شيئاً كرهه  
ابن عمر قال له أمسك (٤) .

والموضوع طويل وحسبنا ما ذكرنا  
على سبيل المثال .

وقد ذكر البخارى في ( باب من  
استنشد الشعر وما سمعه النبي صلى  
الله عليه وسلم منه وما تمثل به وبيان  
أنه بمنزلة الكلام )

(١) عن عمرو بن الشريد عن أبيه  
قال استنشدني النبي صلى الله عليه  
وسلم شعر أمية ابن أبي الصلت وأنشدته  
فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يقول  
هيه هيه « حتى أنشدته مائة قافية فقال  
« إن كاد ليسلم » (١) .

ترجمة أمية :

هو أمية بن عبد الله بن ربيعة الثقفي .  
وعتبه وشيبة أبناء خاله ولذلك كان  
قتلى بدر بقصيدته المشهورة ممن  
حرم الخمر وتجنب الأوثان والتمس  
الدين وطمع في النبوه لأنه قرأ في الكتب  
أن نبياً يبعث في الحجاز فرجا أن  
يكون هو . (٢) .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم  
حسده وبلغ به الحسد الى حد الجحود فلم

١ - أخرجه البخارى في الادب المفرد وأخرجه مسلم في كتاب الشعر آخر كتاب الحيوان وابن  
ماجه في الادب والدارمي في الاستئذان وابن خزيمة في التوحيد والطحاوي في الكراهية واحمد  
في مسند ابن عباس

٢ - قال الثوبى في الحديث جواز انشاء الشعر الذى لا فحش فيه وسماعه سواء شعر الجاهلية  
وغيرهم وان المذموم من الشعر الذى لا فحش فيه انما هو الاكثار منه وكونه غالباً على الاتسار

فاما يسيره فلا بأس بانشاده وسماعه وحفظه .. شرح مسلم ١٢/١٥

٣ - تاريخ الادب الغربى ص ٧٥

٤ - أخرجه البخارى في الادب المفرد في باب ان من الشعر حكمة قال حدثنا عبدالله بن  
محمد قال حدثنا ابو عامر قال حدثنا ايوب بن عن خالد هو ابن كيسان - الحديث ص ٢٢٢

(٣) عن قتادة سمع مطرفاً قال صبحت  
عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة  
فقلّ منزل يتزله إلا وهو ينشدني  
شعرا وقال إن في المعارض مندوحة  
عن الكذب (١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال أشعر كلمة  
تكلمت بها العرب كلمة لييد « الا كل  
شئ ما خلا الله باطل وفي رواية  
أصدق كلمة « متفق عليه

المراد بالكلمة هنا القطعة من الكلام  
كما قال سبحانه كلا إنها كلمة هو  
قائلها اشارة الى قول الكافر رب ارجعون  
لعلى أعمل صالحاً فيما تركت .

ترجمة لييد

هو لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر  
بن كلاب يكنى أبا عقيل قدم على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني  
كلاب فأسلم ثم رجع إلى بلاده وقطن  
بالكوفة ومات بها عاش مائة واربعين  
سنة وكان شريفاً في الجاهلية والاسلام  
قيل مات في خلافة عثمان وقيل في  
خلافة معاوية (٢) .

وعجز الشطر الأول . وكل نعيم لا محالة  
زائل . قوله باطل : أى هالك مضمحل  
لأنه موافق لأصدق الكلام وهو قوله  
تعالى « كل من عليها فان » فلا ريب  
أن هذه الكلمة أصدق ما تكلم به ناظم  
أو ناثر . مقدمتها كلية مقطوع بصحتها  
وشمولها عقلاً ونقلًا ولم يخرج من  
كليتها شئ قطعاً الامر استثنائه وهو  
الله وصفاته وعتابه وثوابه وفيه جواز  
الشعر وإنشاده ما لم يخل بأمر ديني  
أو يزيل الوقار أو يحصل منه إطراء  
أو اكثار (٣) .

(٣) عن المقدم بن شريح عن أبيه قال  
قلت لعائشة رضى الله عنها أكان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من  
الشعر فقالت كان يتمثل بشئ من  
شعر عبد الله بن رواحة ويتمثل ويقول  
« ويأتيك بالأخبار من لم تزود » (٤)

قوله فقالت « لفظ الطحاوى فقالت  
نعم بشعر ابن رواحة وربما قال هذا  
البيت ويأتيك الخ وفي لفظ له كان  
يتمثل بشعر ابن رواحة أخرجه احمد  
من طريق مغيرة عن الشعبي اذا استراب  
الخبر تمثل فيه ببيت طرفة فنسبتها الى

١ - أخرجه البخارى فى الادب المفرد قال حدثنا عمرو بن مرزوق قال اخبرنا شعبه الحديث

٢ - شرح شواهد الغنى للسيوطي ١٥٢ - ج ١

٣ - فيض القدير ١/٥٢٩

أخرجه الترمذى وصححه والنسائى فى اليوم والليل والبخارى فى الادب المفرد  
والطحاوى فى مشكل الآثار

## عبد الله بن رواحة

صحابي جليل شهد بدرًا وهو أحد  
النقباء استشهد بمؤتة وكان ثالث الأمراء  
الذين أخبر بهم النبي صلى الله عليه  
وسلم وكان جده أبو سريح عمرو بن  
امرى القيس شاعراً فحلاً وهو القائل

يا مال والسيد المعمم قد

يبطره بعد رأيه السرف

نحن بما عندنا وأنت بما عند

دك راض والرأى مختلف

قوله ويأتيك الخ هذا عجز بيت وصدرة  
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
والمعنى يأتي الزمان إليك بالخبر من  
غير أن ترسل أحداً أن يأتي به إليك  
فلا تحتاج أن تعطيه الزاد .

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي  
صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب  
وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينتنا علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا

إذا أرادوا فتنناً أبينا

ويرفع بها صوته

وفي رواية : ورفع بها صوته أبينا  
أبينا - متفق عليه .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة

فاغفر للانصار والمهاجرة

وفي رواية سهل بن سعد عند مسلم  
فاغفر للمهاجرين والانصار وفي رواية  
كانوا يرتجزون ورسول الله صلى الله  
عليه وسلم معهم وهم يقولون الحديث  
متفق عليه .

عن جندب بن سفيان قال دميت إصبع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض  
تلك المشاهد فقال :

هل أنت الا اصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت

أخرجه الشيخان . .

وعن أبي سفيان بن الحارث بن عبد  
المطلب أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال في غزوة حنين « أنا النبي لا كذب  
أنا ابن عبد المطلب » . أخرجه الشيخان

التعليق على الأحاديث . .

قال النووي (٢) قال المازري أنكروا  
بعض الناس كون الرجز شعراً لوقوعه

من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وهذا مذهب الأخفش واحتج به على فساد مذهب الخليل في أنه شعر وأجابوا عن هذا بان الشعر هو ما قصد اليه واعتمد الانسان أن يوقعه موزوناً مقفياً يقصده الى القافية ويقع في ألفاظ العامة كثير من الألفاظ الموزونة ولا يقول أحدونها شعر ولا صاحبها شاعر وهكذا الجواب عما في القرآن من الموزون كقوله تعالى « لن تناولوا البرحتى تنفقوا مما تحبون » وقوله تعالى « نصر من الله وفتح قريب » .

ولا شك أن هذا لا يسميه أحد من العرب شعراً لأنه لم تقصد تقفيته وجعله شعراً قلت وقد قال الامام ابو القاسم علي بن أبي جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع في كتابه الشافي في علم القوافي : قد رأى قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجز ومنهوكه ليس بشعر كقول النبي صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم وقوله : هل أنت الا اصبح دميت وفي سبيل الله ما لقيت . وقوله أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وأشباه هذا قال ابن القطاع وهذا الذي زعمه الأخفش

وغيره غلط بين وذلك لأن الشاعر انما سمي شاعراً لوجوه منها أنه شعر القول وقصده وأراده واهتدى إليه وأتى به كلاماً موزوناً على طريقة العرب مقفياً فان خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعراً ولا يكون قائله شاعراً .

عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فتسيرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هينها تاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا  
ولا تصدقنا ولا صلينا  
فاغفر فداء لك ما اقتفينا  
وثبت الأقدام إن لاقينا  
وألقين سكينه علينا  
إنا إذا اصبح بنا أتينا  
وبالصياح عولوا علينا  
متفق عليه .

قلت وقد سبق الكلام على ما يتعلق به .  
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام (١)

عن عائشة رضی الله عنها أنها كانت تقول الشعر منه حسن ومنه قبيح خذ بالحسن ودع القبيح ولقد رويت من شعر كعب بن مالك اشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك (١)

عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم .

أخرجه الترمذی والطيالسی واحمد والسیاق للترمذی (٢)

ترجمة كعب بن مالك .

ابو عبيد الله المدني احد الثلاثة الذين نزلت توبتهم في القرآن بعد خمسين ليلة وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة شهد أحداً وما بعدها مات بالشام في خلافة معاوية .

والمعنى انه ذا حسن المعنى شرعاً فالكلام محكوم عليه شرعاً بالحسن ولو كان اللفظ غير فصيح واذا قبح المعنى شرعاً لم يحكم عليه بالحسن وإن

كان لفظه فصيحاً وهذا حق ولكن الوزن وفصاحة الكلام يزيد الحسن حسناً كالحكمة ويزيد القبيح قبيحاً كالهجو (٣) .

كراهة الشعر لمن غلب عاياه

عن ابن عمر رضی الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف أحدكم قبيحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً (٤)

زاد مسلم يريه بفتح الياء وكسر الراء من الورى وهو داء يفسد الجوف .

قال الطحاوى المكروه الشعر الذى يملأ الجوف فلا يكون فيه قرآن ولا تسبيح ولا غيره فأما من كان في جوفه القرآن والشعر مع ذلك فهو خارج من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ الحديث (٥) .

وقال النووي المراد أن يكون الشعر غالباً عليه مستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أى شعر كان فاما اذا كان القرآن والحديث

١ - أخرجه البخارى فى الادب المفرد من طريق سعيد بن قنيد قال حدثنا ابن وهب قال اخبرني جابر بن اسماعيل وغيره عن عقيـل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قال الحافظ سنده حسن وذكره الألباني فى سلسلة الاحاديث الصحيحة .

٢ - وقال حديث حسن صحيح وذكره الألباني فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ص ١٧٦ / رقم ج ٤٣٥/١

٣ - فضل الله المصمد ج ٢- ٣١٥

٤ - أخرجه مسلم فى كتاب الشعر والدرمي فى الاسئذان واحمد فى مسند ابن عمر والبخارى فى الادب المفرد .

٥ - معانى الآثار ٢/ ٣٧٢



وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً وقال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا وهو كلام حسنة حسن وقبيحة قبيح وهذا هو الصواب فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر واستنشه وأمر به حسان في هجاء المشركين وأنشده أصحابه بحضرة في الأسفار وغيرها وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه وإنما انكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه (١) وفي رواية لمسلم من طريق أبي سعيد الخدرى قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلى الحديث ...

والعرج - على نحو ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة .

قال النووى وأما تسميته هذا الرجل الذى سمعه ينشد شيطاناً فلعله كان كافراً أو كان الشعر هو الغالب عليه أو كان شعره هذا من المذموم .

وبالحملة فتسميته شيطاناً إنما هى قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها ولا عموم لها فلا يحتاج بها .

وقال المناوى وأما قول المصطفى صلى الله عليه وسلم للشاعر الذى عرض له بالعرج خذوا أو أمسكوا الشيطان فلعله علم من حاله أنه اتخذ الشعر حرفة فيفترط في المدح إذا أعطى وفي الذم إذا منع فيؤذى الناس في أموالهم وأعراضهم (٢) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .



## مراجع البحث

- القرآن  
أحكام القرآن - لابن العربي  
الكشاف - للزمخشري  
أضواء البيان - للشنقيطي  
تفسير ابن كثير - لاسماعيل بن كثير  
تاريخ الأدب العربي - للزيات  
التلخيص الحبير - لابن حجر  
سيرة ابن هشام  
سنن أبي داود  
سنن النسائي  
سنن ابن ماجه  
سبل السلام - للصنعاني  
الشعر والشعراء لابن قتيبة  
شرح شواهد المغني - للسيوطي  
شرح مسلم للنووي  
غريب القرآن -  
فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي  
فتح الباري - لابن حجر  
صحيح البخاري  
صحيح مسلم  
فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد - لفضل الله الجليلاني  
لباب النقول للسيوطي  
مسند احمد والطيالسي  
مجمع الامثال  
مقدمة ابن خلدون - مشكل الآثار للطحاوي  
مقدمة شرح التلخيص للبرقوقي  
مذكرة في الادب - لمحمد المجذوب  
مجلة حضارة الاسلام

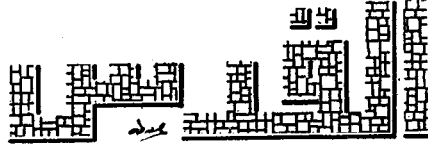
سورة الطلقة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من  
المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله  
لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »

### للطالب سامي بن رضوان



وتبعد عن اريحا مسافة ( ٣٠ ) كيلو  
مترا ، وعن نهر الاردن ( ٤٠ ) كم ،  
وعن ساحل البحر الابيض المتوسط  
( ٦٥ ) كم تقريبا .

وتقع المدينة كلها تاريخية ، وقديمة  
وحديثة على سلسلة جبال القدس ضمن  
هضبة ذات مرتفعات تعلو نحو ( ٨٠٠ )  
متر عن سطح البحر .

وتحيط المدينة كلها جبال مشهورة  
أهمها جبل المشارف من الشمال ،  
وجبال المكبر من الجنوب ، وجبل  
الطور من الشرق ، وجبل صهيون  
من الغرب .

وتقع القدس القديمة ضمن سور  
يحيط بها من جميع جهاتها ويبلغ طوله

ان للقدس موقعا جميلا ، وسحرا  
خاصا ، وجمالا خفيا لا يحس به  
الاحساس الكافي إلا من أقام بها  
مدة ، وتذوق هذا الجمال تدريجيا ،  
ولعل من عوامل سحرها ، هدوؤها ،  
وعمق صداها ، وجمال تلالها ، ونظافة  
جوها ، وتنمو على هاتيك التلال ،  
أعشاب وزهور متعددة الالوان تغطي  
تربتها ، وتؤلف معلما من معالمها ،  
وأبنيتها شاهقة تخالط سطوحها قباب  
غير مرتفعة موروثه عن تاريخها الغابر  
المديد .

موقعها

وتقع القدس على خط العرض (٣٤)  
شمالا ، وعلى خط الطول (٣٥) شرقا ،

المسجد الاقصى الى أن أمر بتحويل القبلة الى الكعبة بالمسجد الحرام ، فهو اولى القبليتين ، وثاني البيتين ، وثالث الحرمين ، ولهذا فهو محط أنظار المسلمين ، .

وفي المدينة مساجد أخرى كثيرة يبلغ عددها (٣٥) مسجدا ، وبها مقدسات مسيحية واهمها كنيسة القيامة ، ولا يملك اليهود بها آثارا ولا أماكن دينية ولا مقدسات على الرغم من الضجة العالية والعيول الطويل إلا عرفا تقليديا لهم في اليكاء خارج القسم الجنوبي من الحائط الغربي للحرم الشريف يسمى حائط المبكى .

#### عدد السكان

كان عدد السكان سنة ١٣٦٧ هـ سنة ١٩٤٨ م نحو (١٦٠) ألف نسمة نصفهم من العرب والآخر من اليهود وجاء عددهم هذا وليد الهجرة الناتجة عن وعد بلفور الجائر ، ففي النصف الثاني من القرن السابع عشر لم يكن عدد اليهود سوى (١٥٠) شخصا ، وفي سنة ( ١١٧٠ م ) لم يكن في المدينة أكثر من يهودى واحد .

والقدس مدينة سياحية عالمية جذابة ولذا فإن بعض السكان يقومون ببعض الصناعات التي يغلب عليها الطابع

نحو ( ٤ ) كم ، وارتفاعه نحو (١٢) مترا ، وللسور سبعة ابواب كبيرة ، مفتوحة يدخل الناس منها الى المدينة من نواحيها المختلفة ، والذي بنى هذا السور هو السلطان سليمان القانوني العثماني ، وقد دامت أعمال هذا البناء في السور (٥) سنوات .

وقد بلغت مساحة الاراضى التي تحتلها القدس قديمة وحديثة سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ما يزيد على ( ٣١ ) كيلو متراً مربعاً ، أى ما يبلغ ( ٣١ ) الف دونماً ، وتبلغ مساحة القدس القديمة نحو ألف دويم .

وأهم ما في القدس أماكنها المقدسة وفي مقدمتها الحرم الشريف الذى يحوى المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، حيث يقع في الجهة الشرقية الجنوبية من المدينة القديمة .

وفي هذا المسجد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الاقصى « وهو مسجد رائع البناء عظيم الساحة ، ويحيط به سور عظيم ، وقد أسرى الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، ومنه عرج به الى السماء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل في صلواته

السياحي مثل صناعات خشب الزيتون والشموع ، والقاشاني ، والتطريز ، والزجاج والادوات الفضية وغيرها ، وبعض السكان يقومون بالزراعة حيث خصوبة التربة فيكثر فيها الفواكه والخضروات بأنواعها المختلفة ، والتعليم فيها ناشط مزدهر إذ فيها نحو (٥٠) مدرسة عربية و (٣٠) مكتبة منها ما له قيمة تاريخية . كما يوجد بها جميع الدوائر الحكومية .

ما يفعله الصهاينة المحتلون

يعمل الصهيوينيون اليهود على توسيع رقعة القدس وزيادة سكانها وتخطيط الحى اليهودى فيها ، وقد تضمنت الخطة عمارات متراصة مرتفعة يشبه بعضها ناطحات السحاب ، واشتملت على نواد وبارات ليلية كثيرة ، وشقق صغيرة تحيل المدينة الى ما يشبه محطة السكة السوداء داخل مظاهر الزيف والنشاز ، وقد عرضت الخطة على ثلاثين من المهندسين والمعماريين والفنانين العالميين فنفروا منها جميعا ورفضوها لمغايرتها طبيعة المدينة المقدسة . وقد فعلوا فيها ما لا يستوعبه المجلدات .

وقد توغلت الحفريات التى يقومون بها في اختراق الحائط الجنوبي للحرم الشريف والاروقة السفلية للمسجد

الاقصى في اربعة مواقع الاول ، في اسفل محراب المسجد الاقصى والثاني اسفل مسجد عمر ، والثالث : تحت الابواب الثلاثة للاروقة الملاصقة للمسجد الاقصى وهنا توغلت (٢٠) مترا في داخل الحرم ، والرابع تحت الاروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الاقصى ، أصبحت هذه الحفريات تهدد المسجد الاقصى وسور الحرم الجنوبي بالتصدع والانهار .

ورغم كل ذلك فقد واصلت السلطات الصهيونية إخلاء العقارات والاراضى بالقوة وتمكنت من إجلاء ما يقارب من خمسة الاف عربي من مساكنهم وأماكن عملهم داخل الاسوار وحرس ما لا يقل عن ألف من العمل في الزراعة في الاراضى المصادرة خارج الاسوار يعيلون لا أقل من خمسة الاف شخص ، واجلاء ما يقرب من الف عربي من مساكنهم خارج الاسوار، وهى بالاضافة الى ذلك جادة في ملاحقة الباقين منهم ويقدرون بحوالى الالف بالجللاء والتشرد .

الاستيطان الاسرائيل

يهدف الى جعل القدس مدينة يهودية ، كشف عن ذلك وزير الاسكان اليهودى عن مؤامرة الاستيطان التى باشروها منذ ١٩٦٨ خارج اسوار القدس وداخلها وما حولها ، وتستهدف بناء (٣٥)

وحدة سكن وتتسع لإسكان ( ١٢٢ )  
الف صهيوني جديد .

وقد نفذت هذا البرنامج خلال السنوات  
الست الماضية وتم لها انشاء ستة عشر  
حيا أو مستعمرة جديدة على انقاض  
ما هدم من احياء وقرى عربية وعلى  
ما صور أو أغتصب من الاراضى داخل  
اسوار المدينة وخارجها .

### إحراق المسجد الاقصى

في يوم الخميس ٨ جمادى الثانية  
١٣٨٩ هـ احترقت اسرائيل المسجد  
الاقصى ، وقد دمر الحريق القسم الجنوبي  
الشرقي منه ، كما أتى على المنبر ، وقد  
ادعت اسرائيل أن ماساً كهربائياً سبب  
الحادث ، ثم تراجعت وزعمت أن  
شباباً أضرم النار في المسجد ، .

هل يحتاج المسلمون بعد ألسنة النار  
التي التهمت المسجد الاقصى الى من  
يوقد حميتهم ويشعل ارادتهم للوقوف  
صفا واحداً وجبهة واحدة في وجه

العدو ، ولكن من المؤسف حقاً أن  
اشعال النار في أولى القبلتين وثاني  
البيتين وثالث الحرمين لم يكن مفاجأة  
وان المسلمين والعرب لم يأخذوا على  
حين غرة عندما أقدمت اسرائيل على  
حرقه ولن يؤخذوا على غرة اذا فعلت  
اسرائيل لا قدر الله بمقدساتهم أكثر  
من ذلك .

ان القدس كانت ولا تزال محل أطماع  
اليهود والصلبيين ، أما الصليبيون فقد  
يشوا من تحقيق اطماعهم منذ أن  
هزمهم صلاح الدين الايوبي واستردها  
منهم ، وأما اليهود فما زالوا يتأمرون  
عليها وقد استطاعوا بغدرهم وتفكك  
المسلمين أن يسيطروا عليها ولكن ذلك  
لن يطول فسنستردها بعون الله منهم  
وتبقى تراثاً اسلامياً مصوناً تحوطها  
القلوب المؤمنة وتحميها صدور المسلمين ،  
وسوف يرتد كل معتد على القدس  
والمسجد الاقصى خاسئاً بإذن الله .





## مِن آيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَانِ

للطالب محمد الأمين ولد الشيخ

وانظر الكون واعياً وتفهم  
وتأمل هذا الوجودَ المنظم  
نحوً سخف ظاهر ورأى مُحطَم  
لا يساوى مدادَه لا يسلم  
ه ويقضى برده إن علم  
أى عقل يُسبغ هذا؟ تكلم  
مُحكَم متقن جميل مصمم  
منطق العقل؟ لا وربى الأكرم  
من جهاز السماء والأرض أحكم!  
لا تقلد من عقله قد تسمم  
وسرى الصمتُ في الوجود وخيم  
وتساءل وقل لنفسك مهيم؟  
واطلب الحقَّ خالصاً وتقدم  
فاذا الكُفر كله قد تهدم  
وإذا النور قد أضاء فعمم  
وتشهد شهادة الحق تسلم

أيها الملحدُ الغيبى تعلّم  
وتفكّر هنيهةً وتدبّر  
أنظّم ولا مُنظّم هذا  
منطقٌ هكذا صغيرٌ حقير  
منطقُ البصرة السليمة يأبى  
وجد الكونُ صدفةً لا تقل ذا  
استمع هنا جهازٌ دفينٌ  
كان من غير صانع أتري ذا  
أتري ذا الجهازَ وهو صغيرٌ  
لانتبه جيداً تفكّر فليلاً  
انفرد ساعة إذا الليل أظلم  
وتساءلْ أصدفةً كلُّ هذا  
أترك الكبر جانياً وتواضعُ  
خطوةً خطوةً رويداً رويداً  
وإذا باليقين ينمو وينمو  
أسلم - الكونُ مسلمٌ - وتقدّم

محمد الأمين ولد الشيخ  
المعهد الثانوى - السنة الأولى

# كلية الحديث

للطالب أحمد بن حسن المعالم

وهشتت عند سماعه استبشارا  
تروى الهدى وتعلم الآثارا  
في خاطرى وأوضح الأسرارا  
أم هل ترون اصوغه أشعارا  
ما في الجوانح والفؤاد توارى  
لفرى الضلوع من السرور وطارا  
ألا تسرو وتلبس النوارا  
كانت لآمالى الكبار منارا  
سأنال منه قرابة وجوارا  
ومسلما ومتابعاً مختارا  
دل الدليل على سناه ودارا  
شبه البهيمة رحبت ينق سارا  
ادع الدليل لما اراه جهارا  
ما عاش يوماً يشبه الأحرارا  
من شاء برأ كان أو كفارا  
ان يعط تمرأ يرضه أو نارا  
سجن العقول يتريقها الأصارا  
ما يقول رسولنا وستارا

نبأ أهاج كوامنى وأثارا  
كلية باسم الحديث واهله  
ماذا أقول وكيف انطق بالذى  
أأقوله نثرأ بغير تقييد  
ما حجم ابيات القصيدة كى تفى  
والقلب لولا ما يضم من الهدى  
والنفس يغمرها السرور وماها  
لم لا اسرو وقد حظيت بغاية  
سأكون من صحب الرسول وآله  
سأعيش في كنف الرسول مصليا  
سأرى الدليل وسوف اعمل بالذى  
انا لن أكون مقلداً متعصبأ  
انا لن أكون مقلداً متعننا  
ان المقلد في الخسارة والشقا  
ان المقلد كالضيرير يقوده  
ان المقلد كالصغير مفوضا  
فدع الشعب المذاهب انه  
واراه غلاأ في الرقاب وصانعا

منحوك علما نافعاً مختاراً  
جسر الحياة لمن أراد فخاراً  
من حاجة لتلق الأقياراً  
لا تخش اثماً فيه أو اضراراً  
تطبيقه زياداً ولا عماراً  
فلقد حملت مهند بثاراً  
ودع الليالى الحالكات نهاراً  
من كل مبتدع غدا حفاراً  
فلقد رأينا منهما الأضراراً  
بعد الدراسة حاملاً اسفاراً  
الكل في تطبيقه يتبارى  
فسي العقول وقيد الافكاراً  
ففسر تحت لوائه احراراً  
ففسر جيشاً واحداً جراراً  
فلقد رأينا للخلاص مناراً  
فنخوض تحت لوائها الاخطاراً  
بالعذب ينضح طيباً مدراراً  
صارت لطلاب الحديث مزاراً

احمد بن حسن المعلم  
ثالثة ثانوى فصل « أ »

يا طالب العلم الصحيح بشاره  
أقبل على علم الحديث فإنه  
وفد الصحيح ودع سواه فما بنا  
وتتبع الاسناد وانقد اهاله  
وفد الصحيح بقوة لانتخش في  
واضرب بسيف الحق كل مقلد  
وانر بمصباح الحديث ظلامنا  
وصدع رؤوس الخارجين عن الهدى  
وانف الضعيف وماتين زيفه  
واعمل بما حصلت منه ولا تكن  
وادع الانام الى طريق واحد  
فلقد اساء لنا التعرف اعصرا  
فمتى يخلصنا الحديث من العنا  
ومتى يوحدنا الحديث على الهدى  
هذا بعون الله سوف ننالنه  
كلية العلم الجليل تقودنا  
فليهن ابناء الحنيفة منهل  
وليهن جامعة المدينة انها



# المكتبة الإسلامية



# طه حسين

## حياته .. وأدبه .. في ميزان الإسلام ...

لفضيلة الشيخ ابراهيم محمد سرسيو

كلية القرآن والدراسات الإسلامية

طلما سألت نفسي ، منذ اشأرت عنقى إلى بلابل اللوح وهى تشدو فى حدائق الأدب . .

إذا كانت قيمة كل امرى ما كان يحسنه ، فأبى قيمة من قيم الدين أو الأدب أو الخلق ، تسمّ الدكتور طه حسين ذروة الأدب والثقافة والتعليم فى مصر ؟ وبأبى قيمة من قيم الدين أو الأدب أو الخلق تبوأ مقعد القيادة والتوجيه فى دولة الفكر قرابة نصف قرن من عمر الزمان ؟

وبأبى قيمة من قيم الدين أو الأدب أو الخلق ، قد تقبل فى كبرياء مصطنع ، وشموخ كاذب ، وعبقرية مدّعاة - أن يصفه أهل البغاء الفكرى ، والنفاق السياسى ، بأنه : عميد الأدب العربى ؟ ؟ بالله خبرونى :

من ذا الذى عمدّه للأدب فى دنيا العرب . . ؟ ؟

جزاء وفاقا ، بما فرط فى جنب الله ، وألحد فى ذاته ، وتهجم على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وطعن فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

والكتاب يحتوى على حوالى ( ٢٧٠ ) صفحة من الحجم المتوسط ، ويقع فى مقدمة وثلاثة أبواب :

الباب الأول ( حياة طه حسين ) :

وهذا كتاب أخرجّه لنا كاتب إسلامى نشيط ، هو الأستاذ / أنور الجندى ، ونشرته ( دار الاعتصام ) بالقاهرة ، عام ١٣٩٦ هـ ( ١٩٧٦ م ) .

وهذا الكتاب يضع طه حسين فى ميزان الإسلام ، بعد أن وضعه الآخرون فى موازين كثيرة . ويشاء الله تعالى أنه ، بقدر ما ارتفعت به الموازين الأرضية فقد هبط فى ميزان الإسلام إلى الحضيض .

## الحاجة الى مثل هذا البحث :

إن الحاجة ماسة جدا إلى مثل هذا النوع من البحوث التي تزن مختلف الشخصيات العلمية والأدبية بميزان الإسلام . ومهما يكن رأينا في المنهج العلمي الذي سار عليه الكاتب في بحثه - فإننا نشاهد المؤلف وغيره من الباحثين المسلمين أن يتناولوا أولئك الأعلام ، الذين ارتفعوا على أسنة الاقلام ، أو حملهم العوام فوق الاكتاف والمهام - لكي يوضعوا في دائرة الضوء الإسلامي فيبدو للملأ ما فيهم من غث أو سمين ، ولكي يبرزوا إلى نور الحق بدل أن يضاعفوا أحجامهم ويرفعوا عقائرهم في الظلام . فالقيمة الحقيقية لهؤلاء الأعلام لا توزن بموازين الارض الزائلة ، بل توزن بموازين العدالة الإسلامية : ( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد (١) ) . والمشكلة دائما هي أن الحق أبلج ولكن الباطل بلجج ، وفي هذا العصر نرى أهل الباطل يجمعون ويصيحون ويصرخون ، ويتنادون بالنصرة والأحلاف ويهزون

مرحلة التكوين والإعداد . ويتضمن خمسة فصول .

وتدور هذه الفصول الخمسة حول مطالع حياته ، رحلته الى أوربة وأثرها ، في أحضان الاستشراق ، التبعية للفكر الغربي ، الولاء للسياسة الغربية .

## أما الباب الثاني (مرحلة التضوج

والتألق) فيتضمن خمسة فصول أيضا : في الجامعة ، في وزارة المعارف ، في الصحافة والسياسة الحزبية ، في المجمع والجامعة العربية ، وفي المحاضرات والمؤتمرات .

ثم يأتي الباب الثالث والأخير (آراء طه حسين وصراعه مع أهل جيله) - ويتضمن ستة فصول :

آراء طه حسين ، طريقة البحث ، ظاهرة التحول والتناقض ، الأسلوب والأداء الفني ، الاستجاب ، صراعه مع أهل جيله .

ثم خاتمة في حوالى سبع صفحات ، تلمس لمسا خفيفا أهم ما جاء بالكتاب ، وتبرز الدافع إلى تأليفه وتعد بتقديم بحث جامع في الموضوع نفسه .

وسنعود إلى إبداء رأينا في المنهج والخاتمة ، بعد بحث وتقييم المادة العلمية .



الأعطاف - بينما أهل الحق قانعون  
بالسلامة الدليلة ، راضون عن الغنيمة  
بالإياب .

فهل يلام الباطل إذا أرغى وأزبد ،  
وتهدد وتوعّد ؟  
وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن  
وحده والتزالا ! !

ومشكلة ( طه حسين ) أنه رجل ملاً  
الدنيا وشغل الناس ، واستفاض صيته  
وطارت شهرته في كل الأقطار ،  
وما علم الناس سبباً لهذه الشهرة المتفيسة  
والصيت الذائع ! ولكنهم اقتنعوا ،  
فجأة وبزعمهم ، بأن هذا الرجل مشهور  
وما دام مشهوراً فلا بد أنه شخصية  
عظيمة . وهكذا ظلوا مع الآخرين  
يكذبون ويكذبون حتى صدق الجميع  
أنفسهم ! ! !

لماذا برز « طه حسين » وفرض شخصيته  
على الناس سنين طويلة ؟

هل بسبب موقفه المعادي للفكرة  
الإسلامية ؟

هل بسبب نشاطه الحزبي ومغامراته  
السياسية ؟

هل بسبب كتبه الهزيلة ، وشخصيته  
المنافقة ؟

هل بسبب ارتتمائه الدليل في أحضان  
المستشرقين ، وترديده لأباطيلهم ؟

هل بسبب منهجه العلمي الزائف  
المستعار ؟

هل بسبب كراهيته للعرب وتحويلته  
الدائم من شأن دينهم وحضارتهم ؟  
هل بسبب اتجاهه إلى الإباحية والأدب  
المكشوف ؟  
مرة أخرى :

لماذا استفاضت شهرة طه حسين ؟  
لماذا ارتفعت منزلته لدى الباحثين عن  
ضم يعبدونه من دون الله ؟ يا لله للمسلمين !  
متى يكف الناس عن إحاطة بعضهم  
بعضاً بأوصاف القداسة ، وهالات  
العظمة ، وهم يعلمون أن العظمة والقداسة  
لله وحده ؟

متى يكف الناس عن كليل عبارات  
المديح والاطراء لمن يزعمونهم خطأ  
قد بلغوا قمة العلم أو الحكمة أو البراعة  
في دنيا المظاهر البراقة والألقاب الخادعة  
( كأنهم إلى نُصّب يوفضون ) . وصدق  
الله العظيم : ( وما أوتيتم من العلم إلا  
قليلاً ) .

فلنسر في دروب البحث المتأني وراء  
هذا الشيخ الغامض ، عسانا أن نهتدى  
بفضل الله تعالى في الوقوف على سرّ  
هذه الظاهرة العجيبة ظاهرة البرق  
الذي يلمع في ظلام دامس فزاده غبرة  
ترهقها قطرة .

والحمد لله - في غنى عن أمثاله من القردة المقلدين ، الذين جعلوا ظهورهم قنطرة عبور لأفكار المستشرقين من كل حدب وصوب - فإننا نقول لكل من يحاول إحياء هذه الشبهة التي نعتبرها بحق كالجنين الذي ولد ميتا :

- وهل الاسلام إلا منهج كامل للحياة ، والأدب جزء منها؟ فكيف لا يدخل الأدب في الإطار العام للقيم الإسلامية النبيلة التي تسكن من قلوبنا في السويداء ؟

- إذا كان العلم الطبيعي كعلم الحياة والنبات يملك سلاحاً قويا للتمحيص والتجريب هو التجربة العلمية التي يمكن التحكم فيها، والاحتكام إليها فما المرجع الذي يمكن اللجوء إليه لتصحيح القيم ، وتهذيب السلوك، وترقية المشاعر - إذا لم نرجع إلى شريعة الله.. رب كل شئ ومليكه؟ ( ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ) ؟

- يقول علماء النفس : لا بد لأي سلوك من دوافع . . .

- فإذا كان الأمر المتعارف عليه أن يدرس الأدب في ظل القيم والمبادئ السائدة في كل عصر وبيئة باعتبارها ( الاطار المرجعي له From

of Reference ) ، وإذا كان

إن كل من يراجع كتابات طه حسين ابتداءً من كتابه ( في الشعر الجاهلي ) إلى آخر ما أملى - يروعه جرأة هذا الرجل على شريعة الله وأحكامه السامية ، حتى ليخيل إليه أن الرجل قد حمل بكلتا يديه معولا مسنونا يهدم به كل بنيان إسلامي ، وقد لبس في كل مرة قناعا يتخفى من ورائه وهو يقوم بعمله الموبوء في همة دائمة لا تعرف الكلال .

(١) فهو قد تعمد إحياء الدعوة المنهارة بفصل دراسة الأدب العربي عن الفكرة

الإسلامية . ووصف هذه العملية الخبيثة

بوصف مثير وخطير كعادته في كل عملية هدم يقوم بها : فقال إنها ( تحرير الأدب العربي من إطاره الإسلامي ) . ورفع عقيرته قائلاً « أنا أريد أن

أدرس تاريخ الأدب في « حرية وشرف » كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحياة والنبات ! ! » وزعم أن ربط الأدب بالإطار الإسلامي فيه إيحاء بالدعوة إلى الاسلام والتبشير به ! !

ومن عجب أن ينزلق صاحب « الوعد الحق » و « على هامش السيرة » إلى هذا المنزلق الخطير ! !

ولئن كانت الدعوة الإسلامية وما زالت

الأدب العربي يدرس في بيئة إسلامية  
فما الدوافع الخفية وراء السلوك  
الطارئ المستنكر لدراسة الأدب  
العربي مقرونا بمبادئ الاسلام ؟

— ثم من ذا الذي يزعم ان دراسة  
الماديات في علم الحياة والنبات —  
يمكن أن تقارن بدراسة المعنويات  
من القيم والفضائل والأنسانيات ؟ ؟  
أخيرا يعلق المستشرق كامبفاير قائلا  
( إن المحاولة الجريئة التي قام بها طه  
حسين ومن يشايعه في الرأي ، لتخليص  
دراسة العربية من شباك العلوم الدينية —  
هي حركة لا يمكن تحديد آثارها على  
مستقبل الإسلام ) ( ٢ ) .

#### (ب) دعوته الى الجاهلية الفرعونية :

ويتمثل ذلك في إصراره على وضع  
شعار فرعوني للجامعة المصرية حين  
كان مديراً لها .

وفي ادعائه المتكرر : ان مصر فرعونية  
وأنها تابعة لليونان في الفكر ، وتابعة  
لمنطقة البحر المتوسط والغرب في  
السياسة ، واقرب ما تكون إلى الروح  
الفرعونية في الثقافة والحضارة !!  
وقد أرسل إليه الاستاذ توفيق الفكيكي  
برقية من العراق تقول :

« إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم  
الشنار ، وستبقى أرض الكنانة وطن  
الإسلام والعروبة ، برغم الفرعونية  
المنحرفة ! ! » .

ماذا — أيضا — يستهدف طه حسين  
من هذه الدعوة السخيفة إلى جاهلية  
الفراعنة ؟ كيف يدعو مفكر إسلامي  
إلى العودة الانتكاسية إلى جاهلية الاوثان  
وبدائية التصور وفطرية السلوك وخرافة  
المعتقدات ؟

وماذا يبغى من جذبهم إلى الفرعونية  
المالكة إلا سلخهم من الانتماء إلى أمة  
الإسلام ودين الإسلام ونبي الإسلام ؟  
في أيام هذا المفكر الفرعوني — ردّ  
عليه الدكتور زكي مبارك قائلا :

« إنك تعرف أن مصر ظلت ثلاثة  
عشر قرنا ، وهي مؤمنة بالعقيدة  
الإسلامية ، والأمة التي تقضى ثلاثة  
عشر قرنا في ظل دين واحد — لا  
تستطيع أن تفرّ من سيطرة هذا الدين » ( ٣ )

ومعلوم ما يبغته المؤرخون من «الانقطاع  
الحضارى» الذى أحدثته الإسلام في  
نفوس المصريين ، حين نفصوا أنفسهم  
تماما من التراث الفرعوني واليوناني  
والروماني ، وتركوا هذه الحضارات

(٢) انظر ص ١٧٨ من كتاب (طه حسين في ميزان الاسلام) دون تحديد المصدر الذى نقل عنه المؤلف  
(٣) انور الجندى : طه حسين في ميزان الاسلام ص ١٧٨ دون ذكر المصدر .

تذوب وتضمحل ، وآمنوا بالإسلام  
وتشربوا في معاملاتهم ولغتهم وسلوكهم  
ولم تكن لهم ثقافة خاصة منفصلة عن  
الثقافة الإسلامية الأصيلة .

ورغم أن هذه الفكرة الساقطة -  
فكرة الانسحاب من العقيدة القوية  
المسيطرة ، إلى أوهاام القرون البدائية  
المنقرضة - لم يتقبلها المصريون أنفسهم ،  
ولم يكن لها من بينهم دعاة يعتد بهم ،  
فإنه من الواضح أن كثيرا من المستشرقين  
يحتضنونها في حذب شديد ، ويعتبرونها  
ركيزة أساسية في محاولاتهم المستمرة  
والمتكررة لهدم الإسلام .

ونحن هنا نلفت الانظار بقوة: إلى  
أن كل دعوة قومية لإحياء العنصرية  
العرقية إنما هي دعوة مشبوهة ، لأنها  
ضد الدين في المبدأ والأساس .

**(ج) ادعاؤه الكاذب أن الدين « ظاهرة**  
**اجتماعية » :**

ارتأى طه حسين ، والحمد حشوفمه ،  
أو قل : إنه نقل نقلا حرفيا عن أستاذه  
اليهودى « إميل دور كايم » ذلك الرأى  
الخطير الكافر ، الذى يطيح بكل تراث  
طه حسين وشخصيته وتاريخه :

( إن العالم « الحقيقى » (!!) ينظر إلى  
الدين كما ينظر إلى اللغة ، وكما ينظر  
إلى الفقه ، وكما ينظر إلى اللباس . .  
من حيث إن هذه الأشياء كلها « ظواهر  
اجتماعية » يحدثها وجود الجماعة .  
وإذن نصل إلى أن « الدين في نظر العلم »  
لم ينزل من السماء (٤) ، ولم يهبط به  
الوحى ، وإنما خرج من الأرض كما  
خرجت الجماعة نفسها . . (٥) .

إذن فطه حسين ، هذا المنيع الكدر  
لتيارات الإلحاد والتشكيك ، هو  
السبب في ذبوع هذه الفكرة السامة التى  
روّجتها ألسنة الأغرار من الناشئة وأدعياء  
الثقافة والفلسفة ، ونشرتها أقلام الكتاب  
من كل مسلوبى الشخصية وضعاف  
العقيدة في هذا العصر ، الذين روّجوا  
أن الدين ظاهرة اجتماعية ! ! ظاهرة  
اجتماعية تصدر عن الجماعة ، وتتطور  
معها ، وليست بوحي سماوى من الله  
تعالى . وطه حسين أيضا ، وقد ازداد  
بغيا وعتوا ، وإفسادا في الارض ومكر  
السىء ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله  
فقد رتب على هذه النظرة المتحدية  
للدن - ما يلى : -

(١) « أن الدين يجب أن يُعلم فقط  
كجزء (٦) من التاريخ القومى ، لا

(٤) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(٥) لم يذكر المؤلف مصدر هذه العبارة مع الاسف .

(٦) الصواب : باعتباره جزءا «لان الشيء لايشبه بنفسه» وهوخطا نحوى فاضح لعميد الادب

ولم أكن بين الذين وضعوا الدستور الجديد ولم يستثنني أولئك ولا هؤلاء هذا النص والذي اشتمل عليه الدستور والذي (٩) يعلن أن للدولة المصرية ديناً رسمياً هو الإسلام . . . ولو استشارني أولئك أو هؤلاء لطلبت إليهم أن يتدبروا ويتفكروا قبل أن يضعوا هذا النص في الدستور !!! (١٠) .

كدين إلهي منزل لإصلاح أحوال البشر . ويرى : « ان القوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام ، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية أو كمنطلق لتجديد الأمة » ويرى : « أن الأمة تتجدد بمعزل عن الدين » (٧) وما من شك هنا - أن هذا الملحد

الجرى إنما يعرض للإسلام من منظور المسيحية ، ويجهل أو على الأصح يتجاهل ببحث شديد : الفرق الهائل بين الإسلام والمسيحية . فبينما المسيحية تعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، فالإسلام يتناول الحياة كلها بتشريع كامل لا ينفصل فيه دين عن دنيا ( إلا في أذهان العباقرة أمثال عميد الأدب الراحل ) . . . وصدق الله مولانا في كتابه الكريم ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) (٨)

(٢) أن النص المثبت في الدستور المصرى بأن الإسلام دين الدولة ، لا ضرورة له . ويقول ( لم أكن في اللجنة التي وضعت الدستور القديم ،

### (د) تهويته من شأن العرب والحضارة العربية الإسلامية . .

لكأنما أصيب صاحبنا بحمى قاتلة . . جعلته ينتفض حنقا على العرب وكل وكل ما يمت إليهم بصلة . . ونتساءل مع الأستاذ أنور الجندي : ( هل يمكن أن يكون مثل هذا الكاتب عميدا للأدب العربي الذي يزدرية ويتعقبه ؟ أو قائدا لأمة هو منكر لمفاهيمها لا يدين لها بولاء . . ؟ ) (١١) .

في اعتقاده - عفى الله عنه - أن العرب ليسوا إلا وسطاء بين الأمم والحضارات . وأن الدور الذي قاموا به هو الدور الذى قام به من سبقهم من شعوب البحر المتوسط كالفينيقيين واليونان والرومان . ويريد

(٧) راجع الفكرة كلها في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) .

(٨) سورة الانعام (١٦٢ ، ١٦٣)

(٩) الصواب : الذى . فالواو هنا لضرورة لها ، لان الشيء لا يعطف على نفسه . ومعذرة عن

التناول على مقام عميد الاصلاح اخطائه اللغوية .

(١٠) صحيفة كوكب الشرق المصرية (١٢ - اغسطس ١٩٣٣م)

(١١) انظر خاتمة الكتاب موضوع بحثنا .

## رأيه في القرآن الكريم

معاذ الله أن يكون لبشر ما ، كائنا من كان ، رأى في القرآن الكريم المعجز الذي يعلو ولا يُعلى عليه . فالقرآن ليس من كلام البشر ، ولا ينبغي أن تحكم فيه أهواء البشر . قل أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض .

ولكن هكذا تقتضينا أمانة العلم أن نكشف على الملأ ، مطاعن تلميذ المستشرقين النشيط طه حسين ، في الترويج والدعاية لمبادئ أساتذته في ( السربون ) وفي ( الكوليج دى فرانس ) أولئك الذين اتخذوا من التظاهر بدراسة الإسلام تكأة للطعن فيه ، حسدا من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق .

- ١ -

أول هذه المطاعن ( ١٢ ) يهوى بصاحبه إلى هوة الكفر الصريح والعياذ بالله . وهذا نص " عبارته ( للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم واسماعيل . وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا . ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخي ،

أن يتجه سكان المنطقة إلى الغرب لمواجهة الوحدة الإسلامية ! وسكان مصر إلى البحر المتوسط لمواجهة فكرة العروبة ! ! ويدعى أن الفتح العربي الاسلامى لم يكن الا ضربا من الاستعمار الذى خضع له المصريون كما خضعوا للفرس والرومان وغيرهم .

ومن الواضح أنه في كل ذلك يسقط الأثر الدينى من حسابه في كل ما يقول .

ادعى أن العرب لم يكن لهم « نثر فى » . وأنهم لم يجيدوا الانشاء إلا بعد اتصالمهم بالفرس ، وأن أول كاتب فى اللغة العربية هو ابن المقفع الفارس الأصل . وكل هذا الشر قد نقله من شريبر آخر هو « المسيو مرسيه » الذى كتبه فى المجلة الافريقية التى تصدر بالفرنسية فى الجزائر .

هاجم العلامة العبقري ( ابن خلدون ) فى رسالته التى تقدم بها إلى السربون ، لإرضاء لاستاذه اليهودى ( دوركايم ) الذى كان رئيسا للجنة الدكتوراه ، وانتقد علم الرجل وقدره ، ووصف جهاد المغاربة ضد الفرنسيين بأنه ( معارضة للتمدن ) . ؟

(١٢) أرجو ان يتنبه ابناء كلية القرآن الكريم في الجامعة الاسلاميه بخاصة - الي هذه المطاعن والشبه وان يتعقبوها في مظانها ليقتضوا عليها ، لأنها شبه ومطاعن لامتوت بموت صاحبها - ولكنها تتجدد كلما استشرى نشاط البشريين الهدام ، او كلما نطق ناعق من ارباب الفتنة فى الصحافة الماجورة او عبر الاذاعات السامة .

ألقى طه حسين بحثاً بعنوانه ( استخدام ضمير الغائب في القرآن )

وقد أرتأى فيه : أن تأويل ضمير الغائب في معظم آيات القرآن باسم الإشارة - فيه حل لمشكلة عدم المطابقة بين الضمير وما يرجع إليه . وزعم أنه بهذا الرأي يصحح ما يراه بعض المستشرقين من أن في القرآن خطأ نحويًا-

حاشا لله - إذ يرون الضمير قد رجع إلى متأخر ، أو رجع إلى محذوف مفسر بما يدل عليه من بعض الوجوه . وقد وصف الرافعي رحمه الله طريقة استبدال اسم الإشارة بضمير الغائب بأنها « بيع الذهب بالملح » ! إشارة إلى أن رأى طه حسين الذي نقله عن أسياده المستشرقين بلا فهم وبلا علم إنما هو رأى ساقط بليد تافه ، لا تقاس قيمته إلا بقيمة الملح إذا قورن بالذهب في نفاسته .

ويعقب الرافعي قائلاً : ( وكأنه أخذ تلك القاعدة من ذلك الكتاب الذي عثر به في خرائب روما ، فرآه مكتوباً قبل الإسلام بمائة سنة ، وفيه آراء في الشعر الجاهلي ، وفيه قواعد نحوية ضابطة محكمة لا يشذ عنها إلا شاذ ،

فضلاً عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربين فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة - وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى ) ( ١٣ ) .

هكذا يفجر طه حسين قذيفة الكفر الرهيبة المدمرة هذه دون أن يبالي أي قدر من الخسائر تسببه لضمير الأمة المسلمة وإحساسها المرهف نحو دينها وعقيدها . . ! تكذيب صريح للقرآن الكريم ، وادعاء فاجر بأنه ليس مصدراً تاريخياً موثقاً به ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) .

والغريب أن هذا الكفر كان يراد له أن يدرس في كلية الآداب بالجامعة المصرية ! لولا أن أراد الله أن تموت الفتنة في مهدها ويفصل رأس الكفر من الجامعة .

## - ٢ -

في مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة أكسفورد ( سبتمبر ١٩٢٨ م )

(١٣) طه حسين : في الشعر الجاهلي ص ٢٦ . وقد أثار هذا الكتاب سخط جميع أفراد الأمة علي مؤلفه ، وطرد بسببه من الجامعة ، وما أغني عنه شيئاً إن عاد فاعترف بأنه مؤمن بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، لأنه إيمان علي طريق تفرعون ، ولذا رد عليه الشيخ الأزهرى (عبد ربه مفتاح) بمقال عنوانه : الآن وقد عصيت قبل؟؟ (انظر صحيفة الاهرام القاهرية الصادرة في ١٢ مايو ١٩٢٦ م)

متجاهلا الآثار المتواترة والصحيحة التي وردت بهذا الصدد في كتب السنة المعتمدة .

كان يرى أن هناك قرآنا مكيا وقرآنا مدنيا القرآن المكى يتميز بالبعد (١٥) عن المناقشة والخلو من المنطق ( كذا ) ! والقرآن المدني يناقش الخصوم بالحجة الهادئة . .

والمؤسف ليس هذا الكلام الغث وحده، وإنما المؤسف بالدرجة الأولى هو ما يدل عليه : من أن هذا الملحد المجاهر بإلحاده يعتقد أن القرآن الكريم هو من وضع النبي صلى الله عليه وسلم !! ! فهل هناك ما هو أصرح من هذا في باب الكفر ؟ وليس كلامه هذا صادرا عن استقراء لما يزعمه قرآنا مكيا ومدنيا .

فالدراصة المتعمقة للقرآن تبين أن الآيات المكية مليئة بأقوى البراهين وأقنعها للملحدن الجاحدين . وكثيرا ما حاج الله سبحانه كفار مكة وقارعهم الدليل تلو الدليل وتحداهم المرة بعد المرة فأعلنوا عجزهم وتسليمهم ودخلوا في دين الله أفواجا .

ولا يختلف عليها إلا ما كان خطأ . وفيه أشياء وآراء يقال أن الدكتور طه - لا يردّه عن نشرها إلا أنه يطمع أن يجد تحقيقاتها في كتاب آخر يعثر به في خرائب أثينا !! ) ( ١٤ ) . وهو يشير بذلك إلى ولع الدكتور بالثقافة اليونانية وإغراقه في حب الإغريق ، وحبسه لهم حبا ملك عليه قلبه حتى نهاية حياته ! ويكاد المريب يقول خذوني :

امتنع الدكتور عن نشر بحثه هذا في اللغة العربية ، حتى حصلت عليه صحيفة الأهرام فنشرته مترجما ، وانكشفت أباطيل الدكتور وفضحه الله على رءوس الأشهاد !

- ٣ -

زعم طه حسين ان القراءات السبع المجمع عليها لدى العلماء - لم تنزل من عند الله ، وأن العرب كما قرأتها حسبما استطاعت قراءتها - لا كما أوحى الله بها إلى نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهو بذلك البهتان ينكر أنها مروية عن الله تعالى كما جاءت على لسان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -

(١٤) صحيفة كوكب الشرق (٢٧-١١-١٩٢٨م) وقد نشر البحث المذكور في عدد هذه الصحيفة المصادرة بتاريخ (١٥ من اكتوبر عام ١٩٢٨م) ونشرته الاهرام القاهرية ايضا كما ستاتي الاشارة الي ذلك .

(١٥) يستخدم الدكتور كلمة (الهروب من المناقشة) ليبرهن علي بعده عن القادب مع كتاب الله تعالى . فيا حسرتنا علي العباد الذين يتخذون من التخريف امارعة علي جودة التأليف ، ويسموننه كذبا وبهتاننا : عميد الادب ..



اما ما يزعمه قرآنا مدنيا ، ويزعم أنه مليء بالتشريعات والأحكام ومبادئ الأخلاق . . الخ . الخ فإنه يرد ذلك كله - قاتله الله - إلى احتكاك المسلمين بيهود المدينة ، الخ ما قاله مما يملأ النفس ألما ووجدا على هذا الآدمي الذي ابتلى به المسلمون حينما من الدهر ، ولا زالت سمومه تتسرب على أيدي أشياعه ممن وردوا ورده ، وشربوا من المستنقع الذي كرع منه حتى غصّ بريقه . . !

- ٥ -

زعم أن عدم وضع النقط على الحروف القرآنية في بدء تدوينه قد أدّى إلى حدوث اختلاف في نطقه ، فهناك كلمات تنطق هكذا : فثبينا ، فثبتوا . . الخ والحق الذي لا مرأى من حوله ، مهما أرجف المرجفون ، أن القرآن مكلوء برعاية الله إلى أبد الأبدين ودهر الداهرين وذلك بنص قول الحق سبحانه وتعالى : ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) . وقد أحاط الكثيرون من الدارسين لعلوم القرآن بالكثير مما يتعلق بهذه الأمور ، وما قصد طه حسين بهذا الافتراء - إلا أن يكسر القداسة التي خص بها القرآن الكريم ، سيما وهو يعلم أن القرآن يتميز عن التوراة والانجيل بأنه معجز بلفظه ، محفوظ في السطور والصدور بنصّه ، متعبد بتلاوته وهو

كما قال ( جاك بيرك ) سقف اللغة العربية تقاس عليه ولا يقاس عليها ، فكيف يضعه هذا المخترّف موضع الشك والاختلاف ؟

- ٦ -

ادعى أن لفظة ( سورة ) مأخوذة من كلمة ( شورة ) العبرية ، بمعنى ( سلسلة ) وأثار الشك في لفظة ( قرآن ) هل هي عربية أو عبرية أو مأخوذة من لغات أخرى .

ورأى أن ( الكتاب ) غير ( القرآن ) ، وأن الكتاب كان موجودا قبل إنزال القرآن ، وأن القرآن صورة عربية منه . ( نعوذ بالله من ذلك ) .

هل سمع السامعون في تاريخ الكفر والفتن بمثل هذا ؟

- ٧ -

ومن أخباره أنه كان يشجع تلاميذه في كلية الآداب على أن ينقلوا القرآن في جرة : ينقلونه باعتباره كتابا أدبيا ! يمكن أن يقال فيه هذا كذا ، وهذا كذا . ويحاول أن يدرسه دراسة فنية ! فهل تسلح أولئك الطلاب بالأسلحة العلمية الكافية لدراسة القرآن ، فضلا عن « نقده » بأمر أستاذهم ؟

وهل يملك أستاذهم نفسه ، مهما بلغ من علوم اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها

وأدبها وفقهها ومنها ، أن يمسّ القرآن  
بكلمة نقد واحدة ؟

وهل استطاع أساطين البلاغة وفرسان  
البيان من العرب الخالص - إلا أن يسلّموا  
مقاليدهم أمام إعجاز القرآن الكريم  
وبلاغته - فماذا يبلغ هذا الدعوى من  
الفقه بلغة الكتاب الكريم وأحكامه  
العظيمة ؟

« سبحانك ، هذا بهتان عظيم » .

### وقفه أمام تراث طه حسين

سنضرب الذكر صفحا عما أوردناه ،  
رغم فظاعته وهوله .

وسنلج مرة أخرى باب البحث في  
تراث طه حسين ، لعلنا قد ظلمنا الرجل  
وما أنصفناه : أن أثبتنا عداوته للدين ،  
وأغفلنا نتاجه في الأدب .

سنلج باب البحث في أدبه على طريقته  
هو : بأن نجرده من القيم الروحية التي  
كان معاديا لها . « ونخره » - كما يقول  
من إيطاره الإسلامى !

تميزت كتابات طه حسين بما يلي :

### ١ - المجافاة لروح البحث العلمى الصحيح

من الواضح أنه لم يكن من الميسور له  
أن يستعين بأدوات البحث العلمى  
من هنا اكتفى بالنقد الأدبى الذى يقوم

على الذوق ، والقصة التي تقوم على  
الخيال ، والاستعراض التاريخى والسياسى  
الذى يستطيعه كل من يمسك بالقلم كما  
يقول أنور الجندى ! وفي الجامعة المصرية  
يقول استاذة الشيخ محمد المهدي : إن  
رأس هذا الفتى كالقدر الفارغة تحتها  
النار تنلظى : فلا هو يشفق على القدر  
فيملؤها بما يقيها جور النار ، ولا هو  
يبقى على النار لى أن يتسنى لها الانتفاع  
بها في الوقت المناسب ١٦ .

وفي الحقيقة ان استعراض النتاج النقدي  
لطه حسين ، يقفنا على حقيقة خطيرة  
ومؤسفة ، وهى أنه كان في نقده  
يسير على غير قواعد . كان يكتفى  
بما يسميه هو نقدا ذوقيا . ومتى كان  
النقد ذوقا مجردا بلا دراسة ؟

ومتى كان الذوق دستورا عاما يستوى  
فيه كل الناس ، حتى تكون الأحكام  
الصادرة على أساسه أحكاما نهائية وعامة  
ولها صفة الثبات والصدق ؟

هذا ما عابه عليه صديق عمره والمدافع  
عنه ضد الثائرين عليه : عباس العقاد :  
( نرى الدكتور يقول مرة : ( إن أصول  
النقد الأدبى واحدة ، قد وضعها اليونان  
قدما وفرغوا منها ، وتلقاها منهم  
الانجليز كما تلقاها منهم الفرنسيون  
فهم لا يختلفون .

ثم اراه يقول بعد أشهر قليلة : إن النقد ليس له أصول مقررة عند الناقد ، فضلا عن الأمم الكبيرة والعصور الكثيرة ، وأن الناقد يستحسن أو يستهجن ، والمرجع إلى ذوقه وحده في استحسانه أو استهجانته ! ( ١٧ )

وأخطر من هذا أن ينقلب ذوق الناقد إلى صكوك للغفران ، بحيث يعطى البركة لهذا وجواز العبور لذلك ، أو ينصب من نفسه حاكما عاماً في دولة الأدب ، يأمر وينهى ، ويكافئ ويضطهد ، ويقرب ويبعد . . ويميل في معظم أحكامه مع الهوى . وهذا هو أيضا ما فعله طه حسين . يقول اسماعيل أدهم :

( والدكتور طه في نقده للمؤلفات العصرية ، والأدباء والشعراء المعاصرين - يميل كثيرا مع هواه ، لأنه يعتبر النقد عملا أدبيا محضا . فيعمل على إظهار تذوقه ، وتتجلى شخصيته بأغراضها وأهوائها في نقده ، ومن السهل أن تكتشف عواطف الدكتور وميوله بل أهواءه وأغراضه من السهل تستكشف أنه متأثر بالحب في هذا الفصل وبالصدقة في هذا الفصل ، وبالبعث والحسد في ذياك الفصل . ومن هنا يرى الكثيرون أنه ليس بعالم ، ولا يستطيع أن يكون عالما ) ( ١٨ )

ولعل هذا الاتجاه القائم على الميل مع الهوى - هو الذي دفع طه حسين إلى أن يغير كثيرا من آرائه فجأة وبلا مقدمات ، ولذلك سنجده ينتقض اليوم ما بناه بالأمس ، كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . وما ينبغي للكاتب الذى يحترم نفسه وفكره وعقل القارئ له - أن يبدي أحكاما فجأة لم تستقر في عقله ولم تتضح في تفكيره ! !

اتجاهه إلى الإباحية والأدب المكشوف : إن الدعوة القوية المشبوهة ، التى اتجه بها طه حسين إلى فصل دراسة الأدب العربى عن الفكر الإسلامى ، وظل يلج إلحاحا عجيبا في الدعوة إليها لم يناد بها عبثا ، ولم يطالب بتطبيقها مطالبة ذاهبة في الهواء .

ولإنما كانت هذه الدعوة ستارا فاجراً يخفى من ورائه عملياته الإباحية الداعرة ، التى تنطلق من مبدأ الحرية في التعبير الأدبي !

ويا أيتها الحرية . . ! كم من الفضائح في دنيانا ترتكب باسمك ! ! انطلق طه حسين باسم الحرية الفكرية يطالب بترك الأبناء على هواهم في طريق حياتهم ، واعطائهم ما يسمى بحق التربية الاستقلالية الحرة . . .

(١٧) المرجع ص ١٨٥

(١٨) المرجع ص ١٨٢

أوقاته مع النتاج الرخيص لأبي نواس ،  
ومسلم بن الوليد ، ووالبة بن الحباب ،  
وأمثالهم من شعراء العبث — لا يتوقع  
منه إلا أن يطلق هذه الغثائث التي  
لا تثبت للنقد ، ولا تستحق أن تناقش لأن  
زيفها واضح حتى للمبتدئين في دراسة  
الأدب : ١٩

وليس يصح في الأذهان شئ<sup>\*</sup>

إذا احتاج النهار إلى دليل

### اعتناقه مبدأ الشك الديكارتي

هل يمكن أن يصل الإنسان عن طريق  
الشك — إلى اليقين ؟

هذا هو السؤال الخطير الذي أجاب  
عنه طه حسين بالإيجاب . بل وجعل  
منه منهجا علميا ، التزمه في دراساته  
الأدبية ، وتعصب له تعصبا شديدا .  
والمهم أن نقرر كما قرر هو :

أن هذا المنهج لم يصطنعه من عند  
نفسه ، بل جرى فيه الفيلسوف الفرنسي  
« ديكارت » صاحب الكوجيتو «  
الفرنسي المشهور . . .

( أنا أفكر ، فأنا موجود . . .

( Je pense, donc Je suis )

وإذا تأملنا هذا المنهج بعمق ، ووقفنا

ودعا إلى مطالبة المرأة بالثورة على  
الرجل ، ومخالفتها له ، وخروجها على  
ولايته . . وتشجيع الفتاة على ممارسة  
جميع أنواع الحرية وتحطيم التقاليد  
الشرقية . . ( أى الآداب الاسلامية ) . .

ولاشك أنه ، بما استطاع أن يتشربه  
من عادات الغرب في فرنسا ، وبما  
اقتبسه من تقاليد الغرب منذ اقترن  
بزوجته الفرنسية في باريس ، وانجب  
منها ولده الذي أسماه اسماً فرنسيا هو  
« كلود » — لاشك أنه بذلك أندر على  
تعليمنا كيف يكون التنكر للدين ،  
والتقاليد ، والقيم والفضائل الإسلامية .

ونحن نتساءل :

لمصلحة من ، يشيع الدكتور في دراسته  
للعصر العباسي ، أنه كله كان عصر  
شك وزندقة وفجور ومجون . ويتخذ  
من شعراء معينين ذوى ميول غزلية  
وجنسية أعلاما منشرة لهذا العصر كله ،  
مسقطا من حسابه كل الاتجاهات الدينية  
والحماسية والحكمية وأشعار البطولة  
وأبيات الزهد . . الخ ؟

لا غرو ان الناقد الذى يتخذ من كتاب  
الأغاني ونحوه مة ادر رئيسية لنقده  
الدوقى وإنتاجه الأدبي — ويقضى جل

(١٩) ملا طه حسين كتابه (حديث الاربعاء) — الذى كتبه علي غرار (احاديث الاثنين) للناقد  
الفرنسي (سانت بيغ) مع الفارق الكبير بين الرجلين — باخبار المجان وشعراء الغزل واخبار المحبيين  
وافرط في ذلك الي حد غير مقبول

عنده طويلا ، لوجدناه يتضمن عمليتين ذهنتين ، إحداهما يقينية ، وهى النقض أو الهدم .

وثانيتها محتملة ، وهى البناء أو اليقين . فالمفكر الفرنسى يفرغ ذهنه تماما من أى فكرة معارضة أو مؤيدة لموضوع بحثه ، ثم يبدأ فى محاولة البناء من جديد ، وهى عملية أشبه ما تكون بالولادة العسرة . فالهدم أسهل ما يكون بضربة معول ، بينما البناء يتطلب أدوات وخبرات عديدة ووقتا طويلا وعملا شاقا حتى يرتفع البناء مرة أخرى .

ثم إن هناك مدى محدودا يمكن أن يتحرك فيه هذا المبدأ الشكاك . أما إذا اقتربنا من المقدسات الدينية ، والنصوص الثابتة من الكتاب أو السنة . فأى منطق يجيز لمفكر أو باحث مهما علا كعبه فى ميدانه - أن يستخدم مبدأ الشك الديكارتي كما يستخدم الجراح المشرط فى تشريح النصوص وتمزيقها وتفريق وحدتها وهدم مضموناتها ؟ إن دون ذلك خرط القتاد ! .

لقد بلغ هوس الدكتور بتطبيق مبدأ الشك أن جرّبه فى كل شئ . . .

- فى إنكار الشخصيات التاريخية ، حتى وإن اثبتها القرآن والتوراة

والانجيل . كما فعل فى انكار الوجود التاريخى لابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

- فى النسب الصحيح للشاعر المنبى حين ادعى أنه لقيط !

- فى الحقائق الثابتة . . حين أنكر عروبة مصر وساق الأباطيل التى يرددها المستشرقون لتأييد هذا الانكار

- فى وجوب تعظيم النسب الشريف ، حين قال : فلا مرّ ما ، اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يكون صفوة بنى هاشم ، وان يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى قصى ، وأن تكون قصى صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الانسانية كلها ( ٢٠ ) !

- فى انكار الشعر الجاهلى جملة وتفصيلا وهو ديوان العرب ، ومصدر ثقافتهم وموضع فخرهم وسجل انتصاراتهم ، وتاريخهم المنبى بأحوالهم فى سلمهم وحرهم ، فى حلهم وترحالهم ، فى غدوهم ورواحهم .

وفى معرض الرد على مذهب الشك الذى إنتهجه طه حسين - يقول الاستاذ

(٢٠) طه حسين : فى الشعر الجاهلى ص ٧٢ .

وهل يمكن أن يوصله الشك في الحقائق  
الثابتة الوطيدة - إلا إلى هوة الضياع  
الأبدى ؟

وهل استطاع أن يتوصل من شكه  
هذا - إلى الايمان ، سيما والكل يعلم  
أن طه حسين ظل يتاجر بتصريحاته  
الدينية وكتبه التي يزعمها إسلامية إلى  
آخر حياته ؟

إن الدعوة الإسلامية في غنى عن  
هذا كله .

إن قضية الإيمان لا يهزها ولا يؤثر  
فيها مدعو الايمان ، والمتاجرون بعقائد  
المسلمين ، ولكن الأمور يجب أن  
توضع في نصابها الصحيح ، فلينهض  
أسود الدعوة لينفوا أمثال هذا المأجور  
الراحل من صفوفهم : كما ينفي الكبير  
خبث الحديد !

يقول الاستاذ العدوى ( كيف يقدر  
الحق - من يجد في الشك لذة ؟ أم كيف  
يطمئن للحقائق من يجد في القلق  
والاضطراب رضا ؟ إذا كان الشك  
يلد للدكتور وأمثلة من المجددين ،  
والاضطراب تستريح إليه نفسه ، فكيف  
يستنتج مجهولا من معلوم ، وينتقل  
من مقدمات الى نتائج ، ومن مبادئ

الغمراوى : ( إن الغرب نجا من أن  
يحاول هدم تاريخه أو تاريخ لغاته  
هادم - عن طريق الشك غير العلمى :  
لسيادة الرأى العلمى فيه . . واستحواذ  
الروح العلمى على أهله . . أما الشرق ،  
فليس له مثل هذين السياجين يردان  
عنه عادية هذا الباطل الذى يهاجمه  
باسم الحق ، ولا هذا الشك الذى يريد  
أن يداخله باسم العلم ، ولا هذا الهدم  
والتعطيل اللذين يكرّ عليه بهما نفر  
من أهله باسم التجديد ! ومهما يكن  
من موقف المؤرخين في الشرق أو في  
الغرب حيال مبدأ الشك المطلق - فإن  
العلماء لا يأخذون به ، وان العلم لا  
يقره ولا يمكن أن يقره . . ) ( ٢١ )

إن منهج الشك الذى اتخذ منه صاحبنا  
الشكاك هذا - معولا يهدم به التراث  
العربي والإسلامى ، وسلاحاً يحاول  
به تمزيق عقائد الأمة وأخلاقها -  
لا يصلح أن يكون طريقا علميا منهجيا  
يسلكه الباحثون عامة والباحثون المسلمون  
خاصة . .

وبحسب المرء منا أن يسأل نفسه :  
هل يمكنه أن يشك لحظة واحدة فيما  
جاء في كتاب الله سبحانه - أو سنة  
رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

(٢١) محمد احمد الغمراوى :التقد التحليلي لكتاب الادب الجاهلي ص ١٣٢ .

ينقل عن العقاد ما يقرب عن صفحة كاملة ( ص ١٨٤ ) من كتابه - دون أن يقول لنا من أين استقى كلام العقاد هذا ، لعل القارئ يبغى الاستزادة أو الرجوع الى الاصل المنقول عنه .

وينقل مثل هذا عن السيد / محب الدين الخطيب ( ص ١٨٥ ) دون ذكر المرجع ومثل هذا كثير في كتابه . إذ يقول مثلا ص ٢٠٢ ( وقد دمه صديق عمره الاستاذ أحمد أمين بهذا التحول والتناقض حين قال في إحدى مقالاته . . ) والسؤال هنا : أين ، ومتى . . قال الأستاذ أحمد أمين ذلك ؟ ؟ .

## - ٢ -

ومن المعروف أيضا في علم مناهج البحث ، وفي علم مصطلح الحديث ، أن عدم ذكر الراوى يضعف من صحة الرواية . ومن أجل هذا لا يمكن قبول مثل هذه العبارة التي أوردها المؤلف ص ١٨٦ :

( ويتفق هذا مع ما قاله بعض المقربين إليه : لا أدري الزيات ، أم أحمد أمين أم غيرهما . . )  
إذا كنت لا تدري مصدر الخبر ،

الى غايات ؟ - وهل إذا وضحت أمام الدكتور المقدمات وتجلت الحقائق ، يأمن أن تساوره شهوة الشك ، أو تملك عليه أمره لذة القلق والاضطراب ؟ (٢٢)

## ملاحظات حول منهج البحث الذى ارتضاه المؤلف

من المعروف جيدا لدى الباحثين (٢٣) : أنه لا بحث بدون منهج ، ولا منهج بدون هدف . وهناك أساسيات لدى المشتغلين بالبحث العلمى ، وهى أشبه ما تكون بالدستور العام ، الذى يتضمن عددا من القواعد الكلية ، التى بدونها لا يمكن وضع البحث أيا كان صاحبه في دائرة البحوث العلمية المحترمة .

ونحن الآن بصدد المناقشة لبعض الجوانب التى أغفلها الباحث المخلص الأستاذ أنور الجندى ، رغم علو كعبه ورسوخ قدمه في الدراسات الأدبية والاسلامية بصفة عامة :

## - ١ -

إن أكبر ما يعاب به الباحث ألاّ يحيل القارئ على المراجع المتخصصة التى استقى منها مادته العلمية . ومؤلفنا

(٢٢) أنور الجندى : طه حسين ص ٢٠٩ .

(٢٣) يجب ان ينتبه الطلاب المشتغلون باعداد البحوث في الكليات الجامعية الي هذه الملاحظات لانها ضرورية لهم في اعداد بحوثهم ، وما من شك ان الطريقة المنهجية هي اهم ما ينبغي ان ينتبه اليه طلاب الجامعة بعامة ، وطلاب الدراسات العليا بخاصة .

فعلی أی أساس أوردته ؟ ومثل ذلك  
قوله ص ١٧١ :

( ويقول أحد الباحثين الأعلام . . )  
أحد الباحثين الأعلام ، ولا ندري  
من هو ؟ لماذا ؟ هل ينجل أن يصرح  
لنا بأسمه ؟ ؟

### - ٣ -

— آهام طه حسين للمتنبي بأنه لقيط

صفحات ٢١٣ ، ٢١٥

— مبالغة طه حسين في حديثه عن

ديكارت ٢١٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٨ .

— انكار الدكتور الوجود التاريخي

لابراهيم واسماعيل عليهما السلام

صفحات ٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٥٥

— تشكيكه في فضل النسب الشريف

صفحات ١٧٥ ، ٢٢٠ .

ومما يندش منهج الباحث : أن يذكر  
في صلب بحثه ما يجب ان يذكره في  
الحاشية . وهي مسألة يجب أن ينتبه  
إليها الباحثون أجمعهم ، لأن ذلك  
يوقع الباحث في بلبلة وحيرة ويعطل  
الانتفاع المرجو من البحث بالطريقة  
العلمية المفيدة . فهو يقول في الصفحة  
الثانية بعد المآتين :

### - ٤ -

( كتب الدكتور زكي مبارك في  
١١ نوفمبر ١٩٣٢ م في جريدة البلاغ  
تحت عنوان : الحديث ذو شجون . )  
والمفروض ان يذكر المرجع وصاحبه  
وتاريخه في هامش الصفحة كما هو المتبع  
لدى الباحثين .

— تقرير لجنة الازهر المشكلة لدراسة

كتاب الشعر الجاهلي صفحات ١٧٦

. ٢٢١

— تقليد العقاد امارة الشعر ثم نكران

ذلك صفحات ١٨٩ ، ٢٥٢ .

— رأى العقاد في طريقة البحث عند

طه حسين صفحات ١٨٥ . ٢٠١ .

— رأى د. عمر فروخ في أسلوب

الدكتور صفحات ٢٠١ ، ٢٠٧ .

— أقوال تكررت نسبتها إلى د. اسماعيل

أدهم ، وفتحي غانم ، وعبد الحميد

يقتضى منهج البحث الصحيح أن  
يقسم الكتاب من الناحية الموضوعية  
تقسيمًا في غاية الدقة ، بحيث يكون أشبه  
بالبناء الهندسي المتناسك ، الذي يرتبط  
بعضه ببعض في قوة وإحكام ، وذلك



السحار ، ومحمود مراد صفحات  
١٩٨ ، ٢٥٨ .

- ٥ -

من المعروف جيدا لدى الباحثين أن كل باحث مسئول عن الآراء والعبارات التي ينقلها عن غيره . كما أن سكوته عنها معناه أنه موافق على ما جاء فيها من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون كذلك .

وقد جرت العادة أن يعلق الباحث على ما ينقله من آراء لغيره ، وقد يكون هذا التعليق في صورة تصحيح لبعض المعلومات الواردة ، في النص المنقول ، أو اعتراض مصحوب بالدليل على أجزاء منه ، أو استكمال لنقص ورد فيه من الناحية العلمية أو الموضوعية البحتة ، أو تصحيح لبعض الأخطاء المطبعية أو الإملائية أو النحوية بالفقرة موضع الاستشهاد .

وقد نقل مؤلف الكتاب عددا من النصوص التي وجدت فيها بعض الأخطاء ، وكانت الأمانة العلمية تقتضي تصويب هذه الأخطاء ، أو التعليق عليها بما يفيد إدراك المؤلف لموضع الخطأ فيها .

وهذه بعض الأمثلة التي أوردتها مع الإشارة إلى موضعها من الكتاب ، وصواب ما رأيت صوابا :

- جاء بالكتاب ص ١٩٨ ( منسوباً إلى فتحي غانم ) :

هل طه حسين ملحد أم مؤمن .

وصوابها : ملحد أو مؤمن .

- وجاء منسوباً إلى طه حسين نفسه ص ٢٠٠ أنا كمسلم أعلن أنني

وصوابها : أنا باعتباري مسلماً ( لأن الانسان لا يشبه بنفسه )

- ونقل عن الدكتور عبد الحميد سعد ص ٢٢٧ :

ومن يتبع حياته العلمية وجد . .

والصواب : ومن يتبع حياته العلمية يجسد . .

- ونقل عن اللواء شيت خطاب ص ١٧٣ :

إن الله يقول ( إنا انزلنا الذكر . . )  
وصوابها : ( إنا نحن نزلنا الذكر  
وإنا له لحافظون ) سورة الحجر :  
آية رقم ( ٩ ) .

- وكما نقل عن الاستاذ / عبد المنعم مراد ص ٢١٧

على هؤلاء النقاد الفضوليون

( وصوابها ) : على هؤلاء النقاد الفضوليين .

- وجاء منسوباً إلى طه حسين قوله ص ١١٦ :

كما يقول الفرنسيين

والهواب : كما يقول الفرنسيون

- وجاء منسوباً إلى « جريدة الشعب »  
ص ١٣٨ :

ليس حرب على الدين فقط . .

والصواب : ليس حرباً على الدين فقط

### عبارات مضيئة

من الطرق المهمة للاستفادة بما يقرأ :

تركيز الانتباه على عبارات بعينها ،  
 وإعادة مطالعتها والتأمل كثيراً في  
مضمونها . ذلك لأن أمثال هذه العبارات  
يعد بمثابة « مفاتيح الإنارة العلمية » التي  
تكشف لك العديد من الاتجاهات ،  
وتنير لك الكثير من دروب الفكر ،  
وتكون في يدك بمثابة العلامات الهادية  
على طريق البحث العلمي .

ولقد أعجبني من هذه العبارات ما يلي :

( إنه كما قال البعض : أنكر كثيراً  
ولم يثبت شيئاً .

ونحن نعرف أن إثارة الشكوك ،  
وتركها معلقة دون إجابات صحيحة  
هو لبّ المنهج التلمودي الذي يسيطر  
الآن على الفكر الغربي الحديث ) ص ٢٠١  
وجاء بالكتاب ، نسبة إلى د. زكي

مبارك : ( إن الأستاذية في الأدب عبء  
ثقيل لا ينهض به إلا الأفلون . وهي  
تفرض الاطلاع الشامل على خير ما أبدع  
العرب في خمسة عشر قرناً ، وهي  
تفرض البصر الثاقب بأصول الأساليب  
وهي تفرض العناية المطلق في التعرف  
على فحول الكتاب والخطباء والشعراء . )  
ص ٨٤ .

ويقول المؤلف ( إن التجارب العديدة  
أثبتت : أن الفنيين في التعليم لم يكونوا  
إلا قسماً أمثال دنلوب ، أو مستشرقون  
متصلون (٢٣) بالكنايس أو الاستعمار  
الغربي ، ولم يكن هناك الفنيون المتجردون  
من الهوى والغاية ، الذين يفهمون كيف  
يكون التعليم في بلد مسلم ، وليس  
عندهم إلا مناهج الارساليات وهي  
موجودة والحمد لله ! ! في مصر ،  
والعالم العربي بوفرة ، وقد نقلت مناهجها  
إلى المدارس الوطنية منذ قدوم دنلوب  
عام ١٨٨٦ م تقريباً ) ص ١٠٤ .

وجاء بالكتاب أيضاً قول المؤلف :  
( إن طه حسين قد تعلم فيما تعلم  
شيئاً هاماً (٢٤) جداً بعد التجارب  
المريرة :

ألا يهاجم الدين - بل يهاجم المؤسسات  
والأفراد .

(٢٣) كذا بالأصل ، والصواب : مستشرقين متصلين . .

(٢٤) الصواب : مهما ، ومن الأفضل تغيير كلمة (خلق) الواردة في الفقرة نفسها .

حسين ويرددون نفس أقواله ، ( ولا  
تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم )  
فلتكن أعينكم مفتوحة على الخطر  
مهما كان مصدره ، ولتكن رءوسكم  
مرفوعة في وجه المنحرفين والمشككين  
مهما كان حجمهم ووزنهم .

ولتكن عقولكم متفتحة على كل  
الثقافات لمعرفة الصحيح منها والفاقد ،  
( ليميز الله الخبيث من الطيب ) .  
وطوبى لمن عرف الحق فاتبعه ،  
وعرف الباطل فاقتلعه ، وإنما ينتصر  
الاسلام بجنود يتحدون الضلال فيصرعونه  
ولا يتركونه حتى يصرعهم .

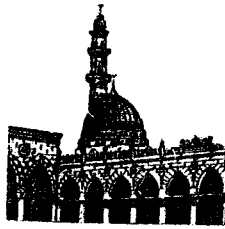
ابراهيم محمد سرسيق

المدرس في كلية القرآن الكريم  
والدراسات الاسلامية

فهو حين يهاجم الأزهر إنما يهاجم  
الإسلام من الداخل وذلك أسلوب  
كانت له آثار بعيدة في خلق جو من  
استهانة الناس بعلماء الإسلام ، والنظر  
إليهم على أنهم ليسوا أهلا لأن يقدموا  
التوجيه للمسلمين . . ( ص ١٠٧ )  
ونقول : هذا ما فعله طه حسين حين  
هاجم الأزهر وطالب المسؤولين بإلغائه  
وإلغاء المعاهد الدينية العلمية ، وتوحيد  
التعليم على أساس مدني بحت ، وجعل  
الأزهر كلية لاهوتية فقط على النظام  
الأوربي ، فهل أغناه ذلك شيئا في  
قدومه على ربه سبحانه ؟ ( ٢٥ ) .

وبعد . . .

فإن هذا كتاب جدير بالقراءة  
لأن هناك آخرين يحملون راية طه



(٢٥) راجع مقاله (الخطوة الثانية) صحيفة الجمهورية المصرية ٢١-١٠-١٩٥٥م وكانت  
الخطوة الاولى التي هال لها وفرح بها هي الغاء المحاكم الشرعية







# حکم التعقيم... وقطع النسل

لسماحة الشيخ عبدالعزیز بن عبدالرحمن بن باز

ماذا يقول علماء الاسلام وفقهاء الدين - في مسألة تحديد النسل والتعقيم البشرى وقطع عروق التناسل والرجولية لذلك برضى أو اكراه . هل يجوز في دين الله ؟ بينوا اثابكم الله الجواب الشافي - على ضوء الكتاب والسنة ؟ فان علماء بلادنا الهند قد اختلفوا في هذه المسألة - فالبعض أحل والبعض حرم والبعض سكت - فنحن مسلموا الهند حيارى في هذه المسألة لا ندرى تمس ديننا أم لا ؟

وهل يعتبر هذا العمل أى عمل تحديد النسل التدخل في دين المسلمين وديانتهم أم لا ؟

وهل يجوز لأى حكومة تنادى بحرية الديانات وعدم التدخل في الشئون الدينية أن تقوم بتحديد النسل على قدم وساق وتجهد المسلمين في ذلك بارضاء أو اكراه ؟  
بينوا ووضحوا أجزل البارى ثوابكم .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

السائل : أنوار احمد خان بن ميجر مهر محمد خان

الرئيس العام للحزب المسلم بنجاب

مالبركوثلة . ( بنجاب ) الهند

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه :  
أما بعد . . فمن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان هذا العمل المذكور في السؤال منكر وظلم للشعوب بل ظلم للبشرية جمعاء ولا يجوز لأية دولة اسلامية أو غيرها أن تقوم بذلك لأن التعقيم للرجل أو النساء ظلم عظيم يترتب عليه

فساد كبير وعواقب وخيمة وهو مخالف للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ومخالف للفطرة التي فطر الله عليها العباد ومخالف لما تقتضيه العقول الصحيحة التي ينشد أربابها المصلحة العامة للبشرية واذا كان ذلك مع المسلمين ففيه من المضار العظيمة تقليل عددهم ضد عدوهم ومخالفة للاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرشد فيها الى الأخذ بأسباب كثرة النسل وقال انه مكائر بأمتة الأمم يوم القيامة وفي ذلك من الفساد أيضا تقليل من يعبد الله وحده ويدعو الى شرعه ويعين على إقامة العدل في الأرض وبالجملة فالتعقيم المذكور من اقبح الظلم وقد قال الله عز وجل في سورة الفرقان « ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » والأدلة على تحريم هذا التعقيم وأنه من انواع الظلم المحرم فعله من الكتاب والسنة كثيرة جداً، فنسأل الله أن يهدي من فعل هذا الفعل المنكر الى الرجوع الى الصواب . وان يوفق المسلمين في كل مكان لما فيه عزهم وجمع كلمتهم على الحق ونصرهم على من خالف أمر ربهم انه سميع قريب وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الرئيس العام

لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز





# أخبار الجامعة

— يعقد المجلس الأعلى للجامعة دورته الرابعة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة وذلك يوم السبت السادس عشر من شهر رجب المقبل بمشيئة الله وسيدرس المجلس موضوعات مهمة منها اللائحة التنفيذية للجامعة .

— تبدأ امتحانات الدور الأول في قسم الدراسات العليا وفي الكليات والمعاهد التابعة للجامعة يوم السبت ٢٤ / ٦ / ١٣٩٧ هـ

— ستقيم الجامعة حفلا لتوزيع الشهادات على خريجي الدفعة الثالثة عشرة في السادس عشر من شهر رجب ويشرف الحفل صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة .

الف منحة دراسية توزعها الجامعة لعام ١٣٩٨/٩٧ خصصت الجامعة لأبناء العالم ألف منحة دراسية في الجامعة لعام ١٣٩٨/٩٧ هـ موزعة على أكثر من مائة قطر وفقا لما يلي : —

جدول توزيع المنح الدراسية لعام

١٣٩٨/٩٧ هـ وعدها ١٠٠٠ منحة

الرقم	البلد	العدد
١	الامارات العربية	٢٥ ... ..
٢	اثيوبيا	٢٥ ... ..
٣	الاردن	١٥ ... ..
٤	اريتريا	٢٠ ... ..
٥	اسبانيا	٢ ... ..

تابع جدول توزيع المنح الدراسية لعام ٩٧ ١٣٩٨ هـ  
وعدها ١٠٠٠ منحة

العدد	البلد	الرقم
٣	استراليا	٦
٥	افريقيا الوسطى	٧
١٢	افغانستان	٨
٥	المانيا	٩
٥٠	اندونيسيا	١٠
٢	أنجولا ...	١١
١٥	ايران	١٢
٤	باريدوس	١٣
٣٠	باكستان	١٤
٣٠	بانجلاديش	١٥
٧	البحرين	١٦
٤	البرازيل	١٧
٢	بروني	١٨
٥	بريطانيا	١٩
٤	بلجيكا	٢٠
٦	بورمه	٢١
٤	بورنديو	٢٢
٢٠	تايلند	٢٣
٦	تنزانيا	٢٤
٦	تركستان	٢٥
٢٠	تركيا	٢٦

تابع جدول توزيع المنح الدراسية لعام

٩٧ / ١٣٩٨ هـ وعددها ١٠٠٠ منحة

العدد	البلد	الرقم
٥	ترنيداد	٢٧
١٥	تشاد	٢٨
٦	توجو	٢٩
٨	تونس	٣٠
٣	جابون	٣١
١٠	الجزائر	٣٢
١٢	جزائر القمر	٣٣
٥	جزر فيجي	٣٤
١٢	الجنوب العربي	٣٥
٦	جنوب افريقيا	٣٦
٤	جيبوتي	٣٧
٢	الدمرك	٣٨
١٠	داهومي	٣٩
٥	روندي	٤٠
٤	روديسيه	٤١
٣	زامبيا	٤٢
٥	زائير	٤٣
١٥	ساحل العاج	٤٤
١٥	السنغال	٤٥
٥	سنغافوره	٤٦
٢٠	السودان	٤٧
١٢	سوريا	٤٨
٢	السويد	٤٩

تابع جدول توزيع المنح الدراسية لعام

١٣٩٨ / ٩٧ هـ وعددها ١٠٠٠ منحة

الرقم	البلد	العدد
٥٠	سيراليون	٨
٥١	سيلان	٨
٥٢	الصومال	١٥
٥٣	الصومال الفرنسي	٢
٥٤	الصين الوطنية	٤
٥٥	العراق	١٢
٥٦	عمان	٦
٥٧	غانا	١٥
٥٨	غامبيا	٥
٥٩	غيانا الأمريكية	٥
٦٠	غينيا بيساو	٥
٦١	غينيا كونكري	٥
٦٢	فرنسه	٢
٦٣	الفلبين	١٥
٦٤	فولتا العليا	١٠
٦٥	فلسطين	١٥
٦٦	فيتنام الجنوبية	٣
٦٧	قبرص	٢
٦٨	قطر...	٦
٦٩	كشمير الحرة	٦
٧٠	كمبوديا	٢
٧١	الكميرون	٨
٧٢	الكنغوبرازفيل	٥

الرقم	البلد	العدد
٧٣	كندا	٣
٧٤	كوريا الجنوبية	٥
٧٥	الكويت	٧
٧٦	كينيا	١٠
٧٧	لبنان	١٠
٧٨	ليبيريا	٥
٧٩	ليبيا	٥
٨٠	ماليزيا	١٧
٨١	مالي	١٠
٨٢	محلديب	٦
٨٣	مدغشقر	٣
٨٤	مصر	١٢
٨٥	المغرب	١٥
٨٦	الملاوى	٥
٨٧	موريتانيا	١٢
٨٨	موريشس	٥
٨٩	موزمبيق	٥
٩٠	نيبال	٦
٩١	النيجر	٩
٩٢	نيجيريا	٣٥
٩٣	نيوزلندا	٢
٩٤	الهند	٢٤

العدد	البلد	الرقم
٢ ... .. .	هولانده	٩٥
٢ ... .. .	هونج غونج	٩٦
٨ ... .. .	الولايات المتحدة	٩٧
٣ ... .. .	اليابان	٩٨
٣٥ ... .. .	اليمن	٩٩
١٠ ... .. .	يوغوسلافيا	١٠٠
١٢ ... .. .	يوغنده	١٠١
٤ ... .. .	اليونان	١٠٢
٣٨ ... .. .	ثمان وثلاثون منحة لبقية الاقليات الاسلامية التي لم تذكر	
١٠٠٠ ... .. .	المجموع	
منحة		



# فهرست

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٣	كلمة فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية	... ..
٧	نظرات في كتاب الله الكريم	... ..
١٧	اهل الكتاب في القرآن الكريم	... ..
٢٠	مفهوم الجرجاني للاعجاز القرآني	... ..
٣٩	ملاحم المجتمع الاسلامي	... ..
٤٤	الانسان والعصيان	... ..
٦٣	الاجماع في الشريعة الاسلامية	... ..
٨٣	العبادات في الاسلام واثرها في	... ..
اصلاح الفرد والمجتمع	... ..	... ..
١٠١	التشريع الاسلامي صالح للتطبيق	... ..
في كل زمان ومكان	... ..	... ..
١١٥	حول اعادة كتابة التاريخ	... ..
الاسلامي	... ..	... ..
١٢١	رسائل لم يحملها البريد	... ..
١٣٧	صفات ربنا قراءتها تفسيرها	... ..
١٤٣	تنبيه وتحذير	... ..
١٤٧	الشعر في ضوء الشريعة	... ..
الاسلامية	... ..	... ..
١٧٣	القدس	... ..
١٧٧	من آيات الله في الآفاق	... ..
١٧٨	كلية الحديث	... ..
١٨٣	طه حسين - حياته وادبه في ميزان	... ..
الاسلام :	... ..	... ..
٢٠٧	حكم التعقيم وقطع النسل	... ..
بن باز	... ..	... ..
اخبار الجامعة :	... ..	... ..

